

مذكرات مجمولة

الكاتب: أحمد عبدالرسول

رقم الإيداع: 2018 / 25521

ISBN : 978 - 977 - 798 - 153 - 8

الطبعة الأولى يناير 2019

مذكرات مجهولة

دار الحلم للنشر والتوزيع والترجمة ©
عضو اتحاد الناشرين المصريين
القاهرة - جمهورية مصر العربية



E-mail: dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@gmail.com

Tel: 00242216335 - Mob: 00201141824562

Sales Manager Mob :00201146644959

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعتبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار، كما أن جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صورة كانت إلا بموجب موافقه خطية من الناشر..



9 789777 981538

مذكرات

وجعولة المصدر

أعوذ عهد الرسول





الهقدمة

رب خير لم تتله كان شرا لو أتاك.



كأبي كاتب مبتدئ، كان يجب أن أملك مكتبًا، حتى أكون -ولو بشيء بسيط- قريبًا من درب الكتاب.

عملية إيجاد مكتب كانت صعبة بعض الشيء، جودة الخشب، مساحة المكتب، عدد الأدراج، وأهم شيء - الثمن، لأنني لم أكن أملك الكثير الذي يؤهلني لأشتري مكتبًا جديدًا، كنت أبحث عن شيء مستعمل، كل هذه الأمور جعلت من عملية البحث عن مكتب مناسب عملية صعبة، ولكنني في النهاية وبعد بحث طويل وجدت ضالتي، مكتب جيد إلى حد كبير، شكله قديم لكن آثار التجديد واضحة عليه، خشبه ممتاز، وهذا يفسر سبب تماسكه رغم قدمه.

سألت عن سعره ووجدت أنه مناسب، سعره رخيص، وبرغم أنه قديم ولكن هذه المشكلة لم تكن مؤثرة، عدد الأدراج كان ستة أدراج، خمسة على اليسار وواحد على اليمين، أحضرت عربة تنقله، حملناه، ووصلنا إلى منزلي، وبمساعدة الأصدقاء كان الوافد الجديد في مكانه في غرفتي.

تنظيفه جيدة وكان المكتب جاهزًا لاستقبال الأوراق والكتب واللاب توب، وضعت الأوراق في الأدراج التي على اليسار، فتحت

الدرج الأول ووضعت بعض الأوراق، ثم الثاني، فالثالث، ولكنني لاحظت شيئاً غريباً، شيء لم أتبين ما هو، ولكن هناك شيئاً مختلفاً، شيء جعل عقلي يدير أجهزة الإنذار الداخلية، هناك خطأ ما، أعدت الكرة، فتحت الدرج الأول، فالثاني، فالثالث، هنا انتهت إلى الشيء الخطأ، الدرج الأول، عندما فتحته ومررت يدي على الجزء السفلي في الداخل لم يكن مجوفاً، على عكس الدرج الثاني والثالث اللذين كانا مجوفين!

تعجبت من التصميم الغريب لهذا المكتب العتيق، فتحت الأدراج المتبقية لأتأكد إذا كان هذا تصميم المكتب أم أن هناك خطأ ما، لكن كما توقعت، وكما كان حبي للإثارة يُخبرني، الدرج الأول فقط هو المستوي، البقية مجوفون، هنا أبعدت الكرسي الذي أجلس عليه لأحصل على المساحة المطلوبة لأركع على ركبتي وأتفحص ذلك المكتب العتيق، أمسكت الكشاف، ووجهت الإضاءة إلى الدرج من الأسفل بعد فتحه، لو أنني في موقف آخر سأقول إنه شيء تافه لا يستحق عناء رفع يدي لتفحصه، لكنني فضولي، وما زاد الأمر أن الإثارة كانت تأكل ما تبقى من رزاتي.

كان هناك فتحة على شكل رأس دبوس، فتحة صغيرة من الممكن أن تمر ولا تلاحظها، لكن ولحسن حظي لاحظتها، نبضات قلبي ازدادت سرعة، كان الفضول هو الذي يجركني، لذلك أحضرت مفاتيحي، واخترت المفتاح الصغير الذي أضعه لأنني أخجل من أن أمشي وفي جيبي مفتاح واحد، فهو لم يكن له فائدة قبل هذا اليوم، ولكنها كانت فائدة عوضته عن عدم الأهمية التي كان فيها، أمسكت المفتاح، وأدخلته من الفتحة الضيقة أسفل الدرج وحركته يميناً ويساراً، لكن لا فائدة، حركته للخلف وجدت بواذر حركة، بواذر الاستجابة للأمر، حاولت مرة أخرى، أصدر صوتاً، ثم وقع لتقع عليه أكثر الأشياء غرابة واجهتها في حياتي، شيء غريب، حتى الآن وأنا أكتب عنه أنا لا أتوقع أن تكون هذه الأحداث حقيقية، لأنها لو كانت حقيقية ستكون بمثابة كارثة ستغير وجهة العالم.

كانت عبارة عن دفتر قديم، ورقه أصفر من كثرة قدمه، أو قد يكون حديثاً وصاحب الدفتر كان يكتب في ظروف صعبة ومن مكان صعب الحصول فيه على حياة آدمية، أو شبه آدمية كالتي نعيشها، عدم نظافة مكان حفظ الدفتر قد يجعل الأوراق تميل إلى اللون الأصفر

ويجعلك تفسر أنها تعود إلى زمن قديم، لذلك فأنا حتى الآن لم أستطع الحكم عن الحقبة التي كُتبت فيها.

كانت الصفحة الأولى مكتوبًا فيها كما يلي

مذكراتي

"هذه مذكراتي، وهذا ما حدث معي، قررت أن أكتبها بعدما عايشة أحداثاً مؤسفة كنت سبباً فيها بقصد وبغير قصد، أشخاص سببت لهم الألم والعذاب، صراخهم مازال صدها في أذني، أشخاص لم أعرفهم ولم يعرفوني آذيتهم، لكنني على وشك الانتقام ممن خدعوني وسببوا تلك الكوارث، أنا على وشك إصلاح بعض مما أفسدت، الانتقام ليس الحل، لكنه يجعلك تشعر بالراحة، لكن في البداية سأحكي لكم ما أوصلني لهذه النقطة، ومن عذبوني ومن عذبتهم.

قررت أن أكتب ليعرف الناس ما حدث للقوم الذين سبقوهم، لا أعرف في المستقبل ماذا سيكتبون عنا؟ ما الذي حدث؟ وما الذي

أوصلنا لهذه الدرجة؟ لذلك قررت أن أرويها أنا، حتى وإن كنت سأظهر مدى حقارتي ومدى شري، لكنني سأحكي مهما تكلف الأمر." كانت هذه الكلمات الأولى في المذكرات، كُتبت على يد شخص ما يدَّعي أنه سبب الكثير من الكوارث، وأنا حينما قرأت هذه المذكرات أصابتنني حالة من الدهشة، لأن ما كُتب فيها شيء مرعب.



مذكرات الدكتور الشخصية

كما يوجد كوارث خارجية يوجد كوارث داخلية.

أشعر بأن ذاكرتي فسدت، أصبحت بالية، مليئة بالذكريات السيئة، تُخزن معلومات ليس لها فائدة، تافهة، لا ترتقي بعقلي، وإحلالها محل ذكريات مفيدة، ذكريات قد تحول قلبي الميت إلى قلب يشعر، قلب يتأثر ويؤثر، قلب يحمل من معاني الإنسانية ما يكفي على الأقل ليصبح إنساناً.

تأتي لي أخبار في الأحوال العادية تُحدث زلزالاً داخلياً، لكن في حالتي لا تُحدث شيئاً، لا شيء سوى الفراغ، شخص مات، لا شيء، شخص أصابه مرض خطير، فراغ، لا شيء على الإطلاق، أنا أعيش بجسد قلبه ميت!

أود أن أحمي ذاكرتي أو أن أستبدلها بذاكرة جديدة، لكثرة ما بها من أوجاع، ذكريات جميلة لكن حينما أتذكر أنها من الماضي أحزن، وقد يصل الأمر بي إلى حد الاكتئاب، أخطاء حدثت في الماضي لم ولن أسامح

نفسى عليها أبدأ، قد تحسبني مبالغ بعض الشيء لكنها الحقيقة التي عذبتني سنين، ذكريات جميلة حدثت أذكرها بعد مرور سنين، تدمع عيني وأسأل هذه الذكرى لماذا كنتِ؟! لا أجد إجابة ولا أجد مفرًا من التفكير فيها والانسحاق وراء حزني .

مصائب كثيرة فعلتها وأنا في حالات لا وعي؛ بسبب شدة غضب أو شدة شهوة، تأتي في ذاكرتي هذه الأحداث، أندم وقد يصل بي الحد إلى درجة تمنى الموت من شدة بأسى وحزني، أحداث لم يكتب لها النجاح وكنت أتمناها من كل قلبي، لكنني أعلم أن الله يعلم الغيب ويعلم أنها ليست مناسبة لي، لكن هذا لا يمنع ذاكرتي من مراجعة ما حدث وتحميلي المسؤولية في ضياع ما كنت أتمنى، وهنا يبدأ جلدها لي، تذكرني بها وبكل تفاصيل حديثنا، تُحملني مسؤولية ثقيلة وهي أنني لم أكن على قدر كافٍ من الإقناع.. أول جلدة.

أنت تعجلت في رحيلك واختفائك.. ثاني جلدة .

كانت تنتظر منك أن تبقى بجانبها وأنت من فقد الأمل سريعًا..
ثالث جلدة، وهكذا حتى يصل بي الأمر إلى البكاء، أذم نفسي وأقول أنا

الضعيف، أنا الجبان، لكن ذاكرتي لا تكنفي وتستمر بجلدي بالذكريات .

كنت أقولها لأي طفل أجده يبكي: "الرجال لا يبكون"، لكنني كنت مخطئاً، الرجال بشر والإحساس فيهم، يتأثرون، يجنون، يفقدون الأمل، يكتبون، يتعلقون بأشياء وبعد أن يفقدوها يبدأ الانهيار، انهيار صرح الرجولة الكاذبة، تبدأ قشعريرة في الجسد يصاحبها خفقان قلب وحركة كثيرة في الصدر يتبعها دموع في العين، منا من يمسح هذه الدموع القليلة ويأخذ نفساً عميقاً يتبعه تنهيدة يخرج معها زفير ساخن يريح النفس بعض الشيء، ومنا من يستسلم ويجهش بالبكاء، لكنك إن كنت من النوع الأول فحتمًا سيأتي عليك وقت تنضم فيه للنوع الثاني، وحينما تنضم إلينا في مدينة البؤس ستجدني مربوطاً في جذع شجرة في ركن مظلم، شجرة بلا أوراق كثيفة الأشواك لا أقدر على الحركة من كثرتها، وضوء القمر الفضاح هاتك ستر الليل مسلط عليّ وكأن القمر يريد أن يُظهرني لكم حتى تعتبروا، ستجدني أبكي بألم، أبكي بغیظ، أبكي بجنون، فأنا صمدت كثيرًا في النوع الأول إلى أن وصلت لمرحلة الانفجار .

تسأل.. من ربطني؟ وما يبكييني؟ الإجابة في منتهى البساطة..
ذاكرتي اللعينة، وما هذه الأشواك؟ إنها الذكريات!

بعد أن عرفت سبب بكائي دعني أطلق على نفسي في هذه المذكرات اسم (الدكتور)، نعم لن أقول لكم اسمي الحقيقي لأنني تسببت في كوارث حقيقية، ولا أود أن يُذكر اسمي، سأكتفي بتعريفكم بنفسي على أنني (الدكتور)، وأنا عالم في الأحياء، حينما تتعمق في علم الأحياء تكتشف أن الحل يكمن في الأشياء الصغيرة، وأن كل ما هو عظيم الحجم يكونه ما هو ضئيل الحجم، وليس من العقل أن تتجاهل ما هو صغير، الخلايا النباتية والحيوانية والفيروسات والبكتيريا، وللبكتيريا خصائص لا حصر لها سنتطرق لها فيما بعد.

علم الأحياء يحتوي على تشعبات كثيرة جدًا بدراستها ستكتشف أنك تدرس علوم أخرى كعلم الأحياء الفلكي وهو يهتم بدراسة الكون ونشأته وتطوره ونهايته، وعلم التشريح الذي يهتم بدراسة الشكل الداخلي والوظائف الحيوية للأعضاء الداخلية للكائنات الحية، والكيمياء الحيوية وهو علم يدرس التفاعلات الكيميائية اللازمة لنشأة الحياة واستمرارها وبقائها وخصوصًا على المستوى الخلوي، وهناك

علوم وتفرعات كثيرة لعلم الأحياء، لكن دعونا من هذا الحديث الآن ونعود لما كنا نتحدث عنه منذ قليل.

حينما تصل إلى أقصى مراحل الاكتئاب يكون أمامك أربعة حلول فقط، إما الجنون، وإما الانتحار، أو انتظار الموت وحينها لن يأتيك الموت لأن الموت لا يأتي لمن يذكره.. الموت يأتي حينما ننساه، أو أنك تراجع حساباتك وتعود إلى رشدك وصوابك وتُصلح ما فسد وتتعلم من الماضي وهنا تصبح حياتك أفضل من ذي قبل، لكن الحل الرابع هو أصعبهم لأنك حينها ستواجه أشرس وأعنى معاركك.. معركتك مع نفسك .

في حالتي أنا مررت بالحلول الأربعة بداية من الجنون.

الوصول إلى حافة الجنون أمر عادي بالنسبة لإنسان كثير التفكير مثلي، وصلت إلى حافة مظلمة في الصحراء القاحلة، وجدت مرآة، لم أدر كيف وصلت المرآة إلى هذا المكان المهجور والمخيف، الملىء بأصوات الصراخ المنبعثة من أسفل حيث الظلام والبشر الذين فقدوا عقولهم، أراحتهم الدنيا برصاصة الرحمة.. رصاصة الجنون.

أمسكت المرأة من على الأرض ورفعتها إلى الأعلى ونظرت فيها،
رأيت وجهًا غريبًا، نظرت خلفي بفرع ظنًا مني أن هذا الوجه غير
المألوف لشخص يقف خلفي، وبمجرد التفاتي له قام بدفعي في صدري
بعنف، أفقدني توازني وسقط وسط ضحكات غير متجانسة تشعر أنها
تتبع من معدته، ونظر لي وأنا أسقط بابتسامة غير مفهومة تشعر فيها
بلمسة سعادة غير مبررة وألقى عليّ تحية مجنونة مثله بأن وضع قبلة على
باطن يده اليمنى ونفخ القبلة تجاهي، واستمر في الضحك إلى أن وقعت
على ظهري أسفل الحفرة، لأجد نفسي في عالم آخر، عالم مليء ببشر، لكل
منهم حكاية أوصلته إلى هذا المكان.. عالم المجانين.

سرت في هذا المكان الموحش والمليء بالصراخ والضحكات المشابهة
لهذا الشخص الغريب الذي دفعني داخل هذه الحفرة، سماء هذا العالم
ذات لون برتقالي غامق مائلة للون البني، أشجارها كثيرة ولكنها بلا
أوراق وكثيرة الفروع، كل شخص في هذا العالم يسير وحده بغير هدى
منهم من تجده ينظر إليك نظرة شفقة، نظرة "ما الذي أتى بك إلى هذا
المكان؟!"، ومنهم من تجد نظره تقول لا شيء فقط السكون والنظرة

البلهاء، ومنهم من تشعر أن نظرته تقول لك "من العدل وجود أمثالك هنا"، وكأنه يعرفك!!

بعد فترة من المتابعة قررت أن أذهب إلى أحد لأتحدث معه عن قصته وكيف وصل إلى هنا وكيف خرج، ذهبت إلى أحد كان ممن تقول لي نظرتة "ما الذي أتى بك إلى هذا المكان؟"، اقتربت منه، كان متكئاً على جذع شجرة، ولكنني عندما وصلت إليه لم أستطع الكلام لأنه هو من بدأ بصورة مباغته: "يومك الأول هنا؟".

فقلت: "نعم.. ولكنني لا أفهم أين أنا، ولماذا أنا هنا؟!

بابتسامة غريبة قال: "إذن أمامك الكثير".

- لا أفهم!!!

- مازال طريقك طويل .

- طريقي؟!!! أنا لا أفهم أين أنا؟!

- أنت في أكثر مكان يمكنك أن تعلم فيه كل شيء عن ذاتك .

تعجبت من ردوده وقررت أن أسأله عن نفسه: "وما الذي أتى بك

إلى هنا؟!!"

-نفس السبب الذي أتى بك إلى هنا .

-هل يمكن أن تكف عن هذا الكلام الغريب وتساعدني؟!

بصورة مفاجئة وبحركة سريعة انقض عليّ وجذبني من رقبتني بقوة وقال لي هامسًا: "إذا أردت نصيحتي، فهي.. لا تنظر خلفك أبدًا طوال الفترة التي ستمكثها في هذا المكان."

وترك رقبتني، تراجعت إلى الخلف، ونظرت إليه فوجدته ينظر لي ويهز رأسه يمينًا ويسارًا، لم أستمر كثيرًا في النظر إليه بل رحلت مبتعدًا عنه بسرعة لما انتابني من خوف وقلق منه.

فهمت من هذا الرجل الغريب أن أول مبدأ يجب أن أسير به هنا في هذا المكان الغامض هو عدم النظر للخلف أبدًا، لكن لماذا يقول لي لا تنظر للخلف!!؟

ماذا لو نظرت؟

ماذا سيحدث لي؟

قررت أن أنظر خلفي، لكنني لم أقو على فعلها خوفًا من المفاجأة. سرت على غير هدى في هذا المكان الغامض، كانت مع كل خطوة لي- كانت الأرض من تحتي تتحول إلى رمال ومع الوقت والسير

أصبحت الرمال كثيفة وصعب السير عليها، أصبحت عملية مجهدة للغاية، هنا قررت أن أستريح بعض الوقت تحت أحد الأشجار، ذهبت واتكأت بظهري على جذعها وأرحت رأسي للخلف، لم أدرك مر من الوقت، لكنني بصورة مفاجئة وجدت نفسي وأنا أفعل ما لم أتصور نفسي فاعله من قبل، أتذوقها، أجرها، أتمتع بها.

لكن هذا من الماضي، ما الذي أرجعني إليه؟!!!

كيف وصلت إلى هنا من جديد، لماذا تصر ذاكرتي على تذكيري بما

لا أحب أن أتذكر؟!!!

مرت هذه الذكرى ببطء وبعد أن مرت لم يمر تأثير تذكرها السيئ الذي يجعلني أدخل في موجة اكتئاب، لكن من خصائص الاكتئاب أنه لا يذكرك بشيء واحد فقط وإنما يُجمّع لك ما يمكن تجميعه وينهال عليك، فجأة استيقظت لأجد نفسي في المكان الغامض متكئا على جذع الشجرة، لكن هذه الشجرة التي كانت بلا أوراق أصبحت بأوراق، لكنها ليست أوراق شجر عادية وإنما عبارة عن صور كثيرة لهذه الذكرى المشينة!!

لقطات كثيرة وأنا أتمسكها وأفعل ما كنت فاعله، صور تُشعرك
بأن وقتها كان خلفك ما لا يقل عن عشرة مصورين يقومون بالتقاط
الصور لك من كافة الاتجاهات، وبعد أن حمضوها وجهزوها جاءوا إلى
هذه الشجرة معدومة الأوراق وقاموا بتعليق الصور على فروعها!!

لكن كيف حدث هذا؟!!!

زادت حيرتي من هذا المكان الغريب الذي يتحدى كل قوانين
العقل، سرت في طريقي ومع كل خطوة كنت أشعر بأني على وشك
الانهيار من التعب، وبعد كل مسافة معينة أجدها مُعلقة على جانب
الطريق، لوحة عريضة مكتوب عليها لا تنظر للخلف أبدًا وعليها علامة
إكس حمراء، فجأة سمعت صوتها!!

نظرت حولي، لم يكن هنالك أشجار إلا شجرة وحيدة بجانب
بحيرة، ذهبت في طريقها وكلما اقتربت أكثر كلما ارتفع صوتها وزاد
وضوحًا إلى أن وصلت للشجرة التي كانت كسابقتها، مجموعة من
الصور تجسد فترة بائسة أخرى في حياتي، ذكرتني بمن أسرت قلبي،
ذكرتني بمن تُمزق قلبي ذكراها، أسلوبها في الحديث، براءتها، رقتها،
حنانها، وهبَّت ريح خفيفة منعشة، شممت معها ما كان يعصر قلبي..

نظرت حولي لكنني على يقين أنني لم آتِ إلى هذا المكان من قبل:
"لا.. لم أتعرف عليه."

تنهد بممل وقال: "حسنًا، تأملني.. ألم تتعرف عليّ؟"

ملامح رأيتها من قبل، لكن شعره المبعثر ونظراته التي تشعر أنها في كل مكان في وقت واحد، وذقنه الهائش الخفيف وشاربه، كل هذه الملامح رأيت مثلها لكنني لا أذكر: "لا أذكر أين رأيتك من قبل."
" - لا عليك، قد يكون الشارب والذقن غيروا الكثير من ملامحي، وأيضًا أنا نزلت هذا اليوم دون أن أشرح شعري، هههههه"، ثم قام بإعطائي ظهره وأخرج من جيبه المرأة التي كانت بجانب الحفرة! وأخرج شيفرة حلاقة، أخذ يخلق شاربه وذقنه وهو يدندن موسيقى مألوفة بفمه ويهز رأسه باستمتاع، بعدها ذهب إلى بحيرة الدموع وغسل وجهه الذي لم أره بعد أن أزال شاربه وذقنه، كان يتعمد إخفائه، قال وهو يغسل وجهه: "لا يوجد أفضل من الدموع تغسل بها، فالدموع تغسل القلب قبل أن تغسل العين، وهناك اكتشاف آخر للدموع يقول إنها تفيده الشعر الدهني إذا غُسل بها، ههههههه، فأنا شعري دهني

مثلك"، وقام بإغراق رأسه بالكامل داخل بحيرة الدموع، وأخرجها وأخذ يُسرح شعره بالمشط، بعدها التفت إليّ والدموع تُغرق وجهه وقطرات الدموع تنهمر من شعره، اقترب مني وهنا تذكرت أين رأيته، كيف أجهله؟!!

كيف أنكر معرفتي به؟

وكيف لم أتمالك نفسي عن البكاء؟

وكيف أنسى من أنا؟!!

وجدته يقترب مني أكثر، تراجع، فأنا الآن أعرف لماذا كنت أخاف منه، اقترب مرة أخرى وعلى وجهه ابتسامته الغريبة، ظللت أتراجع إلى أن وقعت، مرة أخرى أقع لكن هذه الحفرة مختلفة عن سابقتها، وقعت وأنا مازلت من الصدمة أبكي.



مقابلة العاقل

بعد أسبوعين من العودة من السنغال

تلقيت مساعدة من صديق لي بعدما توصلت إلى اختراع شيء جديد سيساعد على فقدان الذاكرة، تجربتي نجحت على مستوى الحيوانات وتوصلت لأن أمسح ذاكرتهم لكنني كنت أحتاج إلى متطوع يريد مسح ذاكرته لأجرب عليه هذا الاختراع الجديد، حدثت صديقاً قديماً وأطلعته على اختراعي الجديد وقد أعجبه ما توصلت إليه وقال إنه سيكون في عوني لإخراج هذا الاختراع إلى النور، طلبت منه أن يبحث لي عن متطوع، لم تمر أيام كثيرة حتى وجدته يحدثني على الهاتف ليقول لي إنه من واقع عمله وتخصصه في المشاكل النفسية فإنه وجد لي من سيكون خير متطوع لهذه التجربة، شخص مر بتجارب قاسية جداً أفقدته عقله، كما أنه في المستشفى منذ وقت طويل ولم يسأل عنه أحد، لكن المشكلة الوحيدة معه أنه لا يتحدث مع أحد ولا يرد على أسئلة، فطلب مني المجيء إلى مستشفى لرعاية المجانين ومحاولة التحدث معه وإن نجحت في أن آخذ موافقة المريض فإنني بذلك قد حصلت على متطوع، أعطاني صديقي التقرير الخاص بحالته لأدرسه.

هذا التقرير عند قراءته انتابتني حالة من الرعب والخوف من هذا الشخص، كان التقرير يدل على أنه شخص فقد عقله حقاً، في صباح أحد الأيام تلقت الشرطة بلاغاً من أحد جيرانه أنه سمع منذ قليل صوت وقوع أشياء بقوة وأشياء تُكسر في شقة جاره، قال الجار إنه عندما سمع كل ذلك ذهب إلى شقة هذا الجار وطرق الباب مرات عدة ولكنه لم يتلق إجابة من أحد، هنا انتابته حالة من القلق وقرر إبلاغ الشرطة، عندما وصلت الشرطة إلى الشقة قامت بالطرق على الباب لكنهم لم يتلقوا إجابة، حذروا من بالداخل أنه إن لم يفتح الباب سيقومون باقتحام المنزل، مرت دقيقة ولم يتلقوا إجابة فقاموا بكسر باب الشقة والدخول، كانت الشقة في حالة من الفوضى وتدل على وجود شيء مريب، دخل أحد أفراد الشرطة إلى أحد غرف النوم وسمع من الخارج صوت فرد الشرطة وهو يصيح: "اثبت مكانك، اترك السكنية وإلا سأضربك بالنار"، دخل كل من بالخارج إلى هذه الغرفة ليجدوا الجاني وفي يده سكين وأمامه زوجته وابنه مطعونين بالسكين، ترك الجاني السكين ورفع يده فوق رأسه ولم ينطق بكلمة واحدة، جاء أحد الضباط ووضع يده على رقبة الزوجة والطفل وقال: "لا يوجد نبض، الاثنان

جثتان هامدتان"، يقول الجار إنه أصابته صدمة كبيرة عندما سمع هذه الجملة لأنه لا يتوقع أن يقوم جاره بمثل هذا الفعل، تحفظت الشرطة على الجاني وقام رجال البحث الجنائي بإرسال تقريرهم والذي أكد أن السكين عليه بصمات الزوج وأن الضحيتين هما زوجته وابنه وماتوا نتيجة طعنات عدة في منطقة البطن أدت إلى الوفاة، وأثناء التحقيق مع الزوج لم يتكلم، حتى بعد تعريضه لكافة الضغوط وأنه سيواجه الإعدام لكن إن تكلم سيكون موقفه أفضل، لكنه لم ينطق بكلمة واحدة، قاموا بتعريضه للكهرباء، لم يتكلم، مارسوا معه كل الوسائل التي من الممكن أن تجعل الأبكم ينطق لكنه أصر على الصمت، عرضوه ووصفوا حالته لأحد الأطباء والذي بدوره أوصى أنه مختل عقلي ويجب وضعه تحت رعاية طبية في أحد المستشفيات .

بعد الانتهاء من قراءة التقرير ذهبت في الميعاد المخصص وقابلت صديقي وشكرته على هذه الخدمة الجليلة التي لن أنساها له، وحينما ينجح اختراعي وأثناء تكريمي سأذكر هذا الموقف للعالم، وقفت أمام الغرفة الموجود فيها المريض وسألت صديقي: "هل هو آمن؟"، فرد عليّ وقال: "إنه مقيد فلا تقلق"، ولكنه أعطاني المفاتيح لأي ظرف طارئ،

دخلت الغرفة وجلست أمامه، وأول ملاحظاتي أن في وجهه جرحًا، يبدو أنه بألة حادة، أو بمرآة مكسورة، نظري ولم يتحدث فحاولت أن أجعله يدخل معي في حديث فبدأت وقلت: "كيف حالك؟"، ومددت له يدي لكنه لم يمد يده لي فقلت: "صح، أنت مقيد، نسيت"، وقمت من مكاني واتجهت له وأخرجت مجموعة مفاتيح من جيبي وفتحت له الأقفال، لغة العيون كانت واضحة ولا تدع مجالًا للشك في أن هذا الشخص الجالس أمامي تعجب مما فعلت وشعرت بأن هذه الحركة نالت إعجابه وأن حصونه التي بناها لنفسه بدأت في الانهيار.

بدأت كلامي معه وقلت: "يمكن تحكي لي أكثر عن نفسك؟"، لم أتلق إجابة منه فأكملت: "أنا معي التقرير الخاص بك لكن سأقول لك على سر"، واقتربت أكثر منه حتى أصبح فمي على بعد 5 سنتيمتر من أذنه وقلت: "أنا لا أصدق التقارير"، لكنه لم يتكلم واستمر في الصمت الذي كان بالنسبة لي مستفزًا إلى أبعد الحدود، في البداية كنت في غاية الحماس ولكن بعد مرور بعض الوقت بدأت تقل حماستي، لكنني فضلت ألا أستسلم بهذه السرعة فقلت له: "أنا أعلم أنك لست مجنونًا وأفهم جيدًا أنك مريت بظروف صعبة وصلت بك لهذه المرحلة، أعرف"،

واقتربت منه مرة أخرى وقلت: "أنا أيضًا كنت على وشك أن أفعل كما فعلت أنت لكن أنا كنت سأفعل هذا في نفسي، كنت سأقوم بالانتحار لأنني شعرت أنني غير قادر على مجابهة الحياة وأن الحياة تريد واحدًا بمواصفات لست مالكها، الحياة تريد حمير عايشين فيها بلا غاية لا يفرق معهم ما يحدث فيهم وفي من يعرفونهم"، وكنت على مسافة قريبة جدًا منه، كنت أهمس في أذنه، أكملت: "أنت ذكي وعقلك يعمل وهذا هو سر إعجابي بك، أنت تائر على الأوضاع التي كنت فيها بالرغم أني لم أعرف بعد ما الذي حدث لكنني على يقين أنك تائر، واحد فكر في الثوابت وأراد تغييرها وهذه صفة مشتركة بيننا، الثورة على الثوابت والشك، الشك الذي سيحول حياتك الكرتونية إلى حياة بائسة كثيبة لمجرد اكتشافك مدى كذب وألم وخداع الحياة، من الممكن أن عقلك لم يصل إلى ما أقوله بالمعنى والدقة هذه، لكنك من المؤكد توصلت له بصورة غير مباشرة، سوف أتكلم معك بصراحة، أنا عالم وقبل أن أكون عالمًا فأنا إنسان لديّ مشاعر وإحساس، أحب وأكره، أرتاح وأتعذب، أعقل وأجن، مررت بظروف صعبة جدًا أوصلتني لمراحل أصعب

وأوصلتني لحالات بشعة، لذلك أنا فكرت في أن اخترع شيئاً أ مسح به الذاكرة، مشكلتنا وسبب بؤسنا هنا"، وقمت بوضع يدي على رأسه في إشارة إلى الذاكرة، وأكملت: "اجتهدت إلى أن وصلت لشيء في اعتقادي إنه سيساعد في مسح الذاكرة، لكن المشكلة الوحيدة التي اخترتني عن إعلان الاختراع هي إنني لم أجربه على الإنسان، التجارب كانت على حيوان، فأنا أحتاج إلى متطوع يقبل أن أجرب عليه الاختراع، بالتأكيد أنت تحتاج شيئاً مثل هذا يُنسيك الماضي، تخيل نفسك وأنت لا يوجد في رأسك شيء من رائحة الماضي العفن، تخيل أنك نسيت كل ما فات وبدأت صفحة جديدة مع ناس جديدة وبدأ يأتي لك الشعور الذي بات معدوماً منذ أيام الطفولة"، وصممتُ ثانية وأكملت: "شعور المفاجأة من أبسط الأشياء، أخبرني آخر مرة حدث أمامك موقف سبب لك مفاجأة؟!"، لم يتكلم، أمسكت رأسه وجعلته ينظر إليّ وقلت: "أتعرف.. أنا وصلت إلى مرحلة إن أمطرت السماء كلاباً لن أتفاجأ"، شعرت وأنا ممسك بوجهه بعضلات فمه تتحرك، كان يبتسم ابتسامة

خفيفة، أكملت: "فأنا أحتاجك، ساعدني وسوف أساعدك ولا تقلق من أي شيء فأنا لن أتركك!"

مرت ربع ساعة وأنا صامت وهو كذلك كعادته، بدأ صبري ينفد وبدأت أفقد الأمل في هذا الكائن الأخرس، بعد خمس دقائق أخرى من الصمت أعلنت استسلامي وقررت أن أرحل وأبحث عن شخص غيره، وقفت وجمعت أوراقتي ووضعتها في حقيبتني وتوجهت إلى الباب، أدت المقبض، جاءني من خلفي صوت يقول لي: "انتظر."



هذكرات الدكتور الشخصية

في الوقوع يكون الإحساس مختلفاً، تشعر وكأن روحك تُسحب منك، كأنها لا تستطيع اللحاق بك بهذه السرعة الكبيرة.

كالعادة وقعت على أرض، والغريب أن الوقوع غير مؤلم!

كنت أهبط بسرعة كبيرة لكنني حينما اقترب من الاصطدام كان هناك شيء خفي يوقفني في الهواء ويحد من سرعتي لأهبط بسلام.

هبطت في مكان مختلف في كثير من التفاصيل عن المكان السابق، مكان كانت سماؤه باللون الأزرق الغامق، وكانت الإضاءة الوحيدة في هذا المكان هو ضوء القمر المكتمل في سماء هذا المكان الغريب، كان الجو شديد البرودة وكانت ملابسي لا تناسب هذا الجو، حينما يجتمع البرد مع اللون الأزرق الغامق تشعر بنوع من اليأس وتبلغ حينها أشد مراحل الإحباط، كان هذا وقتها شعوري، كان وكأنه عالم الراغبين في الانتحار! نظرت لأعلى حيث الحفرة التي وقعت منها لكنني لم أجد شيئاً

يُوحى بوجود حفرة!

اللون الأزرق هو السائد، والرياح الباردة تنتقم مني وتجعلني في حالة يرثى لها، أشعر أني وحيد، أحتاج إلى من يُشعرنني بالأمان، أحياناً يكون الدفء عاملاً محفزاً على الشعور بالأمان المؤقت.

قررت أن أسير لأفهم أين أنا؟

الجبال تحيط بي من كل اتجاه، جبال ليس لها آخر!! والأشجار كما هي بنفس الشكل لكن الجليد كان يغطيها، سرت قليلاً إلى أن رأيت شخصاً يقف في منتصف الطريق، اقتربت بسرعة منه، كان يعطيني ظهره، اقتربت أكثر وبعد أن أصبحت على مسافة قريبة ناديت عليه: "لو سمحت"، لكنني لما اقتربت أكثر اكتشفت أنه يقف أمام أحد الجبال الشاهقة، حينما سمعني التفت التفاتة كسولة تنم عن إحباط يتملكه، لكنني فجأة تصلبت في مكاني، يبدو أنني لن أسلم من هذه المفاجأة في كل مرة، فكما كان الشخص المجنون هو "أنا" مما سبب لي صدمة وقعت على أثرها في هذا المكان اليأس كان هذا الشخص اليأس أيضاً "أنا!!"
نظرت نفسي لي نظرة الإحباط وقالت لي: "لا يوجد أمل في أي شيء".

تعجبت من حديثها وقلت: "أين أنا؟!!".

- أنت في عالم العبثية .

لم أفهم جيدًا فطلبت منه تفسيرًا: "لا أفهم!".

نظر لي نظرة مغزاها لا فائدة، لكنه قال: "أنت مؤمن أنك تفعل

شيئًا مفيدًا في حياتك؟".

- لا .

- تملك هدفًا في الحياة؟

- أكيد .

- تستطيع تحقيقه؟

- لا .

"- هذه هي العبثية، لا يوجد أمل في أي شيء"، قالها هذا الشخص

الذي يشبهني في كل شيء فيما عدا تلك الهالة السوداء التي تحت عينيه

والتي على ما يبدو من أثر الحزن واليأس .

قلت له وأنا ما زلت أجهل أين أنا، فإجابته أشعرتني أنه مختل عقلي

يقول كلامًا لا يفهمه وبلا فائدة: "ما هذه الجبال؟"، إذا استطعنا أن

نعرف اسمها فمن الممكن أن نحدد مكاننا ومن ثمَّ نعود إلى بيوتنا."

قال بمنتهى اليأس مشيراً إلى الجبال: "هذه مشاكلك".
تعجبت من هذا الرد الغريب الذي لا ينم إلا على أنه شخص فقد
عقله: "مشاكلي؟!!"

-مشاكل واجهتك وهربت منها كعادتك .

يبدو أنني أمام شخص يعرفني ويعرف عني أدق تفاصيل
شخصيتي، فجأة ونحن نتحدث هبت رياح شديدة، وجدته يختبئ
خلف الشجرة القريبة منه، وصاح في قائلًا: "اهرب".

لم أفهم في البداية لماذا: "لماذا أهرب؟!، هذا مجرد هواء".

-اهرب!

أخطأت في تقدير قوة هذه الرياح التي ظننت أنها رياح عادية لكنها
كانت غير ذلك: "ما هذه الرياح القوية؟!".

-هذه هي همومك.. اهرب..

تعجبت من وصفه للرياح بأنها همومي ومن قبلها وصف الجبال
بأنها مشاكلي، أين أنا ومن هؤلاء الأشخاص غريبو الأطوار، لم تمر ثواني
حتى وجهت لي الرياح ضربة قوية أفقدتني توازني، أصبحت كالورقة في

قلب إعصار، تقلبت رأسًا على عقب، تدرجت، إلى أن وجدت نفسي
أقع في حفرة أخرى لكنني تمسكت بحافتها وأصبح جسدي كله داخل
الحفرة.. هنا هدأت الرياح.

أحتاج إلى مساعدة، أحتاج من يأخذ بيدي لينقذني من الوقوع في
هذه الحفرة التي لا أعلم أين ستوصلني، وجدته يقترب من الحفرة، نظر
لي نظرة يأس، قلت له: "ساعدني، تمسك بيدي وأخرجني من هذه
الحفرة."

-لن أقدر .

-حاول وستنجح .

اقترب مني وأمسك بيدي وشدني، مرة، مرة أخرى، وكان في كل
مرة عزمه يقل ويأسه يزيد، لكنه كان على وشك النجاح، سيطر عليه
الإحباط وترك يدي وقرر عدم مساعدتي، قلت له وأنا على وشك
السقوط: "أتوسل إليك لا تيأس وساعدني."

"- لا أيأس!!!"، وضحك ضحكة سريعة وأكمل وقد عاد وجه

حزينًا: "كيف لا أيأس وأنا يأسك! "

قال لي هذه الكلمات ووجدت حواف الحفرة التي أتمسك بها
تكسرت، لم أجد ما أتمسك به مرة أخرى، وقعت من عالم العيشية في
حفرة أخرى لا أعلم أين ستأخذني، وأصبح عقلي تائهاً في هذه المتاهة
الغريبة التي وقعت فيها، متاهة تتحدى كل قوانين العقل.



السنغال

قبل أسبوعين من مقابلة العاقل

كانت السنغال هي الوجهة المناسبة لجلب هذا الكائن، وكان من حسن حظي أن هناك صديقاً قديماً من الجامعة يعيش في السنغال منذ عدة سنوات، وكنت أنا على اتصال دائم به عن طريق الإنترنت، كان ما سأطلبه منه شيء صعب إلى حد ما لكنني كنت وضعت أملاً كبيراً على صديقي المقيم في السنغال، فتحت برنامج (SKYPE) وجدته متصلاً، طلبته فأجاب بعد عدة ثواني، تكلمنا قليلاً عن بعض الأخبار ثم دخلت معه في الموضوع مباشرة، قلت: "أحتاج أن أشتري شمبانزي، وقلت: "لن يأتي لي بواحد غيرك وبسعر رخيص".

قال متفاجئاً: "شمبانزي! ماذا ستفعل به؟"

-ماذا عساي أن أفعل به، بالتأكيد بعض التجارب.

-تجارب! يبدو أنك تحبب سرّاً كبيراً.

-ليس سرّاً، ولكن حينها يتم الأمر على أحسن وجه سأخبرك

بالتفاصيل .

-حسناً، لا تقلق فالسنغال مليئة بهذه الحيوانات، وجلب واحد
أمر سهل نسيباً .

-لذلك أنا أخبرتك، متى سيصل إليّ؟

-لا.. يجب أن تأتي أنت .

قلت مازحاً: "لا تقلق سيصلك ثمنه قبلها، حينما تجد واحداً
أخبرني عن سعره وسأحول لك الأموال عن طريق أي بنك أو مركز
تحويل أموال ."

-بالتأكيد أنا لا أريدك أن تأتي لأنني لا أثق بك، في الواقع أريد أن
أراك ونتحدث قليلاً، وأريد أن أعلم ماذا ستفعل به، وبالمناسبة السنغال
ليست بعيدة عنك، أم أنك لا تريد أن تراني؟!

أخرجني: "لا بالتأكيد أريد أن أراك، حسناً سأقوم بالحجز في
إحدى شركات الطيران وسأعلمك متى سأصل."
-في انتظارك يا صديقي.

السنغال!!، رحلة غريبة لكنها ستساعدني في الخروج بعض الشيء
من حالتي النفسية، وصديقي الذي هناك سيساعدني في إيجاد ما أبحث
عنه، وهو أيضاً كان من أقرب الأصدقاء إلى قلبي وقت الدراسة، لكنه

قرر السفر إلى السنغال للعمل طبيب هناك، فهو طيلة عمره يعشق البلاد الأفريقية التي تتميز بالطبيعة والمغامرة.

ذهبت إلى شركة الطيران وحجزت التذكرة وكان موعد السفر بعد يومين، اتصلت بصديقي وأبلغته عن موعد وصول الطائرة، أكد على أن الشمبانزي متاح لكني يجب أن أمكث عنده عدة أيام لأنه مشتاق إليّ، وفي الواقع كان هذا الطلب في محله، فأنا أريد أن أذهب إلى مكان جديد وأرى بشرًا مختلفين عنا في العادات والتقاليد وأسلوب العيش، كما سيكون صديقي مرشدي السياحي في هذه الرحلة، جهزت حقيقتي وكان الشيء الأساسي فيها الشورت والفانلة "الحمالات" ذات اللون الكحلي وحذاء جلد طبيعي، لمعرفتي أن السنغال دولة ساحلية فكان من المتوقع أن يكون المناخ هناك ممتعًا، لذلك انتقيت ملابس تتناسب مع هذه الرحلة .

بعد يومين

حملت حقيبة السفر وركبت سيارة أجرة أوصلتني إلى المطار، كنت في غاية الحماسة والفضول، لأنني كنت على وشك رحلة جديدة من نوعها بالنسبة لي، فأنا لم أكن أسافر لمناطق بعيدة هكذا، وصلت المطار وركبت

الطائرة، مرت الساعات على الطائرة عادية باستثناء الراكب الجالس بجانبه والذي كان صاحب بشرة بيضاء، تحدثنا معًا واكتشفت أن الراكب من لبنان ومع تبادل الحديث عرفت أن السنغال يوجد بها عدد من اللبنانيين، كما عرفت من الراكب أن اللغة الرسمية في السنغال هي اللغة الفرنسية، لكن لغة أغلبية أهل البلاد هي اللغة الولوفية وهي لغة أطلسية تكتب بالأبجدية اللاتينية، كما يستعملون الأبجدية العربية في الكتابة أيضًا، وهناك تعدد في اللغات في دولة السنغال بشكل واضح مثل لغة بالانت غانجا، الحسانية، الجولا، لغة مندنكا، لغة نون، الفولانية، السونوكية، الولوف، ولغة ماندجك، كما تكلم معي عن المطار الذي ستهبط فيه وقال لي إنه يُدعى مطار ليوبولد سيدار سنغور وهو مطار دولي يقع في العاصمة السنغالية داكار وهو يعتبر المطار الرئيسي في الدولة، وهذا المطار سُمي على اسم رئيس سنغالي، وكان يوجد في هذا المطار قاعدتان جويتان، واحدة للقوات الجوية الفرنسية وأُغلقت في عام 2011 والثانية للقوات الجوية السنغالية .

الشرح المفصل لهذا الراكب عن نواحٍ كثيرة جعل رحلتي على الطائرة في غاية المتعة ومرت الساعات وأنا في الطائرة دون أن أشعر، لأسمع ربان الطائرة يطلب مننا أن نربط أحزمة الأمان لأننا على وشك الهبوط.

هبطنا بسلام، ودعت هذا الراكب وخرجت من باب المطار لأجد صديقي يقف في انتظاري، تبادلنا السلام وكنت قد اشتقت إليه كثيرًا، حمل معي الحقيبة وقال مازحًا: "الحقيبة ثقيلة، أنا حينما طلبت منك المكوث معي قصدت بضعة أيام وليس بضعة شهور."

ضحكت كثيرًا فهو من الأشخاص القليلة القادرة على تحسين مزاجي، أوقف سيارة أجرة وطلب منه أن يوصلنا إلى عنوان شقته في مدينة داكار، وصلنا إلى العنوان وكانت الشمس قد بدأت في الغياب، دخلنا الشقة وأراني غرفة نومي وكل ما يوجد في الشقة وقال لي: "سأدعك تستريح اليوم لنبدأ غدًا جولتنا السياحية."

كنت حقًا في أمس الحاجة إلى النوم، وتغيّر الساعة البيولوجية كان له أثر كبير عليّ وسبّب لي الكثير من الكسل والصداع، لذلك قررت النوم كثيرًا لأستعد غدًا للاستحمام.



مذكرات الدكتور الشخصية

وجدت نفسي فجأة في عالم عادي جدًّا، شمس في السماء والألوان طبيعية، والهواء سريع بعض الشيء لكنه طبيعي، وقفت أتابع ما يحدث حولي لأفهم أين أنا، لكنني عندما وقفت وجدت شيئًا غريبًا، كان الناس من حولي يتحركون بسرعة كبيرة، وحينما قررت المشي وجدتني أهول مثلهم، وكأنني تأخرت عن ميعاد مهم، كنت في غاية التسرع!

وفجأة ودون سابق إنذار حلَّ الليل، والناس من حولي مازالوا يتحركون بسرعة كبيرة، الأشجار كما هي، نفس الشكل الغريب، الجذع والفروع الكثيرة المليئة بالصور، مرت حوالي دقيقتين، النهار مرة أخرى يعود!!

في البداية ظننت أنه كان كسوفًا، لكن بعد حوالي دقيقتين أخرتين حلَّ الليل، ما هذه السرعة؟!!

تعاقب الليل والنهار بسرعة والتغيير في قوة الأضواء من حولي وسرعة الناس الكبيرة جعلتني أشعر بالدوار.

استمرت في المشي إلى أن وجدت نفسي أمام محطة قطار، كانت
محطة ضخمة مليئة ببشر لهم نفس ملامحي.. إنهم أنا!!
لم أهتم في البداية بهم، لكنني اهتمت بأن أعرف اسم المحطة
لأعرف في أي مكان أكون، نظرت إلى أعلى، بحثت عن الاسم إلى أن
وجدته....

محطة انتظار الموت!!

أصابني حالة من المفاجأة من هذا الاسم الغريب، هبطت بنظري
لأسفل، وقررت أن اقترب أكثر من هذه المحطة الغريبة، هناك الكثير
ممن يشبهونني، كل منهم يفعل شيئاً، منهم من كان يكتب على الحائط،
ومنهم من يقف أمام شباك التذاكر ورأيت واحداً منهم يقف على
الرصيف داخل المحطة ينتظر القطار.

اقتربت من الشخص الذي كان يكتب على الحائط، شعرت
بالفضول لأعرف ماذا يكتب، اقتربت منه وهو غارق في التركيز لدرجة
أنه لم يلحظ وجودي، كان يكتب على الحائط. M, V, G, Y :

كان يكرر هذه الأحرف باستمرار إلى أن أصبح الحائط كله عبارة
عن هذه الأحرف، يكتب ثم يجلس بضع دقائق يفكر في هذه الأحرف،

هنا شعرت بالفضول لأسأله عما تعنى هذه الأحرف ولم يكررها
باستمرار: "لم تكتب هذه الأحرف وتكررها؟!!"

أجابني دون النظر لي وكأنه يعلم أنني خلفه ويعلم من أكون:
"أنت وصلت هنا؟!"

كانت إجابته غريبة وغير مرتبطة بسؤالي لكنني أحبته: "أنا هنا،
لكن أين أنا هنا؟!!"

-هنا آخر مرحلة ممكن أن تصل إليها وتملك فيها طريقين، إما أن
تعبّر وإما أن تظل هنا بقية حياتك .

كانت إجابته مثيرة للغضب، فأنا لا أحب الكلام المبهم: "أنا
سئمت من كل شيء، أنا لا أجد فائدة من كل ما أنا فيه الآن، غموض
وناس غريبة الأطوار أقابلها"، قلت هذه الكلمات وأدرت ظهري له
وقررت الرحيل، لكنه فاجأني بإجابته التي قررت على إثرها البقاء
ومواصلة الحديث معه: "إجابتك صحيحة، لذلك ستعبّر!"

-أعبر ماذا؟!!

-أنت الآن في عالم العدمية .

لم أفهم ما معنى العدمية: "عدمية!!!!"

- أنت الآن تشعر أنك بلا فائدة؟

- نعم .

- والناس أيضًا ليس لهم فائدة؟

- تمام .

- ولا ترى قيمة للحياة؟

- صح .

- إذن أنت الآن في عالم العدمية .

- حسنًا، ولم تكتب هذه الحروف؟

- أنا أحاول أن أصل لمعادلات الموت، فأنت حينها تصل إلى

العدمية تنتظر الموت بفارغ الصبر .

النصف الثاني من حديثه كان مقنعًا جدًا بالنسبة لي لكن النصف

الأول لم أفهمه كثيرًا: "ماذا تعني بمعادلات الموت؟!".

- يوجد بعض الأشياء تؤثر في كل شيء، مثلًا (M) هذه كتلة

جسمك، و (V) سرعته، و (G) هي الجاذبية، و (Y) الارتفاع، أنت

إذا استطعت الوصول لمعادلات تجمع كل هذه الأشياء بصورة صحيحة

وقتها ستصل إلى معادلات الموت.

كلامه كان شيقاً ومثيراً ولافتاً للانتباه ولكنه في النصف الثاني أعطاني تقريراً عما أشعر به بالضبط حينما قال: "تنتظر الموت بفارغ الصبر"، لكن كيف علم أنني منتظر الموت بفارغ الصبر؟ وكيف أشعر أمامه أنني أقف أمام مرآة؟!!

تعاقب الليل والنهار مستمر بسرعه الكبيرة، جسدي متعب ورأسي من كثرة الأحداث الغريبة بدأت أشعر أنه سينهار، قررت أن أذهب إلى شباك التذاكر لأحصل على تذكرة دخول، تركت شبيهي وذهبت، عندما اقتربت من الشباك وجدت لوحة كبيرة مكتوباً عليها: "شروط الحصول على تذكرة دخول محطة انتظار الموت"

(1) الصدمة والاقتراب من حافة جنون .

(2) اليأس والاقتراب من الانتحار .

(3) الشعور بالعبثية .

(4) الشعور بالعدمية .

وقفت أمام الشباك أبحث عن الرجل الذي سيعطيني التذكرة، انتظرت عدة دقائق لكنه لم يأت بعد، وجدت شبيهي الذي يكتب على الحائط يقول: "ستجدها في جيبيك".
لم أفهمه: "ماذا سأجد في جيبي؟!".

-التذكرة .

-لا.. أنا لا أملك تذاكر، فأنا أول مرة أتى إلى هنا .

-لا.. أنت تملك التذكرة في جيبك .

ضاق صدري من هذا الغريب ووضعت يدي في جيبى لأثبت له أنها ليست معي: "أين؟.. أخبرتك أني لا أملك تذاكر، أين.. !!!"، لكنني وجدت شيئاً في جيبى، أخرجته لأجد أنها التذكرة فعلاً!!

زادت حيرتي وزاد شكى في نفسي، تكلم بنوع من التهكم: "لا تشكك في كلامي مرة أخرى، فنحن نعرف عنك كل شيء".

لم أرد عليه، تجاهلته لشعوري بالإحراج، فأنا الآن في نظره غريب الأطوار كما هو في نظري، دخلت المحطة ووضعت التذكرة التي وجدتها في جيبى في مكانها في البوابة، سُحبت التذكرة وأضاء الباب باللون الأخضر وفتُح الباب، لأدخل مكاناً غريباً لم أدخل مثله من قبل.. محطة انتظار الموت.

في الداخل كان هناك رجل على الرصيف، يبدو عليه الملل من كثرة الانتظار، حركاته تنم عن تسرع وتنم عن أنه فقد القدرة على الانتظار، ينظر في الاتجاهين على أمل أن يرى القطار، لكن القطار لم يأت بعد.

كانت المحطة من الداخل كثيفة المنظر، وكانت الحوائط جميعها مكتوب عليها (M , V , G , Y)، على ما يبدو أن شبيهي غريب الأطوار الذي يبحث عن معادلات الموت كان في الداخل هنا، كما كانت المقاعد على شكل توايت خشبية! وكان بجانبها أقمشة بيضاء تصلح أن تكون أكفأناً، يبدو أنهم وضعوها هنا للمتظرين في البرد القارس!

الليل فالنهار ثم الليل فالنهار، عيني أصبحت لا ترى بشكل واضح من كثرة تغير الإضاءة، أغمضها قليلاً لتستريح لكنني حينما أغلقها تعاودني الذكريات لذلك أفتحتها سريعاً.. الألم العضوي أهون عليّ من الألم النفسي!

الصداع بدأ يضرب رأسي، وضيق التنفس بسبب جيوبي الأنفية يزيديني توتراً.

مشيت في اتجاه ذلك الرجل الواقف على الرصيف ينتظر القطار، سمع ذلك الرجل خطواتي خلفه فنظرت لي، إنه أنا أيضاً!! يبدو أنه لم يتفاجأ بوجودي أو لم يؤثر فيه، بادرته بالحديث: "ماذا تنتظر؟".

نظرت لي نظرة أشعرتني بالغباء وقال: "أنت مباحث؟!".

- لا .

- صاحب المحطة؟!!

- لأ أنا

قاطعني: "آسف، لم أكن أعلم أنني أقف على رأسك". وتحرك وهو يعتذر لي بيده، يبدو أنه يسخر مني، شعرت بالإحراج فابتعدت عنه، لم يلتفت لي ولم يُعرنني أي اهتمام، لكنني مضطر على أن أتحدث معه لأفهم أي شيء، ذهبت إليه مرة أخرى فنظر لي بضيق وملل ونفخ بفمه وهو يشيح وجهه عني، قلت له: "لماذا تشعر بالضيق تجاهي؟!!"

- أنا لا أشعر بالضيق تجاهك، أنا لا أعيرك اهتماماً في الأصل؛
لأنني منشغل .

تعجبت من ادعائه الانشغال وأنا أراه لا يفعل شيئاً سوى الانتظار:
"منشغل؟! فيم؟!"

تأفف بضيق صدر وقال: "أنتظر."

-ماذا تنتظر؟

"- أنتظر الفرج، عسى أن يتم الأمر بسرعة ونرتاح من هذه الأشكال"، مشيراً إليّ .

لم أفهم من إجابته ماذا ينتظر؛ لأنه يجب عليّ بضيق ممتزج بسخرية مني: "لم أفهم مجددًا ماذا تنتظر، أجبني إذا سمحت، فأنا من إجابتك سأتعرف على مكاني ومن ثم سأذهب إلى بيتي."

- حينما دخلت من الباب، ماذا كان اسم المحطة؟

- محطة انتظار الموت .

- إذن فماذا أنتظر؟!

فهمت الآن ماذا ينتظر، لكنني لم أفهم أين أنا، الصداع يضرب رأسي بقوة، تحاملت وسألته: "أنتتظر منذ فترة طويلة؟"

إجابته كانت مثيرة للدهشة، قال: "خمس سنين ."

- خمس سنين!!!

- لذلك أنا أشعر بالضيق، فأنا حينما أتيت إلى هنا أول مرة كنت أعتقد أن الأمر سيمر بسرعة، لكن على ما يبدو أن الأمر ليس بالسهل، غير سهل أن تتمنى الموت فيأتي لك، الموت غفلة، الموت لن يأتي بسهولة كما تتوقع، لا بد أن تتعذب وبعد أن تتعذب تتعذب مرة أخرى وتظل على هذا الحال إلى أن يحدث أمر في حياتك يجعلك تتمسك بالحياة

وتحبها، شيء يعطيك أمل من جديد، وحينما تتمسك بالأمل يأتيك الموت، ولعلمك، أنا أعرف فيم تفكر الآن.
-من أين لك العلم؟!

بابتسامته الساخرة قال: "لأننا شخص واحد يا غبي".

قال لي هذه الكلمات ورأسي شعرت بأنه ينقلب رأسًا على عقب، كأن هناك إعصارًا يضرب رأسي بعنف، كان لتأثير الصداع وتعاقب الليل والنهار السريع أثر بالغ الأهمية في تشكيل هذا الإعصار، لم أستطع أن أتمالك نفسي، شعرت بالدوار وسقطت على الأرض، العالم بأسره يدور أمام عيني، وهناك أشخاص كثير أراهم يلتفون حولي، أرى أربعة أشخاص يقفون أمامي وأنا واقع على الأرض، كانت المفاجأة أنهم جميعهم أنا!!.

رأيت الشخص المجنون الذي دفعني في الحفرة الأولى ورأيت العبثي وكان العدمي واقف أمامي من البداية، ثم كان رابعهم شخص أتى من بعيد، شخص عليه علامات الرزانة والقوة، والقوة هنا ليست القوة الجسدية لكنها القوة النفسية، كان المجنون كما هو يضحك عليّ،

والعبيثي يرى أن ما يحدث لي شيء مثير لليأس، كما كان العدمي يرى أن الحياة لا فائدة منها وأن الموت راحة من هذا العالم غير المجدي، لكن الشخص الرابع جاء، لم يحدثهم ولم يلتفت لهم، اقترب مني وحملني على كتفه، انتابنتني حالة من الراحة والاطمئنان، بعدها لم أشعر بأي شيء، فقدت الوعي.



مقابلة العاقل

نظرت خلفي فوجدته ينظر لي، قال: "انتظر يا دكتور، أنا أصدق أنك تستطيع مساعدتي، وأنا شعرت فعلاً بصدق كلامك وأنتك مررت بظروف صعبة مثلي".

لم أصدق ما سمعت، أحقاً سيساعدني في تجربة اختراعي، أنا الآن على بعد عدة خطوات من النجاح المبهر، عدة خطوات قليلة وسيتعرف العالم على اختراع سيغير كل شيء في حياتنا، لكنني في البداية لا بد لي من معرفة قصة هذا الرجل الذي أمامي، ما الذي أوصله لأن يقتل؟ ما الذي أوصله إلى أن يظل صامتاً فترة كبيرة من الزمن؟

سألته: "لكن في البداية لا بد أن تحكي كل شيء أوصلك إلى ما أنت فيه الآن"، فتحت هاتفي وبدأت في التسجيل، ثم أخرجت ورقاً وقلماً واستأذنته في تدوين أهم الملاحظات بجانب التسجيل لأنها ستساعدني كثيراً، وافق، وبدأ يحكي حكايته التي سميتها (حكاية العاقل).



مذكرات الدكتور الشخصية

عادي وعيبي وعادت معه روعي إلى العالم الطبيعي، عالم لا يحتوي على هذه الأحداث المثيرة للجنون، لم يكن هذا العالم سوى جولة بسيطة في متاهتي الداخلية، وما كانت هذه الشخصيات إلا جوانب في شخصيتي جوانب موجودة داخل أي شخص طبيعي، لكن الجانب الطاعني عليها هو الجانب المتزن، وهو من حملني في النهاية ورحل بي ليريني بعض الشيء من نفسي، ويعلمني أن أفضل شخص أكونه هو أنا حتى وإن لم أكن على قدر كافٍ من الإقناع وحتى وإن لم أكن صاحب شخصية جذابة، فأنا لم أخلق لإبهار الناس، أنا خلقت لأكون أنا.

وبهذا قد مررت على الأربع مراحل التي تحدثنا عليها من قبل، والآن أنا في آخر مرحلة وهي مراجعة حساباتي في كل شيء، أنا الآن شخص جديد لكن ما يُرهقني حتى الآن هي ذاكرتي وهذه المشكلة أنا على وشك حلّها.



السفّال

استيقظت في الصباح على فزع رهيب جراء وقوع نقط ماء على وجهي، فتحت عيني لأجد صديقي يُمسك في يده كوب ماء ويصبه عليّ، قلت: "ألن تُشفى من هذا التخلف أبدًا؟".

- هل هناك أحد يغير طبعه؟! -

- رد ثقيل مثل صاحبه .

- ارتدي ملابسك لأن اليوم قارب على الانتهاء، نريد أن نتجول بعض الوقت وأعرفك على المدينة.

- أين سنذهب؟

- ستتجول بعض الوقت في داكار.

تركني وحيدًا كي أبدل ملابسني ونذهب في هذه الجولة السياحية المجانية التي سيكون فيها صديقي مرشدي السياحي وحينها قال لي: "وهي فرصة لكي أتدرب فيك لأنني أريد أن أكون مرشدًا"، لكنه أكمل وهو يضحك حينما لمح في عيني نظرة تعجب، وقال: "مرشد سياحي، وليس مرشدًا للقسم يا بقرة".

فتحت حقيقتي وأخرجت منها الملابس التي سأرتديها، الشورت
والفانلة الكحلي والحذاء الجلد الطبيعي، ارتديت الملابس وخرجت
لأجده منتظري، بمجرد خروجي له وإلقائه نظرة على ملابسي حتى
انفجر ضاحكًا وقال: "أنت في داكار ولست في جمصة".

الجو هنا حار والرطوبة عالية وهذه أنسب ملابس .

ضحك أكثر ودخل غرفتي وأمسك حقيقتي وهو يبحث بداخلها
وقال: "بالتأكيد أحضرت معك العوامة والجردل والجروف لكي تلعب
في الرمال على البحر".

تمنيت أنني لم آت إليه بهذه الملابس، فهو من عادته أن يسخر من
كل شيء، وأنا أعطيته الفرصة بملابسي التي فعلا لا تنم إلا عن شخص
ذاهب إلى البحر.

انتهى من السخرية مني ومن ملابسي ومن كل من يعرفني وهممنا
بالنزول إلى الشارع، قال لي ونحن ننزل: "مدينة داكار موجودة على
المحيط الأطلسي والمكان الذي عليه المدينة اسمه شبه جزيرة الرأس
الأخضر، ومن التاريخ تعتبر داكار أول ميناء في غرب أفريقيا وهذا من
سنة 1910".

كان شرحه ممتعًا لي وأحسست أنه على دراية بأشياء لا يعرفها إلا أهل السنغال، قلت له: "تصلح لأن تكون مرشدًا سياحيًا".

ابتسم وأكمل وهو يشير إلى المباني: "الطريقة التي بُنيت بها معظم المباني هنا متأثرة بدرجة كبيرة بالطراز الفرنسي مثل مبنى وزارة الخارجية أو المباني المحيطة بساحة الاستقلال، وكما يظهر التأثير هذا بأسماء الشوارع مثل شارع جورج بومبيدو، وجورج بومبيدو هذا كان رئيس فرنسا من سنة 1969 إلى 1974"، كنا نمشي في الشارع وكانت المنازل من حولنا تتكون من طابق أو طابقين وقلما تجد مبنى مكونًا من أكثر من ذلك، وكانت المباني بألوان مختلفة لكن اللون الطاغي كان اللون الأصفر، وبعدها سرنا في شارع جورج بومبيدو وصلنا إلى سوق سانداجا، قال صديقي: "هذا السوق به الكثير من البضائع والسلع الأساسية، هناك الخضار والفاكهة والتوابل، كما يوجد سوق كرملة وهذا من أشهر الأسواق التي في المدينة لكن حدث فيه حرائق كثيرة لذلك اضطر التجار لعرض البضائع في الشوارع الجانبية".

كنا نمشي في الشارع منذ فترة، قطع صديقي كلامه ليشير لي إلى ميدان الاستقلال، وقتها تأكدت أنه لا يصلح أن يكون مرشدًا سياحيًا ولا حتى صبي مرشد سياحي!

قلت له: "أتعلم.. أنا إذا كنت مرشدًا سياحيًا فسيكون عملك
معي أن تظلل عليّ بالشمسية."
قال ضاحكًا: "لماذا؟"
-وصفك ليس مثل الحقيقة .

-الحقيقة دائمًا لا توصف بصورة دقيقة، لا بد أن تجد أشياء مختلفة.
كان هذا الميدان شديد الجمال، فبالرغم من أن شوارع المدينة ترابية
وحتى التي يوجد بها أسفلت يغطيها طبقة من الرمال إلا أن هذا الميدان
كأنه أقتطع من مدينة أوروبية، كانت الأشجار تزين الميدان وكانت
المباني متطابقة إلى حد كبير مع التي في أوروبا، وكانت سيارات الأجرة
تتواجد بصورة كثيفة في الساحة، وكان لون السيارات أصفر، كانت
تشبه إلى حد كبير سيارات الأجرة في مدينة نيويورك، كما ذهبنا إلى نصب
النهضة الأفريقية والذي كان نصبًا هائل الحجم وكان عبارة عن رجل
أفريقي وكأنه يخرج من الصخر وكان يمسك في يده اليمنى امرأة ويحمل
على كتفه الأيسر طفلًا صغيرًا، بعدها توجهنا إلى حي يُدعى سوبديو
وهو حي يضم أكثر من خمسمائة حرفي يمثلون كافة أرجاء البلاد وتتعدد
البضائع من تماثيل على هيئة حيوانات وساحرين أفاارقة وطبول وأدوات

زينة، كما يوجد بهذا الحي ميناء، في نهاية الظهرية تعود المئات من القوارب المحملة بأطنان الأسماك الطازجة التي تُباع في الحال كمية كبيرة منها وجزء يتم تجفيفه على قواعد خشبية وجزء آخر يتم تدخينه على الأرض مباشرة، كما أنه في شوارع العاصمة داكار توجد العديد من التماثيل وعندما سألت صديقي عنها قال: "هذه تماثيل للمحاربين السنغاليين الذين شاركوا في الحرب العالمية الأولى والثانية تحت قيادة فرنسا، لأن السنغال وقتها كانت تحت الاحتلال الفرنسي".

بعدها ركبنا حافلة أوصلتنا إلى محطة قطارات داكار وهي بناء مزركش ولها قبة خضراء ومن الداخل تتكون من رصيف من الأسفلت وقطارات قديمة بعض الشيء، لكنها تفي بالغرض وتصل شمال البلاد وشرقها، قلت لصديقي: "يكفي هذا لأنني أجهدت".

-لقد قاربنا على أن ننهي أهم المعالم الموجودة في مدينة داكار.

كنا نستقل الحافلة، وقفت الحافلة في المحطة ونزلت أنا وصديقي منها، أشار لي على مبني وقال: "وهذا يكون مسجد داكار الكبير، وهذا من أهم المباني الدينية التي في المدينة، وافتتحوا هذا المسجد سنة 1964".

كان المسجد باللون الأبيض وكان يحيط بالمسجد من الخارج أشجار، كما كانت مئذنة المسجد مربعة الشكل ترتفع إلى حوالي 60 مترًا، وكانت مزينة بحلقات مترابطة وكان لون المئذنة هو اللون الأخضر .

بعدها ركبنا الحافلة وزرنا القصر الجمهوري، الذي يتكون من قصر يحيط به سور حديدي كما هو الحال في البيت الأبيض الأمريكي، ويعود بناء هذا القصر وبلدية داكار إلى بداية هذا القرن، لكن مبنى البرلمان وأغلب مباني العاصمة ذات هندسة معمارية حديثة فمعظمها بُني بعد استقلال السنغال من الاحتلال الفرنسي عام 1960، انتهت أنا وصديقي من جولتنا هذه في العاصمة السنغالية داكار، ركبنا الحافلة وذهبنا إلى بيته الذي يقع في منطقة ليست غنية إلى درجة كبيرة، وكان بيته أيضًا يدل على البساطة، دخلت غرفتي ونمت لأستعد إلى اليوم القادم لأنه سيكون يومًا شاقًا عن هذا اليوم لأننا سنتجه إلى أحد أجمل الجزر على الساحل الغربي الأفريقي والتي تبعد حوالي 4 كيلو مترات عن داكار، سنتجه إلى جزيرة جوريه.



مذكرات الدكتور الشخصية

النجاة من الجنون ومن الصدمات تجعل منك إنساناً قادراً على فعل أي شيء، تجعل من عقلك عقلاً لا يعرف المستحيل، عقل يؤمن بأنه سيصبح من أكثر العقول إبداعاً في المجال الذي تحبه.

بعد المرور بكل هذه المراحل أصبح من الضروري إيجاد حل سريع لما أنا فيه، فأنا خرجت من هذه الكبوة لكنني معرض في أي وقت مع صدمات وخسائر أخرى أن أدخل فيها مرة ثانية وهذه المرة أنا على يقين أنني لن أخرج منها، وكان أكثر حل يدور في رأسي ويقول لي أنا حلك المثالي أن أخترع شيئاً يمسخ الذاكرة!!

تلك الذاكرة التي لو أمسكتها في يدي لاعتصرتها لأفرغ ما بها من ذكريات تعذبني، لكن الصعوبة تكمن في عدة أسئلة....

كيف أحدد مكان الذاكرة؟

وكيف سأمسحها؟

وما هذه المادة التي سأستخدمها؟

كانت هذه الأسئلة بمثابة تعقيد شديد لطموحي في إنتاج أول دواء لمسح الذاكرة، لكنني بدأت من طرف الخيط.

كان عليّ في البداية أن أفهم ما هو الدماغ البشري، مليارات الخلايا العصبية تكون تلك الكرة الهلامية ذات اللون الرمادي المائل إلى اللون الوردي، كما أن وجود تلك الألياف تُضفي على المخ طابعًا خاصًا، وتجعل منه لغزًا كبيرًا في جسم الإنسان، ذلك المخ ينقسم إلى نصفين تربطهما حزمة من الألياف العصبية البيضاء، تمتد هذه الألياف في الشق الطولي للدماغ لعدة سنتيمترات من الأمام إلى الخلف، وهو أكبر هيكل من المادة البيضاء في الدماغ ويسمى بالجسم الثفني، لا يتعدى وزن المخ عند البالغين 1.400 كيلو جرام وبذلك فهو يُشكل حوالي 2٪ من جسم الإنسان ولكنه يحصل على أكثر من 15٪ من غذاء الإنسان الذي يصله عن طريق الدورة الدموية، ومن أهم المكونات في المخ تلك الطبقة السطحية الرمادية التي تغطي المخ والتي تُعرف باسم القشرة المخية، تتكون هذه القشرة عند الإنسان من ست طبقات مُرتبة من الخلايا العصبية وهذا الترتيب هو ما يجعل مخ الإنسان معقدًا وقادرًا على الفهم والاستيعاب وهو ما يميزه عن باقي الكائنات، كما يتكون المخ من عدة

فصوص، الفص الجبهي، الفص الجداري ويقوم بالتحكم في عدد كبير من الوظائف الحسية، الفص القذالي وبه مراكز حساسة تتحكم في البصر، الفص الصدغي به مراكز حاسة الشم والسمع والتذوق، وأخيرًا الفص الجزيرة والذي سُمي بهذا الاسم لأنه مغطى بالفصين الجبهي والجداري، كما يختص كل فص في الدماغ بخصائص فريدة فمثلاً المخ الأيمن يهتم بالتناسق والألوان والخيال وهو يعتمد أكثر على الأحلام والطموحات، والمخ الأيسر يهتم بالكلمات والأرقام والمنطق والتحليل فهو يقرأ ليعرف الفكرة الأساسية في الموضوع ويتذكر بشكل أفضل.

بتشريح المخ نجد أنه يحتوي على الكثير من الأجزاء الأخرى مثل المخيخ وهو القسم الكروي الأصغر الذي يقع أسفل النصفين الكرويين في الجهة الخلفية للمخ ويتركب من فصين أيمن وأيسر يصل بينهما فص ثالث، يحتل ما يقارب 10٪ من حجم الجمجمة ويحتوي على 50٪ من الخلايا العصبية بالدماغ كما أنه مسئول عن التوازن والتحكم في الحركة، كما يوجد أيضًا النخاع المستطيل وهو يتعامل مع الحركات الإرادية مثل التنفس وسرعة القلب وضغط الدم، كما يتصل بالأعصاب القحفية التي حسب التشريح يبلغ عددها اثني عشر زوجًا من الأعصاب، العصب

الشمي، العصب البصري، العصب المحرك للعين والعضلة المستقيمة الوحشية، العصب البكري، العصب الثلاثي التوائم وهو عصب حسي وحركي مسئول عن تحريك الوجه، العصب المبعد، أما العصب الوجهي فهو المسئول عن عضلات الوجه حركياً ويحتوي على ألياف لأودية مفرزة للغدة الدمعية والأنف والغدتين تحت الفك وتحت اللسان، والعصب الدهليزي القوقعي مسئول عن الإحساس بالتوازن، العصب البلعومي اللساني مهمته نقل حاسة التذوق لمختلف الأطعمة، العصب المبهم ينقل الذوق من قاعدة اللسان إلى لسان المزمار، أما العصب الإضافي يتحكم في عضلات الشهيق ويُنظم عملية الزفير، وأخيراً العصب تحت اللسان وهو المتحكم في عضلات اللسان.

هذا تشريح الدماغ بصفة عامة ومختصرة، إذا أردت أن تتحكم في ذاكرتك فلا بد لك أن تفهم كيفية عمل ذلك الدماغ، لكن للأسف فالعلم برغم ما وصل إليه من تقدم لم يستطع حتى الآن تحديد مكان الذاكرة في المخ بصفة دقيقة، لأن الدماغ ليس عبارة عن غرف مقسمة ومكتوب على بابها "الذاكرة، الإحساس، المنطق"، بل هو عبارة عن كتل مقسمة لكل منها عدة مهام .

بعد دراسة تشريح الدماغ لدى الإنسان خطرت في بالي عدة أفكار من شأنها أن توصلني لهدي المنشود وهو مسح الذاكرة، ولكنني لتجربة أبحاثي كان لا بد من تجربتها على متطوع أولاً ولكن هذا الموضوع كان عقبة كبيرة، لأن هذا المتطوع سيكون أمام احتمالات عديدة في أغلبها أنه سيفقد رأسه أو أنه سيصبح مشوهاً، لذلك قمت بدراسة أدمغة الكائنات الأخرى، وجدت أن التجارب على الفئران ستكون جيدة لكنني تراجع، ووجدت أن هناك حيواناً سيسهل عليّ هذه العملية كثيراً لأنه في أغلب تكويناته العضوية يُشبه الإنسان إلى حد كبير، لذلك قررت أن أتوجه إلى هذه الوجهة الغريبة لأعود بما سيكون مساعدي في الوصول إلى اكتشاف من شأنه أن يقلب الدنيا رأساً على عقب.. إلى السنغال.



مذكرات الدكتور الشخصية

لكن الليل لا يجل إلا ويجل معه عذاب ذاكرتي، هل أخطأت
التقدير؟!

أم أنني مازلت مخطئاً في تقديري الحالي؟!

هل سأنساها بوحدة أخرى؟ لا أعتقد.. فمثلها لن أقابل كثيراً،
وحتى إذا قابلت ستكون أولهم هي أجملهم، لذلك لا أعتقد أنني
سأخرج من هذه الفترة الزمنية التي توقف عندها كل شيء، وقتي،
تفكيري، حاضري، ومستقبلي، سأظل أحبها، حتى وإن كانت هي من
أوصلتني إلى هذه الحالة من البؤس واليأس والضياع، بمجرد تذكرها
تُهدم حصوني المنيعة وأستسلم لأي هجوم وأكون غير قادر على تحمل
الوضع لذلك يكون النوم من النعم التي يمن الله بها عليّ في هذه الحالة،
أنام ليس لأنني أحتاج للراحة البدنية، لكني أنام لأنني أحتاج الراحة
النفسية.



حكاية العاقل

بدأ حكايته بسؤال مباغت: "ماذا تعرف عن الفقر والبؤس؟"،
لكني ظللت صامتًا، فأكمل: "في البداية أنا كنت متزوجًا وعندي
طفلين، أعمل في القطاع العام، وكان مرتبي لا يكفي فردًا عازبًا، فتخيل
أنني كنت ملزمًا أن أرعى بهذا المرتب الضعيف أسرة مكونة من أربعة
أفراد!

وبالطبع لم أكن أملك المال لأُدخل أبنائي مدارس، حتى مدارس
الحكومة لم أكن أملك مصاريفها، تخيل أنك إنسان متعلم وأبناؤك
يصبحوا جاهلين"، كنت أستمع إلى حكايته بلا مقاطعة أو سؤال أو
استفسار، كنت أريده فقط أن يتكلم، وكنت أشعر في نظرتي بألم رهيب،
لم سيجعله يضحى بأي شيء مقابل أن ينسى تلك الأحداث الرهيبة،
أكمل حديثه: "تخيل أن المفترض أن أبنائك يكون تعليمهم أفضل من
آبائهم وأمهاتهم، لكن في حالتي أنا حدث العكس، حياة بائسة ومن فقر
لأفقر لأن الأسعار كل يوم تزيد عن اليوم الذي سبقه، والمرتب مثلما

هو، كل يوم أذهب إلى العمل دماغي مشغول بمليون موضوع، ما العمل؟ أصرّف من أين؟ كيف سأصرف؟ تخيل أن الملابس غير النظيفة عندنا كنا نغسلها بالماء فقط! لم يكن معي أموالاً لأشترى مسحوق غسيل، الأموال التي معنا تكفي لأن نأكل حتى لا نموت من الجوع، أركب المواصلات وأجد الناس مشمّزة من رائحتي، لكن ما العمل؟ ما باليد حيلة، أذهب إلى العمل زملائي كلهم يطلبون طعاماً وأنا الوحيد الذي لا أطلب معهم وأظل جوعاناً، الأموال التي أملكها تكفي فقط المواصلات، وأوقات كثيرة تكون أقل وأضطر لأن أمشي إلى البيت، ساعتين مشي، وكأن يومك ينقصه تعب لكي تمشي ساعتين إلى البيت، بعد كل هذا الإجهاد أدخل البيت الذي هو في الأصل عشة فوق سطح منزل آيل للسقوط، المكان الذي أعيش فيه في الحالات الطبيعية يكون مكاناً تُربى فيه الحيوانات"، وقال وهو يتسم نصف ابتسامة تنم عن شدة الألم والعذاب: "وماذا يفرقنا عن الحيوانات؟! بالعكس الحيوانات تعيش حياة كريمة عننا!! تدخل البيت تجد وجوهاً مليئة بالبؤس، وتقريباً نسيت الضحكة كيف تُضحك!"، ونظر لي في عيني وسألني

السؤال الذي إلى يومنا هذا لم أعرف إجابته، قال موجهاً سؤاله لي: "ألا صحيح.. هي الضحكة كيف تُضحك؟!!!"، سؤال غريب لا يخرج إلا من شخص أعرب، أحياناً أشعر أنه حقاً مجنون وأحياناً أخرى أتأكد من أنه كان العاقل، لم أُجب عليه لأنه لم يكن يسألني لأجيب، لكنه كان يسأل من باب وصفه لحالته التي وصل إليها هو وأسرته، أكمل كلامه: "النوم من كثرة الجوع كان شيئاً عادياً في حياة أسرتنا، يمكن غير العادي أننا ننام ونحن مليئو البطون، مرت الأيام على الحال غير الآدمي هذا لمدة كبيرة إلى أن حصل ما لم أكن أتوقعه، قرار من الحكومة بخصخصة الشركة التي كنت أعمل بها"، وقال وهو يضحك بغل: "وكان الحكاية تنقص الحكومة، وكان الدنيا ومن فيها وما فيها اتفقوا عليّ أنا وأسرتي، وبالطبع خرجت معاشاً مبكراً وبالطبع حينما طلبت معاشي من الحكومة لم أصل لحل، زملائي في العمل قالوا لي إنهم سيرفعون قضية على الحكومة لأخذ حقوقهم، وبالتأكيد المحامي الذي سيرفع القضية سيحتاج أموالاً"، أسند جبهته بباطن يده وقال وهو مغمض عينيه: "أنا لو كان معي أموال لكنت اشتريت بها طعاماً للجوعى عندي في المنزل،

بالتأكيد أنا لست محبًا للجوع ولا هم من محبي العذاب"، ثم أخذ نفسًا عميقًا وأخرجه بتنهيده وأكمل: "المهم قررت...."، صمت قليلًا وأكمل: "كنت مجبرًا على أن أراجع ولا أقاضي الحكومة، لم أهدد ولكن لفقري وقلة حيلتي، اليوم الذي كنت أمكثه في البيت دون عمل كان يقربنا للموت أكثر فأكثر، بحثت عن العمل وأضعت الكثير من الوقت في البحث، ولكن من ذا الذي سيوظف شخصًا بلغ من العمر الخامسة والأربعين! أصحاب الشركات يُفضلون الشباب، محقون، فهم أكثر نشاطًا وأكثر تطورًا، فأنا عملت طيلة حياتي المهنية في القطاع العام وأكثر شيء متطور تعاملت معه كانت أجهزة يعتبرها العالم الخارجي خردة لا تصلح لأن يربى بها حيوانات، فما بالك بالعمل عليها وما بالك بأن الدولة كلها قائمة على مثل هذه الخردة! وأيضًا فأنا كانت النسبة الأكبر من العمل لديّ على دفاتر وأوراق، لم أكن من المنغمسين في التكنولوجيا، لذلك لم يوافق أحد على توظيفي، تمر الأيام ويزيد الهم والبؤس وأيضًا الديون، ولم أجد بدءًا إلا أن أقبل وظيفة متاحة، كانت وظيفة عامل نظافة"، وقال وهو يتسم بسخرية: "تلقيت تعليمًا جيدًا

منذ صغري، ولكن سوء حظي لأنني لا أملك أموالاً ولا أملك مهارات
أعمل بها، لذلك عملت في شركة النظافة، كنت أسير في الشوارع أبحث
عن قمامة لأخذها، أجول بنظري بحثاً، وكأني من صائدي الكنوز
وأبحث عن غايتي، فهناك من يبحث عن الذهب والماس وهناك من هم
مثلي يبحثون عن القمامة! كان المرتب أقل من المرتب الذي كنت أتقاضيه
في القطاع العام، لكن لا مفر من قبولها، فنصف العمى ولا كل العمى،
كانت الحياة صعبة لكنها لم تكن مستحيلة، العجز بدأ يصيبني وبدأ
شعري يشيب وبدأت التجاعيد تنال من وجهي المشدود، ليس كبر
السن، ولكن يبدو أنه من الشقاء الذي رأيته، يوماً أعود إلى العشة التي
أسكنها أشعر بأنني سأحاسب على أسرتي التي أذقتها من المر ما يكفي
ويفيض، فأنام وأنا أشعر بالذنب والندم، لأستيقظ عند مطلع الفجر
لأعاود الأحداث الروتينية من جديد، أعيد اليوم السابق ولكن بمسمى
اليوم، أبحث عن القمامة، أغوص في العفن والروائح الكريهة، لم أكن
أرى أن هذا العمل سييء أو كل من يعمله لابد له أن يخجل من نفسه،
لكن ما كان يثير الخجل داخلي أنني متعلم، ولا أجد عملاً مناسباً،

وحتى العمل غير المناسب لم يكن فيه الأموال التي تكفي لأن أعيش منفردًا وعلى الرغم من ذلك كنت أصرف على ثلاثة آخرون به، ومن المثير للسخرية أنه حينما يخرج معاش ويطالب بحقه من الحكومة يقولون له لا يوجد أموال لك، كيف؟! ألم أعمل بها؟! ألم أتعب من أجلها؟! ألم أبذل قصارى جهدي لأنها؟!

في يوم من الأيام عدت إلى بيتي لأجد زوجتي وقد أصابها هم كبير، هم جديد، ففاجأنتني بإجابة لم أكن أتمنى سماعها، في الظروف العادية ستكون مصدر سعادة بالغة، ولكن في الوقت الحالي كانت بمثابة فاجعة، كانت حقًا همًّا جديدًا، إنها حامل!! وكأن الأموال تفيض من محفظتي، وكأن الطفلين اللذين أملكهما تعلموا أحسن تعليم ويعيشون أفضل معيشة لكي أكون مسئولاً عن طفل آخر!

مرت الخمسة شهور التالية وأنا لا أكف عن التفكير، كأنه لغز جديد أحاول حله، أتقاضى مرتب لا يكفي أربعة أفراد فكيف سأجعله يكفي خمسة؟! لم يكن أمامي خيار، قلت إنه حينما يولد سيحل الكثير من التعقيد، هكذا تمنيتها، حان موعد الولادة ولم أستطع أن أوفر إلا الكثير من المال، لذلك أحضرت طبيبًا إلى المنزل وجعلته يولدها، لأجل هذه

اللحظة اجتهدت في العمل وعملت ساعات إضافية، واستلقت من كل من أعرفه حتى أوفر ثمن الولادة، لم يكن الكثير من المال بالنسبة لأناس عاديين، وكانت ممكن أن تكون حق سهرة له مع زوجته، ولكن بالنسبة لي كان شقاء على شقاء، وكان أيضًا ثمن أحافظ به على حياة زوجتي وابني الحديد، الديون، ما أقبح الدين! وما أثقله على القلوب!

أصبحت مدينًا للكثير من الناس، وزاد الحمل عليّ، لذلك لم أكن أملك غير أن أخرج همي في الحديث، لذلك تحدثت مع أحد الزملاء في العمل وحكيت له عما يؤرقني، فوجدته يقول إنه يملك حلًا لمشكلتي، وحينما سألته عن هذا الحل فاجأني برد لم أتوقعه، كان حلًا غير مستحب، ولكن الأغرب من الحل أنني كنت مجبرًا على التفكير فيه جيدًا!!"



مذكرات السجين

بعد أن فعلت ما أريد وتخلصت من كل مصادر الإزعاج في حياتي، تبقى معي آخر رصاصة، وآخر رصاصة يجب أن تصوب ناحية الشيء الذي مثل لي أكبر مصدر للإزعاج في حياتي، أمسكت المسدس ووجهته إليه.

لملمس الحديد في فمي مع طعم البارود كان شيئاً مثيراً للاشمئزاز، احتكاك أسناني بالحديد كان مثيراً للقشعريرة، لكنني على وشك الانتهاء، ضغطة واحدة وينتهي كل شيء، المعاناة، الحزن، العبء، العذاب، كل شيء سينتهي حتى الأشياء الجيدة، لكنني يجب أن أضحى، فالعذاب كان يغلب السعادة داخلي، أغمضت عيني، لقد حان الوقت.



السفغال

" استيقظ أيها البغل."

بداية تملؤها التفاؤل، تخيل أن هناك من يبدأ يومه بصباح الخير تخرج من إنسانة تملؤها الرقة وتفويض، وهناك من يبدأ يومه على هذا الكائن الذي يكاد يكون ذكر خرتيت لولا أن الله خصه بنعمة العقل، فتحت عيني وقلت له: "ألا تنوي خسارة بعض الوزن؟ أنا أعرف أن أفريقيا مليئة بالحيوانات، لذلك في كل مرة توقظني من النوم أعتقد أن هناك حيواناً هرب من المحمية وجاء لينقض عليّ."

ضحك هو وكرشه وخدوده وقال: "أنا هخس في حالة واحدة."

- ما هي؟

- حينما تنجح فيما تريد، أعدك أنه حينما تخترع ما تريد ويكرموك

سأتي لك الحفل وأنا "خاسس".

- قريباً، لا تقلق .

- لا أريد أن نضيع الوقت، سننزل الآن لأن هذا اليوم سيكون

متعياً عن اليوم السابق .

- أين نحن ذاهبون؟
- سأخبرك ونحن في الشارع.

قام من على السرير وخرج من الباب وأغلقه خلفه، وقمت أنا وارتديت ملابسني.

في الشارع وجدته يقول لي: "في هذا اليوم سنذهب إلى مكانين من أجمل الأماكن في السنغال، أولهما البحيرة الوردية وبعد ذلك جزيرة جوريه."

على بعد خمسة كيلو مترات من العاصمة السنغالية داکار، تقع بحيرة فريدة من نوعها وتعد من أهم الظواهر الطبيعية في السنغال كما تعد مقصد الكثير من السياح لما بها من مظاهر غير تقليدية للكثير منهم، فبداية من لونها الوردية إلى كيفية استخراج الملح بكثافة من مياهها. انفصلت هذه البحيرة عن المحيط الأطلسي وتحيط بها الصحراء من كل الجوانب، وعندما يختلط اللون الأصفر مع اللون الوردية للبحيرة يكون المنظر غاية في الجمال.

شرح لي صديقي الذي كان على ما يبدو مستعداً لزيارتي أشد استعداد، قال: "هذه البحيرة اكتسبت لونها لعدة أسباب، أولاً

الطحالب والكائنات الدقيقة التي تعيش فيها وثانيًا نسبة الأملاح العالية جدًا التي في البحيرة، طول البحيرة خمسة كيلو مترات وعرضها 800 متر وعمقها يصل إلى ثلاثة مترات، ولهذا الطحالب أهمية كبيرة في تغير لون البحيرة، فمع غياب الأكسجين وهبوب الرياح وتعامد أشعة الشمس تتفاعل الطحالب معها وتحول البحيرة إلى اللون الوردي، لكن مع غياب الشمس تعود البحيرة للونها العادي، وهذه البحيرة شديدة الملوحة، عملية استخراج الملح تكون عملية يدوية صعبة، واحد يمسك غربال ويغطسه في المياة ويُخرجه ويصفى المياة فيتبقى له الملح وهكذا، تعتبر البحيرة منجم استخراج ملح تصل النسبة سنويًا إلى 25 ألف طن ملح، لكن البحيرة تعتبر مقصد سياحي ليس فقط للونها الوردي لكن أيضًا لمشاهدة عملية استخراج الملح التي هي عملية غير متاح رؤيتها في الكثير من الدول."

انتهى صديقي من شرحه عن هذه البحيرة الخلابه التي لم أر مثيلاً لها في حياتي، هذه الظاهرة الفريدة والنادرة والتي تقع في مناطق قليلة جدًا في العالم، لكن وأنا واقف أمام هذه البحيرة تذكرت البحيرات التي في البلد التي أنا منها وقلت لصديقي: "نحن أيضًا نمتلك الكثير من

البحيرات ذات الألوان الغريبة، مثل البحيرات السوداء، وهذا اللون يرجع إلى أنها غنية بالفضلات!"

-صحيح، وأيضًا يمكنك أن تستخرج منها السماد العضوي بكثافة .

-ونستخدمها أيضًا في جذب السياح .

-ويُكتب على بابها متعة قضاء الحاجة في الهواء الطلق.

ضحكنا، لكنه ضحك كالبكاء على مقدار التخلف الذي وصلنا إليه.

بعد أن انتهينا من الجولة السريعة على البحيرة الوردية، قرر صديقي أن يأخذني في رحلة أخرى إلى مكان آخر مختلف تمامًا عن الذي كنا فيه، وجهتنا التالية إلى جزيرة تقع على المحيط الأطلسي وتعد من أجمل الجزر التي تقع على الساحل الأفريقي الغربي، جزيرة جوريه والتي تبعد عن داكار حوالي 4 كيلو مترات، كان واضح من النظرة الأولى أن الجزيرة تتمتع بطراز معماري متناقض إلى حد كبير، فكان فيها الطراز الفرنسي والطراز الأفريقي وكذلك الطراز البرتغالي، وحينما سألت صديقي عن سبب التنوع المعماري قال: "جزيرة جوريه تعتبر من أهم

المناطق التي تصارعت عليها الدول الأوروبية في القديم، احتلتها البرتغال وهولندا وإنجلترا وفرنسا، لذلك هناك تناقض واضح في الهندسة المعمارية للجزيرة.

سألته أنا: "وما سبب الصراع عليها؟".

-لأنها إلى القرن الـ19 كانت المنطقة الاستراتيجية للنفوذ الاستعماري للمنطقة وكان من يسيطر عليها يفرض سيطرته على المناطق المحيطة بالتالي، وكما كانت الشركات الأوروبية تقوم بتخزين الأسلحة والبارود والملح و سلع أخرى في هذه الجزيرة، وكانوا يقايمونها بالذهب والجلود والمسكات العربية وأيضًا بالعبيد أثناء تجارتهم مع ملوك أفريقيا.

كانت أرض الجزيرة ترابية كما كانت المنازل فيها تتكون من طابق أو اثنين بالأكثر، شوارعها ضيقة ويكثر بها أشجار الورد والأشجار العادية مما كان يضيفي على الجزيرة جو رطب كثير الظلال .

أثناء جولتنا في الجزيرة قال صديقي: "أترى ذلك المبنى ذا اللون الأحمر الغامق هذا؟".

-نعم.. ما هذا المبنى؟

- هذا يُدعى بيت العبيد، وهو يعتبر من أهم المعالم السياحية في الجزيرة، بُني سنة 1780 وكان يُستخدم لاحتجاز المعتقلين قبل ترحيلهم إلى أوروبا، وينقسم إلى غرف، كل غرفة مساحتها لا تتجاوز 7 أمتار، وسقفه حوالي 80 سم.

80 - ستيمترًا؟!!!

- نخيل .

- بمجرد التفكير لا أستطيع أخذ نفسي.

- هذا المكان كان يعتبر مركزاً لبيع العبيد وإرسالهم إلى أوروبا، عن طريق بوابة شهيرة في الخلف تدعى باب الالعودة وهي تتطل على المحيط الأطلسي.

مشينا مسافة قصيرة فوجدنا تمثالاً لرجل أسود كسر قيوده تحتضنه امرأة سوداء ووافقين على طبل كبير، كما كان يحيط بالتمثال أشجار ونخيل، سألت صديقي عن هذا التمثال فقال: "هذا تمثال الحرية، وهو يجسد فترة الاستعباد في الجزيرة."

أكملنا جولتنا في الجزيرة وشاهدت القصر الحكومي القديم والذي عبارة عن مبنى قديم، دهاناته متساقطة، تشعر وكأنه جد يحكي لكل من

يمر بجانبه قصته، كما تعرفت على مدرسة ويليام بونتي التي كانت رائدة في التعليم في القرن العشرين والتي خرج منها عدد كبير من الأطباء والروؤساء الذين شاركوا في إنشاء ونهضة معظم دول غرب أفريقيا، كما تخرج منها معلمون شاركوا في نهضة التعليم في غرب أفريقيا.

أكملنا جولتنا في جزيرة جوريه تلك الجزيرة الرائعة التي تجسد فترات الاستعباد والحرية، كما تجسد فترات وحقب تاريخية من الاستعمار ويظهر ذلك في المباني المتناقضة فيها، طلبت من صديقي أن نذهب إلى بيته بعد انتهاء هذه الجولة الطويلة حتى نرتاح قليلاً، لأنه لم يبق إلا مناطق قليلة أزورها في السنغال وبعدها أذهب لأرى الشمبانزي الذي سأخذه معي إلى معلمي لأجري عليه التجارب التي من شأنها إحداث ضجة علمية، وإذا نجحت في إيجاد طريقة للوصول لمسح الذاكرة سأكون أول من تُمسح ذاكرته!



هذكرات الدكتور الشخصية

حتى وأنا في بلاد بعيدة وحتى وأنا مع أحد أفضل الأصدقاء الذين
يُحسنون مزاجي مازلت لا أنسى، ومازالت ذكرها في ذاكرتي واضحة،
تكاد تكون أوضح مما أراه الآن أمامي، لكنني برغم ما سببته لي من
عذاب فأنا أتمنى من كل قلبي أن تكون في أفضل حال الآن، حتى لو مع
غيري، فأنا من حبي لها سأكون سعيدًا لها حتى لو كانت سعيدة هي مع
غيري، وصلنا البيت وطول الطريق يسألني صديقي عن سبب حزني
المفاجئ، وأنا أرد برد بارد كالعادة: "لا شيء، فقط أريد النوم"، ولكن
سبب حزني الحقيقي هو التفكير فيها، وضعت رأسي على السرير ولكن
النوم لا يأتي، أحاول ألا أفكر، فأفكر أكثر وأكثر، أحاول أن أنام فأجد
النوم يهرب مني كمن يهرب من ثأر عليه، أقاوم، لكن لا فائدة، لا مفر
من الاستسلام، أستسلم لها لتعذبني، فأنام من شدة الألم وعيني مليئة
بالدموع.



حكاية العاقل

"كان الحل غريبًا، وأنا كنت أغرب في أنني طلبت من زميلي فرصة لأفكر في حله، رجعت إلى بيتي، اعتزلتهم، الحل صعب لكن عدم الموافقة عليه سيكون نتائجها أصعب، تفكيري كله متركز على النتائج التي ستحدث في حالة الرفض، لكن كيف أفعل شيئًا كهذا؟! كيف أبيع لحمي ودمي؟! كيف أبيع طفلًا من أطفالي?!!!!"

فاجأني اقتراح صديقه في العمل الذي عرض عليه أن هناك امرأة غنية كبيرة في السن لم تنجب، تريد تبني طفل لم يُكمل عامه الأول ليكون ابنها، نظرته كانت تنم عن عذاب لا ينقطع، وأنا كنت أكتب ما يقوله ويحكيه، كنت أصف حتى تعابير وجهه التي في ذلك الوقت كانت تدل على العذاب الأبدي، أكمل حديثه: "لم أستطع النوم في ذلك اليوم من كثرة التفكير، ذهبت إلى العمل في اليوم التالي، وقابلت زميلي، سألني عن ردي، لكنني لم أكن أكذب عليه حينما قلت له إنني سأتأخر في الرد قليلًا لأفكر جيدًا"، ثم نظري وقال بتهكم: "غبي.. يعتقد أن بيع طفل

من أطفالك شيء سهل وعادي! يعتقد أنني سأفكر في نصف ساعة وسأقرر ثم نذهب لنكتب العقود، أهى شقة؟! هذا لحمي ودمي، صحيح أنني لا أستطيع أن أرفع لفقرتي، لكن هذا لا يمنع أنني أتمنى وجوده بجانبى، نعم.. هو لم يمكث معنا إلا ثلاثة أشهر لكنه لحمي ودمي"، قال لي: "أتعلم يا دكتور ما الذي كان يؤخرني صعوبة القرار، وما الذي سأقوله لأمه؟! هناك شارى لابننا الجديد!! لأنني لا أستطيع أن أرفعكم وأوفر لكم أقل حقوقكم لذلك سأبيع ابني!، وكلما أمر بضائقة أبيع واحداً إلى أن أضطر لبيع زوجتي ومن ثم نفسي!!، قررت أن أعمل ساعات أكثر وأحصل على أموال زائدة من العمل، وأن أخرج موضوع المرأة الغنية من رأسي، وبالفعل اتصلت بزميلي وأخبرته أن هذا الموضوع مستحيل، وأنني لا يمكن أن أفعل شيئاً كهذا وأبيع طفلي، لكنه رد عليّ وقال إن الموضوع مازال في يدي وأن الفرصة مازالت سانحة أمامي! المهم اشتغلت وطلع عيني وعين من خلفني وعين من يعرفني، لكن الزيادة التي أخذتها تُصنف في قائمة الملاليم، تحملت وطلبت من

أسرتي التحمل، لأن المصاريف على الأطفال في سن صغير تكون مكلفة
لأنهم يحتاجون إلى رعاية جيدة.

الطعام، كان طبيعي أن نقضى أيام من غير طعام، وأسابيع نأكل ما
يقتينا على قيد الحياة ويمنعنا من الموت جوعاً!

استمر هذا الحال لمدة أسابيع ولا يوجد جديد، الجديد أنني كنت
أعمل ساعات إضافية كثيرة والمرتب يزيد ولكنها زيادة طفيفة جداً ولا
تُحدث أثراً، كان أثرها غير ملموس، موضوع بيع طفلي كان شيئاً
مستحيلاً، ولكن المستحيل في مثل ظروفنا واردة!

لكن كان يجب على زوجتي أن تعرف فيم أفكر، وهذا من باب
مشاركتي وحمل عني العبء الذي كنت أحمله وحدي.

دخلت البيت في يوم، انتظرت إلى أن نام الأطفال، وفتحت معها
الموضوع بحرص شديد، هل أنا مقصر؟ قالت لي بالتأكيد لا، قلت لها أنا
أعمل لمدة 15 ساعة يومياً ولم أترك شيئاً أستطيع فعله ولم أفعله، لكن
الحمل أصبح أثقل، وأنا أتمنى أن نعيش كبقية الناس، نأكل مثلهم،
نشرب مثلهم، نُعلم أطفالنا مثلما يُعلمون أطفالهم، نحول حياة أطفالنا
من حياة بائسة لا يستحقونها إلى حياة تليق بهم، حياة طبيعية، لكن الفقر

يقف سداً منيعاً! الفقر الذي جعلني أجمع قمامة الناس، أعرف أن العمل ليس فيه ما يُججل، لكن العيب أن أكون متعلماً ولا أجد عملاً، المُخجل أن تُهان كرامتي من بشر يعانون من داء النقص لمجرد أني عامل نظافة، الإهانة ممكن أن تكون حركة أو نظرة، لا يشترط أن تكون كلاماً مهيناً، استمعت إليّ وكانت متأثرة، وأنا أيضاً كنت متأثراً جداً، استمررت في الحديث حتى كادت الدموع تنهمر من عيني، وفي النهاية صارحتها بالأمر الذي كنت أحيته عنها طوال هذه الفترة، كان رد الفعل الأول لها الصدمة، ومن الصدمة لم تتكلم، وأثناء التحديق ببعضنا البعض قطع الصمت المؤلم صراخ طفلنا المعروف للبيع! كان يبكي، وكأنه يبدي اعتراضه على كلامي! لذلك هي قامت من أمامي وذهبت له لتسكته ولم تعد مرة أخرى، شعرت بمدى غبائي، لماذا قلت لها؟ لكنني في ذات الوقت شعرت براحة لأن الحمل حُمل من على قلبي، لكن الجوع لم يُحمل!! والفقر لم يكف عن الأكل فينا وفي كرامتنا.

لم تتكلم معي زوجتي لمدة ثلاثة أيام، طفلي الجديد لم يعد يضحك حينما أداعبه، وكأنه يعلم فيما أفكر! كنت أضحكه حينما أداعبه لأنه الشيء الوحيد الذي لا يتطلب المال للقيام به، الشيء الوحيد المجاني في

هذه الحياة"، وقال وهو ينظر لي ويتسمم: "لكنني كنت أعرف أن قريباً ستكون الضحكة بالمال! ثلاثة أيام والوضع كما هو، من سييء لأسوأ، ومن جوع إلى جوع، لكن الراحة سيطرت عليّ بعدما صارحتها، حمل عني حمل ثقيل، لكن المفاجأة جاءت في اليوم الرابع، تحدثت زوجتي معي وقالت من هذه المرأة؟

الحمل الذي دفعته عني عادت وألقته عليّ مرة أخرى! زاد همي، حكيت لها كل شيء مرة أخرى، وكان ظاهراً عليها التعب، ليس التعب الجسدي بل التعب النفسي، وكان واضح أنها تُفكر في الأمر منذ ثلاثة أيام، قالت لي وهي تبكي لو كان هذا هو الحل الوحيد لإنقاذ الموقف فأنا موافقة، حائط خرساني وقع على رأسي من المفاجأة، الصمت سيطر علي ولم أقو على الكلام، لكنها قطعت الصمت وتحدثت، قالت: "الطفل الذي ستشتره المرأة الغنية سيعيش حياة أفضل من التي سيعيشها معنا، والاثنتان الآخران سترعاهم بالأموال التي ستعطيها لنا المرأة الغنية، وقالت وهي تبكي حتى كادت تخرج روحها، سنبيع لحمنا لكي نستطيع أن نرعى لحمنا"، وقال موجهاً كلامه لي: "لو كان الفقر رجل لقتلته،

لكن كلامها كان مقنعًا جدًا، لكنه كان قرارًا صعبًا، لكنه في ظروفنا لم يكن مستحيلًا!

لم أنم في ذلك اليوم، بكيت في ذلك اليوم كأني طفل صغير، أحسست بعدم الأمان، قلبي يؤلمني ولم أستطع معالجته، نفسي يتمنى أن يخرج ولا يعد إلى هذا الجسد الحقير مرة أخرى، أنتحر؟! لا فكرة غير صائبة، لكنني فعلاً أنتحر بقرار بيع طفلي، لكن لم يكن هناك حل آخر، لم تعطني الحياة فرصة الاختيار بين أكثر من حل، ووضعتني أمام الموت من الجوع أو الموت من الألم!!، يال عدلها.

في الصباح الذي باغتني، الذي تفاجأت أثناء تفكيري أنه جاء، نظرت في الساعة، ووجدت أن وقت الذهاب للعمل قد حان، لم أنم من التفكير ولم أشعر بالوقت، ارتديت ملابسني ونزلت، لم أكف عن التفكير أثناء رحلتي إلى العمل، مشيت شريد الذهن، ذو قلب منقطر، سألت نفسي: "لماذا أنا؟!"، كدت أصل إلى مرحلة الكفر، لشعوري بظلم عظيم، ما الذي فعلته لتسير حياتي على هذا النهج يا الله؟! أنا لم أطلب غير القليل لأجعل أسرتي راضية، كنت أتمنى أن يعيشوا كباقي الناس، لم أطمع إلا في حياة عادية، أبيع طفلاً من أطفالي!! هذا هو حالي؟! ماذا

بعد؟! دار في ذهني الكثير من الأسئلة لكنني كفت عن التفكير خشية الإلحاد، لأنني كنت على وشك الاعتراض على حكم الله، تراجعت سريعاً، استغفرت ربي.

كدت أفقد عقلي من التفكير، وصلت إلى مكان عملي وقابلت زميلي، أخبرته أنني سأبيع طفلي، وطلبت منه أن يحدد ميعاد مع المرأة الغنية لنذهب أنا وزوجتي وطفلي، لكي نأخذ المال مقابل الطفل! مر اليوم صعباً، نظرتي لنفسي حينما أمر بالصدقة أمام المرأة، نظرة استحقار، كنت حينما أنظر لنفسي في المرأة أقول لها: "ستبيع طفلك؟! تتفاوض على سعره؟! الأفضل لك أن تعرضه في مزاد وصاحب السعر الأعلى يشتري!!"، كنت أسير في الشوارع أحدث نفسي، كدت أُجن، ولكن كان هناك سؤال عجزت إلى الآن عن الإجابة عليه.. بكم ستبيع ابنك؟!!!

عدت إلى البيت، وأول شيء فعلته حينما دخلت أنني أمسكت ولدي واحتضنته بشدة، وجلست أشم رائحته التي كانت جميلة، كانت رائحة ملائكية، كانت مليئة بالطهارة، كانت رائحة نقية لم يشبها أي خطيئة، بحثت على أي علامة مميزة فيه حتى أعرفه إن التقيت به صدفة

في المستقبل .. إلى أن وجدتها، وحمّة على شكل موزة صغيرة تحت كف يده اليسرى، هذه العلامة لن أنساها طوال عمري، لأنها بالنسبة لي حياتي التي ضحيت بها من أجل أن يعيش إخوته حياة كريمة تليق بهم .

الحزن بدأ يأكل زوجتي، بدأ يحرقها، كانت تضعف كل يوم أكثر عن اليوم السابق، وأنا أيضًا، كنت محطّمًا، أخبرتها أننا سنقابل المرأة الغنية غدًا وسنعطيها الطفل، رأيت الدموع في عينيها، وتركتني ودخلت الغرفة التي هو نائم فيها، دخلت ورائها وجلسنا نحن الثلاثة معًا وكان هذا آخر يوم نجتمع فيه، وكان آخر يوم للراحة، لأن ما حدث بعد ذلك كان مأساة حقيقية!!

قضيت الليل بأكمله أنا وزوجتي بجانب ابنا، كنا نودعه، وكنت أشعر أنني السبب في كل ما وصلنا له، أنا الذي عجز عن توفير حياة كريمة لأسرته، أنا السبب، بدأت أكره نفسي، بدأت أذمها، وظللت أفكر إلى آخر لحظة كيف سأخرج من هذه المشكلة؟! كيف سأرفض عرضها المغربي؟! كيف سأنقذ أسرتي وأحميهم من الجوع دون التفريط في أحد منهم!؟

قلبي يعتصره الأمل كل ثانية، كنت كمثّل الذي لا يعرف السباحة ووجد نفسه فجأة في وسط المحيط! حتى إن استطعت السباحة سأغرق

من التعب، فما بالك بالذي أنا فيه، أنا الذي ربطوا يدي وقدمي
ومطلوب مني السباحة والنجاة!

وصعوبة الوضع ليست هنا أيضًا بل الصعوبة في أنه طُلب منك أن
تأخذ أسرتك إلى الشط أيضًا!! تعرف المستحيل؟"، هزرت رأسي
بالإيجاب، فقال لي: "الذي أنا فيه هو ما بعد المستحيل!".

حان وقت المقابلة، ارتدينا ملابسنا ونزلنا، أرسلت لنا المرأة الغنية
السائق الخاص بها بالسيارة، كان في الميعاد بالثانية أمام البيت، ركبنا
معه، وطوال الطريق كنت أفكر أن أفتح باب السيارة وهي تمشي وأقفز
أنا وزوجتي وابني، أو أرسل مع السائق رسالة لـ (الهانم) *هكذا
وصفها* وأقول لها ليس لدينا أطفال للبيع، لكن كل هذا لم يكن واردًا،
الفقر يقف سدًا منيعًا، بهذا البيع سأضرب عصفورين بحجر، سأبيع
الطفل لـ (الهانم) التي ستجعله يعيش حياة أخرى أكثر رفاهية وسعادة،
وفي نفس الوقت سأتمكن من تلبية بعض احتياجات أسرتي حينما أبيعته،
لكن الخاسرين في هذا الموضوع كله أنا وأمه، وبالأخص أنا، لأن
المسؤولية كلها عليّ، أنا الذي قرر أن يبيعه وأنا الذي أقنعها بالموافقة .

وصلنا بعد فترة إلى الفيلا، تخيل أنك تسكن في شبه بيت فوق
سطح ودخلت في أحد المرات إلى منزل جميل، ستبهر، وبصورة تلقائية

ستحسد ساكنيها، فما بالك بفيلا، هناك احتمال 70٪ أن تصاب بشلل، دخلنا الفيلا، رائحة الهواء يا دكتور كانت غريبة، طول عمري أعرف أنني أشم هواء، لكن حينما دخلت الفيلا وتنفست شعرت أن هذه أول دفعة هواء حقيقي تدخل رئتي، واكتشفت أن الفترة السابقة لم أكن أتنفس هواء بل زفير الآخرين!

النباتات الخضراء في كل مكان، واللون السكري المطلي به الفيلا، واللون الأزرق لحمام السباحة أعطوني إحساساً أنني لم أكن حياً قبل ذلك، ولم أكن ميتاً! كنت في منزلة في المنتصف.

أنا وزوجتي من الصدمة كنا سائرين كالسكارى، لم نكن نشعر بالدنيا، ولا بالناس، ولا بالرجل الذي على ما يبدو يقول لنا منذ أكثر من ثلاث دقائق تفضلوا من هنا، دخلنا، كانت الأرض ممسوحة بمعطر، وأنا الذي أغسل ملابسي بالماء فقط!! كل شيء منظم وفي مكانه، الرجل قال لنا تفضلوا بالجلوس و(الهانم) ستكون هنا بعد خمس دقائق، جلسنا على كراسي لم أر مثلها من قبل، والحقيقة أنني كنت محرجاً، كنت أخشى أن تُفسد نظافتهم بالجلوس عليهم! كنت جالساً في قطعة من الجنة، كنت ككيس قمامة في بحر كريستالي جميل! مرت دقائق لم أعدها ولم أشعر بها،

ووجدت (الهانم) مقبلة علينا وفي يدها قطة، كانت من شدة نظافتها تلمع، ومن جمالها تجعلك تخجل، هي بالتأكيد تستحم أكثر مني ومن أسرقي أجمعين، كانت هذه هي القطة فما بالك بصاحبها!

حينني أنا وزوجتي التي كانت تحمل الطفل، كانت في الخمسين من عمرها، وكان بادياً عليها الشوق حينما رأت الطفل في أحضان أمه، طلبت منا رؤية الطفل، للحظات شعرت أن زوجتي مترددة وأنها سترفض، أعتقد أنها ستصرخ في وجهها قائلة ليس لدينا أطفال للبيع يا عجوز، أعتقدين أنك بالمال تستطيعين شراء أي شيء؟ لكنها كانت تخيلات مني وهذا لم يحدث في الحقيقة، وبالتأكيد يمكنها شراء أي شيء بالمال! أعطتها الطفل لتراه، أخذته وتفحصته ومن ثم نادى على إحدى الخادومات وأعطتها الطفل، أمسكته التي على ما يبدو ستكون المربية الخاصة به وتفحصته، كأنها تشتري حمامًا أو كلبًا! ثم هزت رأسها بالإيجاب، ومن دون مقدمات وإضاعة وقت، وبالتأكيد وقتها هي فنحن وقتنا ضائع وهذا طبيعي! دخلت (الهانم) في صلب الموضوع، وقالت إنها ستدفع عشرة آلاف، لن أكذب عليك فالمبلغ فاق توقعاتنا، كان سعرًا مغريًا، وكان الطفل يبكي، وأنا كنت أفكر، ماذا سأقول؟

نعم؟! أبيع طفلي!! لا؟! أضحي بأسرتي التي تعتمد على هذه
الأموال!!

الفقر لم يدع لي فرصة للاختيار، الموت من الجوع من شدة الفقر في
حالة الرفض، أو أنك تبيع قطعة منك!!

وافقت!

وافقت لأنني لم أقو على الرفض، وافقت لأنني لم أستطع توفير
حياة كريمة لأسرتي التعيسة، وافقت لأن هناك من لم يعطني حقي وأصرَّ
على وضعي في طبقة كادحة لا تجد في أوقات كثيرة قوت يومها، كانت
زوجتي تبكي، وأنا حبست داخلي الدموع، لم أقو على إخراجها، لم أقو
على الظهور بمظهر الضعيف! لن أكون حقيراً وضعيفاً في الوقت ذاته!
لكني طلبت منها شيئاً أخيراً.. أودعه، آخر مرة سأراه فيها، لن أراه مرة
أخرى، أمسكته واحتضنته بعنف، وكأني أحتضنه لسنين قادمة! كانت
رائحته نقيه، رائحة تُشعرك بالجمال والبراءة، بالحنان والدفء، رائحة
تشعر وكأنها قادمة من الجنة، بعد ذلك همست في أذنه لكي لا يسمعي
أحد غيره، قلت له: (غداً تكبر وتصير رجلاً ذا شأن رفيع، غداً تقابل

أباك صدفة في الشارع لا تعرفه وتشمئز من رائحته، غداً تكبر وتعيش حياتك، أريدك أن تعلم أنني لم أتخل عنك إلا لمصلحتك أنت وإخوتك، قلبي يهمس داخلي قائلاً إنك ستكون ذا شأن، أتمنى أن أراك في أحسن حال، أتمنى أن تظل نقيًا كما أنت، ولا أتمنى أن أقابلك في يوم وأجدك مخيبًا للآمال)، ثم أعطيته لأمه التي كانت تبكي بطريقة هستيرية وهي تحتضنه."

تنفس بعمق ثم قال بابتسامة سخرية واضح فيها الندم: "أخذنا ثمنه ورحلنا، خرجنا من الجنة! ركبت سيارة أجرة، وكانت هذه هي المرة الأولى من زمن طويل التي أركب فيها سيارة أجرة خاصة، عدنا إلى العش الذي نسكن فيه، من فيلا إلى عشة، مأساة الفقر، هذه المقارنة التي ممكن أن تصيبك بذبحة صدرية!

كنت أعتقد أن الحياة ستكون أفضل بالمال، اعتقدت أنني سأستفيد به، ونسيت أو تناسيت أنني منحوس، وأن الدنيا تأبى أن أعيش سعيدًا، استيقظت في أحد الأيام على خبر مقتل، زوجتي تقول لي إن طفلاً من الاثنين الباقيين مريض!! أخذته إلى المشفى، أجروا عليه الفحوصات وخرج الطبيب قائلاً إن الطفل يحتاج تدخلاً جراحياً في أقرب وقت،

وحينما سألته عن تكاليف العملية الجراحية قال لي: "ثلاثون ألفاً!!"،
ثم قال وهو يضحك بغرابة: "تخيل.. لا أمل في الدنيا، الفقير سيظل
فقيراً طوال عمره، والمنحوس كذلك، فتخيل يا دكتور شخص يجمع بين
هاتين الصفتين! لم أكن أملك سوى خمسة آلاف، وكان كلام الطبيب
واضحاً، يجب إجراء العملية في أسرع وقت ممكن."
كنت على شك حينما قال لي إنه منحوس، لكن ما حدث بعد ذلك
جعلني على يقين تام أنه صنف نفسه بطريقة صحيحة .



مذكرات الدكتور الشخصية

الساعة 7.08 م

على ما يبدو أنه جرح لن يلتئم، لا أعلم لماذا لم يُقفل هذا الباب في ذاكرتي؟ لا أعلم لماذا تصر على تذكيري بها حينما أكون على وشك نسيانها؟ لا أفهم ما يدور في عقلها، لكن ما أفهمه الآن أن ذكراها تعذبني، وأنني في أسوأ حالاتي، أحاول قفل باب هذه الذكرى، لكنها أقوى مني، أعترف، أنا ضعيف أمامها، وشعوري أثناء تذكرها مزيج من فرح وحزن.



السنغال

استيقظت في الصباح على زلزال مدمر، هزة جعلتني أفزع، جعلتني أشعر أن تسونامي سيقتلنا من الحياة، أو أن اليوم هو يوم القيامة والأرض تتشقق من تحتنا لتبتلعنا، أو تخرج منها النار لتحرقنا، لكن هذا كله كان خطأ، لأنني حينما فتحت عيني وجدت أن الموضوع كله أن صديقي الثمين جلس على السرير الذي أنام عليه!

لمح في عيني الفزع، ولمحت في عينه السخرية، كالعادة، قال: "ماذا؟!، تُشعرنى وكأن سيارة نقل صدمتك"، نظرت له وأنا أكتم الضحك داخلي وقلت: "أنا لا أرى فرق بينك وبين سيارات النقل"، ونظرت إلى ظهره وأكملت: "إلا أنك تسير من غير لوحة أرقام"، ثم حدث زلزال آخر جراء ضحكه، قال لي بعدما انتهى من الضحك: "اليوم هو آخر الأيام، وسنذهب إلى جزيرة تُدعى سان لويس".

ارتديت ملابسني، ونزلنا إلى الشارع، الطريق إلى سان لويس طويل، كانت بعيدة عن داكار، كان الطرق أشبه بالسفر، ولكن هناك شيئاً لفت نظري على الطريق، أشجار غريبة المنظر، ساقها سميك وطويلة

وأوراقها قليلة ومتجمعة بطريقة تشبه العشب، سألت صديقي: "ما اسم هذه الأشجار؟"، قال: "هذه أشجار البأوباء، وهي تعتبر رمز الوطنية هنا في السنغال، هذه الشجرة موجودة على الشعار الوطني للدولة، وهي لها أهمية كبيرة لأنها تستخدم في صناعة قوارب الصيد لأن خشبها خفيف"، أخذ يتحدث طوال الطريق عن جزيرة سان لويس، قال: "سان لويس لها أهمية كبيرة جدًا بالنسبة للسنغال، أهمية تاريخية بوجه الخصوص، وأهمية تجارية كبيرة جدًا، وهذا لأنها حلقة الوصل بين المحيط الأطلسي ونهر السنغال، المدينة بُنيت مطلع القرن السابع عشر على مصب نهر السنغال، ومنذ إنشائها كانت مركزًا لتجارة العبيد، وفي أوائل القرن التاسع عشر دخلت المدينة في مرحلة من الازدهار ثانية، وهذا بفضل تجارتها في الصمغ العربي، وفي سنة 1848 بعد إلغاء العبودية في المستعمرات الفرنسية، دخلت سان لويس مرحلة جديدة في التجارة، بُنيت مستودعات عند مراسي السفن التجارية، بحيث كانت السفينة ترسو، فيكون في الطريق بضائع قادمة من السنغال عن طريق النهر، تُبدل ببضائع مصنعة مشحونة عن طريق البحر، استمرت المدينة في النمو والازدهار إلى أن أصبحت عاصمة غربي فرنسا الأفريقي عام

1895، من شدة جمال المدينة وأهميتها التاريخية صنفها منظمة اليونيسكو إرثاً عالمياً، وبدأت في إعادة بناء وترميم بعض المباني التي كانت على وشك السقوط"، ظل يتحدث إلى أن وصلنا إلى وجهتنا، سان لويس، من الوهلة الأولى رأيت أنه لا يوجد فرق بينها وبين باقي المدن السنغالية، لكن حينما اقتربت أكثر وجدت أنها فريدة ولا تُشبه أي مدينة في السنغال، كانت مزدحمة جداً بالسكان، كما كان الباعة المتجولين في كل مكان، والمتاجر كثيرة وتبيع كل ما يخطر على بال أي شخص، قال صديقي وهو يشير إلى جسر: "جسر فايدهرب، يعتبر من رموز المدينة، لأنه بُني أيام الاستعمار الفرنسي"، كان عبارة عن جسر حديدي، كان الحديد على شكل أمواج متتابعة، وكان به الكثير من الصدأ، لكنه من أهم الجسور التي في السنغال لأنه يربط عدة أماكن يفرقها النهر، وكان كما هو الحال في كافة المدن السنغالية، فإن الطراز المعماري متنوع، بين القديم والحديث، الفرنسي والأفريقي التقليدي، كان مزيجاً رائعاً من الأناقة والكلاسيكية، كما كان هناك ما هو لافت للنظر بشدة، ألا وهو أن الكنائس والمساجد متجاورة، وهو على خلاف دول أفريقية كثيرة، حيث الفتن الطائفية، مشينا قليلاً أنا وصديقي إلى أن وصلنا إلى جسر

آخر، قال صديقي: "وهذا جسر اسمه جسر فيدير، وهو يصل أجزاء كبيرة من المدينة ببعضها، والذي صمم هذا الجسر هو جوستاف إيفل وهو مهندس معماري فرنسي، ويصل طول الجسر إلى 507 مترات، وهذا الجسر يعتبر أول مشروع قام بعمله حاكم المستعمرة فيدير، ويرجع له الفضل أيضًا في توحيد البلاد، وتكريماً له قاموا ببناء تمثال له في مدينة سان لويس، وأيضاً جعلها قاعدة للبعثات العسكرية المتجهة إلى السودان ومركزاً لتجارة العبيد والذهب والعاج، فكانت عاصمة السنغال إلى عام 1902 بعد ذلك أصبحت داكار عاصمة رسمية"، مشيناً في المدينة إلى أن وصلنا إلى مبنى باللون السكري، فسألت صديقي عن هذا المكان فقال: "هذه ثانوية البنات، وهذا مبنى منذ أيام الاستعمار الفرنسي"، كان مكاناً جميلاً جداً، اقتربت منه وألقيت نظرة عليه، كان عبارة عن مبنى رباعي الأركان لونه سكري، وفي الوسط مكان مكشوف به أشجار خضراء، كان منظرًا جميلاً، كما كان لصوت العصافير مع هذا الجمال سحر خاص، أخذني صديقي بعد ذلك إلى وجهتنا السياحية الأخيرة في السنغال، محمية طبيعية تُدعى دجودج، وهي من أهم الوجهات السياحية الموجودة شمال شرق سان لويس، عندما وصلنا

إلى هناك وجدت المنظر رائعاً، كان هناك الآلاف من الطيور الموجودة في هذه المحمية الطبيعية، خلاف الكائنات الأخرى، كانت بيئة متكاملة، قال صديقي: "محمية دجودج من أهم المحميات الطبيعية الموجودة في السنغال، لأنها تستقبل حوالي 400 نوع من الطيور تهاجر إليها سنوياً، ومن أكثر الأنواع الموجودة هنا البجع، هذا غير النباتات، في سنة 2000 صنفت هذه المحمية على قائمة مواقع التراث العالمي المعرضة للخطر، وهذا بسبب التلوث والغازات الناتجة عن المصانع وتشغيل سد دياما على نهر السنغال سنة 1988 الذي نتج عنه انخفاض منسوب المياه، وزيادة نسبة حلاوة المياه وزيادة الطمي، كل ذلك شكّل تهديداً على الحياة البرية في المحمية وجعلها على القائمة، لكن في سنة 2006 تم حذفها من القائمة."

كان البجع يقف على جزيرة وسط المياه في المحمية، وكانت الرطوبة عالية، لكن جمال الطبيعة لم يدع لي مجالاً للاعتراض أو الشعور بالضيق من الرطوبة، كانت لحظات سعيدة ولن أنساها، بعد الانتهاء من الجولة السياحية مع صديقي السمين، قال لي: "سنعود إلى البيت لننام وتستريح لنستيقظ في الصباح الباكر قبل ميعاد طائرتك لأن صديقي سيأتي لنا

بالشمبازي، تأخذه وتعود سالمًا إلى الوطن"، قالها وهو يبتسم. كان موقفًا رائعًا من هذا الصديق الرائع، وبالفعل فأنا قضيت معه أفضل أيام في هذه الرحلة الرائعة.

في الصباح استيقظت على ضوضاء، لم أفهم في البداية ما الذي يحدث، لكن عندما استيقظت وجدت أن الموضوع وما فيه أن صديقي السمين يلهو مع الشمبازي، قلت له ساخرًا: "سبحان الله خرتيت يلعب مع شمبازي، أتعلم.. أنا لو أخرجت كاميرا وصورتكما معًا وأرسلتها إلى قناة وثائقية سأخذ مبلغًا كبيرًا منهم مقابل ذلك المشهد النادر"، ضحك وقال لي: "ارتدي ملابسك لأنني سأذهب معك إلى المطار، سأمسك أنا القفص وأنت ستحمل أغراضك"، دخلت، ارتديت ملابسني، خرجت أنا وهو، ذهبنا إلى المطار في ميعاد مبكر بعض الشيء يسمح لنا بوداع بعضنا البعض، قلت له: "أتعلم.. بغض النظر على إنك لا تقول جملتين دون أن تسخر من شيء لكن أنا لا أعرف كيف أشكرك على هذه الأيام وهذه الخدمة الجليلة، وأنت حقًا من أكثر الأشخاص قربًا لقلبي"، قال لي وهو يبتسم: "الأمر أبسط مما تتصوره، أنا لم أفعل شيئًا مستحيلًا وأي شخص مكاني سيفعل كما فعلت وأزيد،

لكن أنا عندي شرط، حينما تنجح في اختراعك أخبرهم أنني ساعدتك"، لم يكن يتحدث بجدية، لكنه كان لا يجب لحظات الوداع، فكان يقول أي شيء ليداري حزنه على رحيلي، ودعته وداعًا حارًا، وقلت له إنني في انتظار زيارة منه، ثم ركبت الطائرة وأنا لا يوجد في رأسي ولا أفكر في شيء غير ما يخبئه لي المستقبل، الذي يعتبر بالنسبة لي الآن وأنا أكتب المذكرات ماضيًا حدث، لو كنت أعلم أن كل هذا سيحدث لما ذهبت إلى السنغال، ولا حاولت اختراع هذا الشيء، ولا فكرت من البداية في هذا الموضوع .



حكاية العاقل

"مرض غامض!! لم أعلم على أي أساس أخبرني الطبيب أن العملية ستتكلف ثلاثين ألفاً؟ وأنا لم أكن أملك سوى خمسة آلاف، ما الحل؟؟!"

الطبيب ليس لديه حل، أخذت ابني ورحلت من المشفى، رحلت ولم أكن على علم بوجهتنا.

طوال الطريق كنت أفكر، لا بد من إيجاد أموال كافية لإجراء هذه العملية، لن يقوم الطبيب بأي شيء من غير أموال، حتى وإن مات الطفل لن يتدخل دون مال!

نعم الطبيب ونعم الرسالة!!

جاء في ذهني حل، كان أقرب حل إلى الواقعية منه إلى الخيال، كان هذا من وجهة نظري السطحية!

قدمت طلباً للعلاج على نفقة الدولة"، قلت له بفضول شديد: "وماذا بعد؟!"، قال: "لم يعرفوني اهتماماً، وكأني حيوان، وكأن حياتنا

ليست كحياتهم، وكأن لأرواحنا شديد العقاب ولأرواحهم المغفرة والرحمة! نحن أرخص منهم، أبناءهم أعز عليهم من أبنائنا! شعرت أنه لا قيمة لي، سمعت في مرة من المرات أن هناك وزيراً في الدولة عُولج على نفقة الدولة، هل هو محتاج؟! وإن كان محتاجاً هل أنا لست بمحتاج؟!!!

أنا الذي لا أجد قوت يومي، أنا الذي أسكن في عش فوق سطح! بالتأكيد لا أوفر المال من أجل شراء سيارة جديدة! بالتأكيد لا أريد السير في الشارع رائحتي كريهة! ذهبت إلى مكتب وزير الصحة وصرخت بأعلى صوتي، ابني سيموت، ابني في أمس الحاجة للعلاج وأنا لا أملك المال!"، قلت له: "والوزير نزل أخذ معك بعض الصور وقال أمام كاميرات التلفزيون أن ابنك سيُعالج على نفقته الشخصية؟!"، قال: "كنت أتمنى، أتعلم حينها يعبر من جانبك كلب؟ أيلفت انتباهك؟"، هزرت رأسي بالنفي، أكمل: "هذا ما حدث معي، كلب جرب مر من أمام مكتب الوزير! والحكاية لم تقف عند هذا الحد من الإهانة، لكن الأمن الشخصي له جاء لي وأجبرني على الرحيل بالقوة! وحينها رفضت المغادرة أبرحوني ضرباً! كنت أبكي وأنا أحتضن ابني

وأقول لهم إن ابني سيموت إن لم يجروا له هذه العملية، ردوا عليّ
بالإهانة!!!

كنت أطلب حقي في العلاج على نفقة الدولة وأنا حقًا في أمس
الحاجة، يعتدون عليّ؟!!

عارف يا دكتور ما الذي أحزنني؟ ليس اعتدائهم عليّ ولا أن
الوزير لم يُعرنني اهتمامًا، لكن ما أحزنني أن هناك أحدهم حينما قلت إن
ابني سيموت قال: "عقبالكم جميعًا"، لماذا كل هذا الكره؟! هل هذا
الفقر باختيارنا؟ هل هذا العفن يريحنا؟! أهنالك من يجب الفقر؟! ولماذا
يتمنى موتنا؟ أنسكن في بيته أم نأكل من أكله؟! حاولت أن أصل إلى
تبرير له لكنني لم أجد إلا أنه مريض نفسي، غير سوي ""، كنت أشعر وأنا
جالس أمامه أنه يعوض الفترة الكبيرة التي ظل فيها صامتًا، كان يريد أن
يحكي ما حدث، وكان هناك انفجارًا كلاميًا حدث داخله، لم يكن
يسألني ويتنظر إجابة، بل كان يستمر في الحكيم، كانت حكايته تستحق
الصمت والاكتفاء بتدوين ملاحظاتي وترك الباقي للتسجيل، انتابتنني
حالة غريبة، كانت رغبة شديدة في مساعدة هذه البائس، كنت أريد أن
أعطيه ما اكتشفت لأخلصه من هذه الذكريات البائسة، وتحول شغفي

من تجربة الاختراع عليه إلى شغف مساعدته، أكمل حديثه: "أخذت نصيبي من الإهانة ورحلت، عدت من غير جديد سوى الإهانة! إن جئت للحق فهُمْ محقون، من أنا حتى أحصل على علاج على نفقة الدولة؟! وأيضًا هم محقون، كان لابد لي أن آتى بواسطة حتى تسير الأمور على نحو طبيعي!! عدت إلى العرش لأنتظر يوم الغد لكي أحاول في شيء آخر عسى أن تُفرج.

كانت حالة ابني من سييء للأسوأ، لكن كان هناك أمل يُضخ داخلي، وكان أملي أكبر بربي"، قاطعته وقلت: "لكن ربنا جعلنا خلفاء في الأرض، بمعنى أننا نحن من نظلم ونحن من نُخرّب، ليس معنى أن هناك أحدًا ظُلم أن ربنا من ظلمه، بل نحن الظالمون"، نظر لي نظرة تدل على أننا نسير على خط واحد، وقال: "بالضبط، هذا ما كنت سأصل عنده، ثاني يوم أخذت ابني وذهبنا إلى المستشفى، دخلت الإدارة وطلبت منهم مقابلة رئيس مجلس الإدارة، مرت ساعات طويلة وأنا في الانتظار أترقب سماح سيادته لي بالدخول، بعد ساعات لم أعدها من كثرتها وافق على دخولي، حكيت له كل التفاصيل، لكنه لم يتأثر! ظننت

أنه شخصية قوية أو كتومة وجميع انفعالاتها داخلية ولا تظهر على وجهها، أكملت كلامي معه قائلاً: "إنني لا أملك المبلغ المطلوب لكنني أتمنى أن يجروا له العملية وسأتصرف في المبلغ"، قال لي بمنتهى اللاشيء: "حينما تجمع حق العملية أبواننا مفتوحة لك"، قلت له: "ابني إن لم يجز العملية الآن سيموت"، قال ببرود: "ونحن إن أجرينا له العملية دون المال سنموت"، قلت: "إنني مستعد للعمل في المستشفى بهذه الأموال"، لكنه قال: "نحن مكتفين بعدد الموظفين الحاليين"، ركعت أمامه وأقبلت على قدمه وقبلتها، كنت أبكي لأن شيئاً داخلي كُسر، لم يعد كما كان، إنها الكرامة، قلت: "ابني لحمي ودمي سيموت، أتوسل إليك ضع نفسك مكاني"، لكنه دفعني بقدمه وطلب الأمن الذي جاء في لمح البصر، قال لهم "ألقوا هذا النكرة خارجاً هو وابنه"، لن أكذب عليك فأنا كنت أتمنى قتله في تلك اللحظة، وما أصابني بالجنون أنهم على علم بحالة ابني الحرجة وقاموا بضربه حينما حاول الدفاع عني! بركان داخلي شعرت به حينما رأيتهم يضربون ابني، لكنهم كانوا كُثر، ضربونا بكل عنف وبلا رحمة، أتدري لماذا؟ لأنني لا أملك

المال، تلك السلطة الجبارة في هذا العالم الضحل، ولكم أكن أملك
واسطة، ولم أكن لصًا مثل اللصوص الكبار، رُمينا خارجًا مثل الكلاب،
كان وجهي مليئًا بالجروح لكن ما أدمى قلبي أنني حينما أخذت ابني في
حضني ومسحت على رأسه وجدت شيئًا لزجًا دافئًا في يدي، ابني هو
الآخر جرح!

أصابني الفزع وهرعت إلى أقرب مقهى وطلبت منه بعض البن
ووضعت على رأس ابني، قلب مُحترق، كرامة مُهانة، هنا شعرت أنني
خُلقت لأتعذب، وسألت نفسي عن العدل، أهنالك عدل؟! لكن لربنا
حكمة لن نصل لها بتلك العقول الناقصة، عدت إلى العشة أنا وابني،
زوجتي أصابتها الصدمة حينما رأت مظهرنا، كان مظهرًا تقشعر له أبدان
الكفار!

بكت وشعرت بمدى المهانة التي نحن فيها، أقبلت علينا
واحتضنتنا، كان شيئًا بسيطًا أشعرتني بالأمان، أشعرتني لبعض الوقت أنني
إنسان! كان الشيء الوحيد الذي لا تُدفع من أجله الأموال، ولا تُجلب
من أجله الوسائط، كان شيئًا مجانيًا لكنه أعطاني دفعة جديدة من الأمل،

لكن ماذا سأفعل؟!، كل الطرق أمامي مسدودة، ولكن هناك حلًا
صعبًا بعض الشيء وللأسف سيهينني"، ثم ضحك بسخرية وقال:
"قلت في قرارة نفسي، ما أنا أصلًا مُهان من غير شيء"، سألته: "ماذا
فعلت؟!"، قال: "قررت أن أشحت".



مذكرات الدكتور الشخصية

الساعة 2.56 ص

أعراض الانسحاب، هل أنا في مرحلة أعراض انسحابها من
ذاكرتي؟!!

هل الذكريات تنسحب من الذاكرة بطريقة إرادية، أم بطريقة لا
إرادية؟!!

لا أدري، لكن ما أنا على يقين منه أنني كلما أفكر في نسيانها تمتد
جذورها في ذاكرتي ولا أنساها أبداً، سأظل كما أنا حبيساً لذكراها، مقيد
في حبها الذي لا ينتهي مهما فعلت، تجاهلت، لا فائدة، اهتممت، لا
فائدة، اختفيت ولم أنسها، ولم يُغلق باب هذه الذكرى في رأسي، وكأني
سأعيش حياتي كلها وهذه الذكرى تطاردني، حتى حينما أنام، أجدها في
أحلامي، وكأن اللاوعي وعقلي الباطن أصبحا هما الآخرين ضحية
لسحرها، يالها من قوية، ويالي من ضعيف!!!



التجارب

عدت إلى الوطن أنا وصديقي الجديد، الشمبانزي، وضعته في المعمل الذي أملكه، وبدأت البحث عن طريقة فعالة لمسح الذاكرة، من واقع تشريح المخ لدى الإنسان، وجدت أن هناك عدة أماكن قد توجد فيها الذاكرة، لذلك قررت أن أجرب شيئاً فيه نوع من المخاطرة لكنه قد يعمل على نحو أفضل من أي شيء آخر، الكهرباء، طريقة الصعق الكهربائي تُستخدم للمرضى الذين يعانون من فقدان ذاكرة، فماذا لو استخدمتها بقوة أكبر لأسبب أنا فقداناً للذاكرة، في البداية.. الذاكرة عبارة عن مكان يُخزن ويسترجع البيانات، وليس لها مكان محدد، أو لم يستطع العلم حتى الآن الوصول إلى مكانها المحدد، بل يعتقد فريق كبير من العلماء أنها تتكون في أماكن متفرقة في الدماغ، مما يصعب عملية مسحها بعض الشيء، لكنه لا يجعلها مستحيلة، وضعت في قفص الشمبانزي ثلاثة صناديق بألوان مختلفة، أحمر وأزرق وأخضر، ووضعت في الصندوق الأحمر طعام وأظهرت للشمبانزي أن هذا الصندوق ذو اللون الأحمر هو الذي به الطعام، وأرأته أن الصندوقين الآخرين فارغون، فعلت هذه التجربة معه مرات عدة، وفي كل مرة كان يذهب

مباشرة إلى الصندوق الأحمر لأنه يعلم أنه يحتوي على طعام أما الصناديق الأخرى ففارغة، أحضرت جهاز الصعق الكهربائي وخدرت الشمبانزي ووضعت على الجهاز وكبلته، انتظرت حتى أفاق، ثم وضعت المجسات على الجزء الذي سأبدأ بصعقه، الفص الجبهي، ضببت قوة الصعق على درجة بسيطة في البداية، ثم بدأت في صعق الفص الجبهي، قطعت التيار حتى لا يموت، ثم انتظرت قليلاً ورفعت قوة التيار قليلاً، ثم صعقته مرة أخرى، لاحظت أن تصرفات الشمبانزي تغيرت بعض الشيء، يبدو أنني نجحت في الاختراع، يبدو أن الفص الجبهي هو المراد، هو مكان الذاكرة، لكن بقى أمامي أن آخذ الشمبانزي إلى قفصه، وأن أضع أمامه الثلاثة صناديق، لأنه إذا لم يذهب إلى الصندوق الأحمر فأنا نجحت في التجربة، وضعت في القفص وفككت وثاقه، ووضعت له الثلاثة صناديق، في البداية وقف أمامهم مترددًا، يبدو أنه فقد الذاكرة، وكانت حركته غريبة، يبدو أنه من تأثير الصعق، مد الشمبانزي يده وفتح الصندوق الأحمر!!

لم يفقد الذاكرة، ويبدو أن تردده هذا من أثر الصعق الكهربائي، أول تجاربي وأول فشلي، غدًا أكمل ما بدأت لأنني لا يمكن أن أجازف

وأصعقه مرة أخرى في هذا اليوم، قد لا يحتمل ويموت، وأذهب مرة أخرى للسنگال كي أحصل على واحد آخر.

مرت الأيام التالية شبيهة ببعضها، كنت أركز في تجاربي على التشريح الدماغى، فكنت أجرب الصعق الكهربائى على كافة أقسام الدماغ، جربت على الفص صدغى، لكن النتائج جاءت كما حدث فى الفص الجبهى، وقف الشمبازى قليلاً لكنه اختار الصندوق الأحمر، جربت على الفص القذالى، لكن نفس النتائج، الفص الجدارى، لا تغير فى النتائج، أحسست أن كل تلك الأيام مرت هباء، لم أستفد من أى شىء فى خلال هذه التجارب، وبدأت أشعر أنني أضعت وقتى، لا يوجد علاج يمسح الذاكرة، لا طريقة للمسح، لا طريقة للراحة من تعب الذكريات، اليأس شديد، وصل بي الحال إلى الإحساس أنني فاشل، لم أستطع أن أحافظ على الحماسة التى بدأت بها، الكهرباء ليست بالحل السليم، يبدو أنني وقعت فى فخ الوهم، وهم مسح الذاكرة!



هذكرات السجين

الظروف تجبر البعض على فعل ما لا يريدون.. اللعنة على الظروف، تصنع من أصلح الناس مجرمين، ومن أعفهم أنجسهم، شخص كأى شخص، لكن حاله مختلف عن أى شخص، شخص لم يجد السعادة فى الحياة الواقعية فاتجه إلى الحياة الوهمية، أدمن المخدرات، ومنذ ذلك الحين أصبح شخصاً آخر، لكن بقى داخله بذرة الشخص الجيد، فالطبع يغلب التطبع، لكن الإدمان يغلبهما!

تلعب المخدرات بالرأس كما يلعب لاعب الخفة بالورق، ترى أشياء غير موجودة ولا ترى أشياء واضحة لمصاب بضعف النظر؛ لذلك تكون فى عالم آخر غير العالم الذى أنت فيه، فأنت موجود بجسدك فى عالم وبرأسك فى عالم آخر.

حينما لا تجد فى الحياة ما يسعدك تضطر إلى أن تُسعد نفسك بنفسك، فمننا من يتجه إلى الإدمان ومننا من يسد حاجته إلى السعادة بسد شهوته ومننا من يفقد الأمل وينتحر!

(السيجين) كان من النوع الأول، اتجه إلى المخدرات، كانت في البداية مجرد نزوة، تجربة شيء جديد، لكن التجربة مع مرور الوقت أصبحت شيئاً واجباً فعله يومياً.

لعبت المخدرات برأسه وجعلته يرى ما لا نرى، فقال في مذكراته: "أنا.. من أنا؟! أنا رسول، لدي رسالة وهدف، يجب أن أنشرها في ربوع العالم، لن أضع مكاناً أو زماناً، سأنشرها كما يجب، العالم يحتاج مثلي، يحتاج إلى شخص يدهم على الطريق الصحيح، لكن في البداية يجب أن أخلص العالم من الأشخاص المزعجين، فمثلهم مثل السرطان لا بد أن يُستأصل.

قررت أن أشتري مسدساً، سيكون رفيقي في الرسالة، سيكون الأداة التي سأستخدمها في نشر رسالتي، سيكون معجزتي! قررت أن أمتلك عددًا معيناً من الرصاص ولا أحصل بعده على رصاص آخر، لذلك يجب أن أنتقي المزعجين بحرص شديد، يجب أن يكون أحق من أي شخص آخر، يجب أن يكون من المستحقين.

حينما أتعاطى المخدرات أنتشي، أدخل في حالة أشعر وكأنني أرتقي من إنسان إلى ملاك! أشعر وكأنني بلا خطيئة، بلا هم وبلا حزن، أشعر

وكأنني في الجنة بالرغم من وجودي في غرفتي! وحينما أنتشي يأتيني شعور أنني رسول، ولا أتنبه من هذا الشعور إلا بعد حدوث الكثير من الأحداث، أحداث أجهل تفاصيلها لكنني أرى نتائجها، نتائج كارثية! في بداية الأمر كنت أريد قتل أشخاص ذوى صفات معينة، وكنت أتعاطى وقتها كمية قليلة من المخدرات لذلك كنت في وعيي لكن الشعور بالنشوة موجود، وبعد مرور الوقت زادت جرعة المخدرات التي أتعاطاها ومن هنا بدأت الأحداث تسير في طريق آخر.. طريق اللامع
عودة!



حكاية العاقل

سألته باستغراب شديد: "شحات؟!!!"، قال لي: "لم تكن أمامي حلول أخرى، كنت أشعر وكأن الدنيا تُخبرني بين كرامتي وحياة ابني! وياله من اختيار صعب، لكنني بالطبع اخترت حياة ابني، أي شخص طبيعي في حالتي سيختار حياة ابنه، حتى وإن وصل الأمر إلى أكثر من ذلك مثلما حدث معي وسأحكيه بعد قليل.

استيقظت من النوم، ارتديت ملابسني ونزلت، الصراحة كنت في غاية الإحراج، ماذا سأفعل؟! ماذا سأقول للناس؟! وصلت إلى باب محطة القطار ومن ثم دخلت وانتظرت على الرصيف، ظل رأسي منشغلاً بما سأفعل بعد قليل، ماذا يمكن أن يحدث؟! لكنني قررت أن أقول للناس الحقيقة، لا شيء سوى الحقيقة، جاء القطار وحانت اللحظة المناسبة، دخلت وقلت في سري الحقيقة ليس غيرها، قلت: "أنا لست شحاتاً، لكن الظروف هي التي حكمت عليّ أن أمد يدي، ابني مريض وسيموت إن لم أجد له عملية، وربنا يعلم أنني لو أملك المال ما مددت يدي، لكنني في أمس الحاجة لمساعدتكم، ساعدوني.. ربنا لا يذيقكم ما

أنا فيه"، النتيجة كانت صفر، لم يصدقني أحد، أتعلم يا دكتور.. أنا لو كنت كاذبًا كانت رقت قلوبهم لي! كانوا أغرقوني بالمال ما يكفي لإجراء عدة عمليات وليست عملية واحدة، هذا هو حال الدنيا، الكاذب تجد الناس له مُصدقين والصادق لا يجد من يصدقه."

ذكرتني هذه الكلمات بما حدث معي شخصيًا، ووجدت أنه محق، في وجود حكمة لا نعلمها نحن ذوى العقول السطحية، أن الكاذبين والمنافقين لديهم مصداقية كبيرة، أما الصادقون فنصيبهم من المصداقية محدود جدًا!!

لكنه أكمل وفاجأني بتحليله لهذه المسألة، قال: "أتعلم لماذا لديهم هذه المصداقية؟ لأنهم من داخلهم يعلمون أنهم كاذبون، فعقلهم يعطي أمرًا لجسدهم أن يبذل جهدًا أكثر ليقنع الناس، لغة الجسد تُؤثر بصورة كبيرة على الناس فتجدهم يصدقون ويثقون أشد الثقة، على عكس الصادق الذي يعلم من داخله أنه صادق، لذلك لا يبذل الكثير من الجهد لتصدقه، بمعنى أنك تريد أن تصدق صدق، لا تريد فأنت حر، هذا ما يُظهره عقل الصادق، لذلك حينما يقف أمامنا اثنان أحدهما صادق والآخر كاذب، تجدنا بصورة تلقائية نُصدق الكاذب! لكن هذا

التصديق لا يكون لفترة كبيرة، لأنه بعد فترة نكتشف كذبه ونعلم أنه غير سوي، لكن للأسف يكون هذا بعد فوات الأوان واختفاء الصادق الذي كذبناه من حياتنا، وللأسف حينما يرحل ونُفكر في كل شيء كان، نصل إلى النتيجة الصادمة، أن هناك أناسًا نقابلهم مرة واحدة في حياتنا، وحينما يرحلون لا يعودون مرة أخرى!!".

لم أستطع إخفاء إعجابي بحديثه، ولكن حديثه هذا طرح تساؤلات كثيرة في رأسي، أولها كيف لهذا الشخص ذو التفكير المميز أن يقتل زوجته وابنه؟! وكيف لشخص مثل هذا أن يصبح ملاذاه الأخير مستشفى المجانين؟!!

هذا الرجل كان مكانه الطبيعي شيء أفضل بكثير مما كان يحلم، هذه العقلية لا بد أنها تخفي الكثير، أنا لم أكتشف إلا جزءًا قليلًا جدًا من هذا الشخص، وأنا على يقين تام أنه سيفاجئني أكثر في النهاية.

أكمل حكايته: "كنت أرى في عيون الناس نظرة أوحى لي أنهم مشمئزون مني، يرونني لصًا في زي مُحتاج! أدّعي الفقر، أدّعي مرض ابني؛ لآخذ ما في جيوبهم برضاهم!

نزلت من القطار ووقفت في جانب، وحيد، بكيت كما الأطفال،
شعرت بذل كبير، شعرت أن هدف الدنيا إهانتني!
تريد الدنيا أن تُعلمنا درسًا مهمًا، لكي تعيش يجب أن تتخلى عن
كرامتك، لا أفهم المغزى!

وأنا منخرط في البكاء وجدت شخصًا لا أعلم من أين خرج،
وقف بجانبني وسألني عن سبب بكائي، نظرت له وجدت مظهره يدل
على أنه محترم، كان من النوعية التي إن نظرت لها ترتاح، تأخذ نفسًا
عميقًا وتهدأ، شعرت بطمأنينة، وقتها شعرت أنه ملاك وليس بشرًا
مثلنا، قلت له إن ابني يحتاج إلى عملية ضرورية وإلا سيموت، وأنا لا
أملك المال، لذلك قررت النزول وطلب المساعدة من الناس، لكنهم
اعتقدوا أنني مُدعي مُحتال، وجدته وضع يده في جيبه وأخرج أموال،
الكثير من الأموال لدرجة أنني لم أستطع عدها! لكنهم بالإضافة للمال
الذي معي سيكفون لإجراء العملية، وقفت في حالة من الذهول، حالة
من الصدمة جعلتني شريد الذهن، هل هذا حقيقي؟! أحلم؟! أردت
أن أشكره لكنني حينما نظرت ناحيته لم أجده!! نظرت حولي في كل مكان

لا أثر له!! كأنني أحلم أو من شدة الصدمة تنهياً لي أحداث لا تحدث،
لكن المال في يدي! ما حدث كان حقيقياً .

وأنا أبحث عن الرجل وجدت أحد الشحاتين يراقبني، يبدو أنه يتابع الأمر منذ أن بدأ، وضعت الأموال في جيبني دون أن أعدهم وخرجت من المحطة مسرعاً، كان الليل يغطي كل شيء، كنت خائفاً، كنت أنظر حولي كل بضع ثواني، فجأة وجدت الشحات الذي كان يراقبني أمامي ومعه شخصاً آخر، يشير له عليّ!! ركضت وركضوا خلفي، ركضت بسرعة كأني طفل صغير، لكنني كنت أبلغ من العمر الخامسة والأربعين وهم كانوا أصغر مني سنًا، كانوا يقتربون مني أكثر فأكثر، والخوف مع اقترابهم كان يزيد هو الآخر، كنت أحاول أن أزيد من سرعتي، لكن ما باليد حيلة، أنا عجوز، كنت أبكي وأنا أركض منهم، أتعلم لماذا؟! لأن الحياة استخسرت أن أكون سعيداً حتى ولو ليوم واحد!! أحدهم اقترب مني بشدة ومد قدمه وأعاقني فسقطت! جُرحت في أماكن كثيرة من جسدي، وما زاد الأمر سوءاً أنهم انهالوا عليّ بالضرب، لم أفهم لماذا فعلوا هذا؟! أنا لم أفعل ما يؤذيهم، أهانوني، وكأنني ينقصني إهانة! توقفوا عن الضرب ووجدت أحدهما يقول لي:

"أخرج الأموال التي حصلت عليها يا ابن ال####"، قلت له: "حرام عليك، أنا أحتاج هذه الأموال لأجري عملية ضرورية لابني"، توسلت إليهم وقلت: "ابني سيموت إن لم يُجر هذه العملية"، قابلني بضربة في أنفي أخرستني! وقال: "يموت أو يعيش، لا يهمني، أنا أريد الأموال التي أعطها لك ذلك الرجل".

سألته بفضول: "وماذا بعد؟!"، قال: "ماذا سأفعل؟ في البداية حاولت ألا أعطيه المال، لكنه أخرج سكيناً وهددني بالذبح! أخرجت كل ما لدي وأعطيته إليه، لكنه لم يكتف وقام بضربي بالسكين في وجهي!، وقال: "هذه العلامة كي لا تنساني ولا أنساك، المرة القادمة التي تجيء فيها للشحادة في هذه المنطقة التي هي تحت سيطرتي سأذبحك"، وتركني واقعاً على الأرض ورحل بكل شيء!

وفهمت منذ ذلك الحين أن هذا هو زعيمهم في هذه المنطقة، وأن لكل منطقة زعيم أو مشرف عليهم، عمل منظم ولا ينبغي لأحد من منطقة أن يأتي لمنطقة أخرى يشحت فيها! لا بد من تصريح من المسئول عن المنطقة وبالتأكيد سيكون له نسبة كبيرة من الأرباح!

رحل وأخذ معه الأمل في كل شيء!، أخذ معه روحي، وضعت
يدي على وجهي وجدتها غارقة في الدماء! نظرت في مرآة سيارة وجدت
أنه جرح كبير! علامة كما وصفها، قمة الذل والإهانة، وكل هذا لأنني
أردت أن أنقذ ابني من الموت!

ملعون هذا الفقر، ملعون هذا البلد، كنت محرجًا أن أعود إلى
العشة بهذه العلامة، كنت أخشى أن أريهم وجهي! ماذا سأقول لهم؟!
لكن الوقت كان يمر وكل ساعة كانت تفرق في حياة ابني، لذلك كان
يجب عليّ التصرف بسرعة."

سألته: "كيف ستتصرف؟!".

قال: "لم يكن أمامي غير السرقة."



هذكرات الدكتور الشخصية

الساعة 2.06 ص

هل أصبحت مجنونًا، أم أنا مجرد بائس لا يرى في الدنيا من شيء يستحق العيش من أجله؟!
هل هناك خير في أن أُحرم من شيء أحببته، أم أنه مجرد سوء حظ؟!
هل تفكر فيّ كما أفكر فيها؟!
هل يصلها سلامي الذي أرسله لها بقلبي؟!
هل تحبني كما أحبها؟!
وإذا كانت تحبني فلماذا لم ترض بي؟!
الغيرة تسيطر على كل تفكيري.



التجارب

مرت هذه المرحلة وأنا أفكر في الحل، بالتأكيد هناك شيء يستطيع مسح الذاكرة، أنا متأكد أنها ليست مستحيلة، مسح الذاكرة هدف سأصل إليه، قرأت أكثر عن تشريح الدماغ، تعمقت في كل تفاصيله، إلى أن لمعت في ذهني فكرة، ماذا لو اخترعت شيئاً يتتبع هرموناً معيناً وكثيراً في الدماغ ويتغذى عليه؟!!

كانت فكرة عبقرية، شعرت أنني توصلت وملكيت الدنيا كلها في يدي، تعقب هرمون معين في الدماغ عن طريق مادة معينة تتغذى عليه، وهكذا سنسبب فقداناً في الذاكرة من الناحية النظرية، لكن من الناحية العملية لا بد لنا أن نخترع أولاً هذا العقار الذي سيتتبع الهرمون.

وجدت من بحثي أن هناك هرموناً يُدعى الدوبامين متواجد بكثرة في المخ، بل هناك مناطق تعتبر مستقبلات للدوبامين، مما يُسهل عملية المسح، إذن الدوبامين هو المقصود في هذه العملية، وكان باقي الخطة أن اخترع مادة تتبّع الدوبامين وتتغذى عليه، أحضرت نوعاً من البكتيريا وأضفت عليه مواد كيميائية أخرى، وبالطبع لن أذكر اسم البكتيريا ولا

المواد المضافة حتى لا يستخدمها شخص آخر ويعيد ما حدث من أحداث.

أنتجت مادة أسميتها **(ANTI DOPAMINE)** وهي المادة التي ستتع الدوبامين في الجسم حتى تصل إلى الدماغ وتتغذى على أماكن وجود الذاكرة، ويعتبر الدوبامين من الهرمونات المهمة للدماغ والتي تكون مسئولة عن الشعور والسعادة والإدمان، كما يسبب عدم استقرار مستوى الدوبامين إلى الإصابة ببعض الأمراض كقصور الانتباه وفرط الحركة والفصام وارتفاع الضغط الجيني، كان اختيار الدوبامين اختيارًا صائبًا، بعد الانتهاء من صناعة (مضاد الدوبامين)، رسمت الخطة التي من المفترض أن يسير عليها الدوبامين في الدماغ، أولاً سأحقن (مضاد الدوبامين) داخل الجسم، بعد ذلك وبفعل وجود هرمون الدوبامين بكثرة في الجسم، ستنشط البكتيريا، وستقوم بعملية تتبع للدوبامين في الجسم، ثم ستصل إلى مراكز ومستقبلات الدوبامين في الجسم وهي موجودة بكثرة في المخ، ستدخل إلى المخ عن طريق المهاد، وهو جزء صغير يقع على جانبي البطن الثالث بصورة جسمين على

شكل بيضاوي، كما يقع المهاد فوق الوطاء الذي يعمل على توصيل الكثير من المعلومات التي تدخل قشرة المخ وتخرج منها، ثم سيصل إلى مقدمة الرأس حيث كما يعتقد في الفص الجبهي مراكز الذاكرة طويلة الأمد، كل هذه الأماكن سيمر بها مضاد الدوبامين وسيعمل على تأكلها ومن ثم يحدث مسح نهائي للذاكرة



حكاية العاقل

"ستسرق؟!!!"، كنت متفاجئاً أن الحكاية ستصل إلى هذا الحد مع هذا الرجل البائس، السرقة، فبعد كل المحاولات التي باءت بالفشل، لم ير أمامه طريق غير السرقة، فالدنيا قبل ذلك خيرته بين كرامته و حياة ابنه، وها هي الآن تخيره بين مبادئه و حياة ابنه، وأتوقع أنها بعدما يحكي أكثر ستخيره بين حياته و حياة ابنه! قال: "لم يخطر ببالي حل غير السرقة، لكن من سأسرق؟! من الذي أعرفه لديه من الأموال ما سيكفي لإجراء العملية؟! أتعرف من يا دكتور؟!"، هزرت رأسي بالنفي، فقال: "(الهانم)، لا يوجد غيرها، امرأة غنية لديها من الأموال ما لا يعد ولا يحصى، كنت أسير في الشارع وأنا واضع يدي على وجهي الغارق في الدماء، لمحني أحد الجالسين في أحد المقاهي وهرع إليّ بن، وضعته على الجرح حتى يكف عن النزيف، وأثناء ذلك استفسر ذلك الشخص عن سبب هذا الجرح لكنني تهربت من الحديث، وضعت البن على الجرح وأعطاني منديلاً، شكرته ورحلت شارداً الذهن، إلى وجهتي، فيلا (الهانم)، الوقت مر ولم أشعر لأجد نفسي في نفس الشارع الموجودة به

الفيلا، جهزت نفسي، أزلت المنديل من على وجهي ونظرت في المرآة لأحد السيارات، كان شكلي مرعباً ومقززاً! كان الجرح عميقاً وذا لون أسود من أثر البن.

اقتربت من الفيلا، أو مثلما أحب أن أصفها دائماً.. الجنة! وقفت أمام السور ونظرت إلى الأعلى، لم يكن على ارتفاع عالٍ، كان متوسط الارتفاع ويسهل القفز من عليه، قفزت وتمسكت في أعلى السور وشدت نفسي، ما هي إلا لحظات حتى أصبحت أعلى السور، وقتها تساءلت: "هل هناك كلاب في الجنة؟!"، لكن الإجابة كانت بالتأكيد لا، ف (الهانم) تعشق القطط على ما يبدو، بالتالي لن يكون لديها كلاب، قفزت من على السور وأصبحت داخل الفيلا، الهدوء كان رهيباً، هدوء تشعر معه وكأن المكان مهجور منذ سنين! شعرت أنه لا يوجد أحد في الفيلا، سافروا على ما يبدو، مشيت بتمهل إلى أن وصلت إلى النافذة، حاولت فتحها فوجدتها مفتوحة، أخيراً الحظ ابتسم في وجهي! لكنه تذكر أنني الشخص الخطأ!! وجدت فجأة صوتاً من خلفي يقول: "اثبت مكانك، من أنت؟!"، انتابني حالة من الفزع! ومن الفزع ركضت تلقائياً محاولاً الهرب، أطلق الشخص الذي لم أراه النار على

قدمي! سقطت على الأرض، كان الألم رهيباً، هل ذقت الألم يا
دكتور؟!، كان سؤالاً مبالغاً، كان بعد كل فترة والأخرى يباغتني
بسؤال، قلت له: "ذقت ماذا؟"، فقال: "الألم"، ماذا يقصد؟!، قلت له:
"أي ألم؟!، أنا ذقت الألم النفسي، لكن طلقة في قدمي لم أجربها"، نظرتني
وابتسم ثم قال: "بادي عليك تذوقك للألم النفسي، لكن الألم الناتج عن
طلقة في القدم كان رهيباً، جلدك يحترق، لحمك يتقطع، عظامك تتكسر!
ألم رهيب، صوت الطلقة أيقظ كل من في البيت، ووجدت حولي أناس
كُثر بعدما كانت الفيلا شبه مهجورة، ووجدت (الهانم) قادمة تهرول
وآثار الفزع بادية عليها، استيقظت على صوت الرصاص، قبل ما تصل
(الهانم)، الناس كانت تسألني من أنا وما الذي أحضرني إلى هنا؟!، هذا
غير الشتائم والإهانة كوني سارقاً، لم أنطق كلمة واحدة من الألم، وإن
تحدثت ماذا سأقول؟!، وصلت (الهانم) وكان شعرها هائشاً، وترتدي
قميص نوم، نظرت لي، وكأنها لم تعرفني!! قالت: "اطلبوا الشرطة لهذا
السارق الحقير"، أحدهم لبي الأمر على الفور وذهب، وجدت أن
الموضوع يأخذ طريقاً لم أتمنه على الإطلاق، طلقة في قدمي، شرطة، قلت
لها: "ألا تذكريني؟!!"، ردت قائلة: "اخرس يا سارق"، قلت: "ابني

سيموت إن لم أوفر له حق عملية جراحية، أنا مستعد لأن أقبّل قدمك لكن لا داعي للشرطة، سأخذ منك حق العملية ولن تري وجهي مرة أخرى"، وقمت بالزحف على بطني إلى أن وصلت إلى قدمها وقبّلتها كثيرًا.. قمة الذل"، سألته: "هل كانت تذكرك في الأصل؟!"، رد قائلاً: "بالتأكيد يا دكتور كانت تذكرني، أنا منذ عدة أسابيع بعث لها طفلي، وأيضًا لمحت في عينها نظرة أنها تعرفني، رغم الجرح الذي في وجهي ورغم أنها اشمئزت حينما رأت شكلي، لكنها تذكرني، والذي أكد لي هذا، الجملة التي سأخبرك بها بعد قليل، الشرطة جاءت بسرعة غريبة، قالت لهم: "اقبضوا على هذا الكلب الحقيقير"، حقًا أنا كلب حقير، شخص باع طفله، ماذا سيكون؟!، أمسكني فردان من الشرطة وقاموا بجري على الأرض لأنني لا أقوى على السير!، كنت أبكي وأتوسل إلى (الهانم) أن تأمرهم بإطلاق سراحي، تمسكت بقدمها وقبّلتها وأنا أتوسل إليها، لكن لا فائدة، قلت لها: "يا (هانم) ابني سيموت، أين الرحمة؟!، أنا مستعد لأن أعمل لديك طوال عمري بلا مقابل، لكن أعطيني حق العملية"، لا يوجد رد، ولم تتأثر!، الجملة الوحيدة التي قالتها لي وجعلتني متأكدًا من أنها تعرفني هي أنها قالت: "احمد ربنا أنه

لن يُربى معك، سأجعله عكسك نهائياً، سأربيه بنفسى"، هنا تأكدت من أنه سيكون شخصاً حقيراً حينها يكبر، عديم الرحمة، كائن أناني!!

قادوني إلى مستشفى السجن، قدموا لي علاجاً للطلقه التي في قدمي، وأخبرني الطبيب أنها ستسبب عاهة، سأسير طوال العمر أعرج، ولكن ممكن أن أشفى مع العلاج الطبيعي، قلت في نفسى إنني حينما أستطيع توفير لهم الطعام سأعالج قدمي بالعلاج الطبيعي!

مرت أيام ووقفت أمام القاضي في المحكمة منتظراً النطق بالحكم، كان الحكم هو الحبس لمدة ستة أشهر! "أنا لم أسرق إلا لأن ابني سيموت"، لا فائدة، "يا حضرة القاضي ابني يحتاج إلى عملية ضرورية، سيموت إن لم يجرها وأنا إن غبت عنهم ستة أشهر من الممكن أن يموتوا كلهم من الجوع!"، لكن لا حياة لمن تنادي، تخيل.. ستة أشهر يا دكتور غائب عن أهلك وأحدهم مريض ويحتاج إلى عملية ضرورية، كانت فترة كريمة مرت بمنتهى البطء، كنت أشعر أن اليوم في السجن بيومين مما نعد! لم أكن أحتك بأحد وكانوا هم في البداية يحتكون بي كثيراً لكنهم في النهاية اعتقدوا أنني مريض لذلك قلت مضايقتهم لي، لكنها لم تنعدم.

سنة أشهر مروا وأنا أفكر فيما آل إليه الوضع، تُرى ما الذي حدث لهم، هم لا يعرفون مكاني، ولم يكونوا على علم بأي شيء، فقط أنا ذهبت ولم أعد!

مئة وثمانون يومًا أحصيتهم، مئة وثمانون يومًا من العذاب، مئة وثمانون يومًا من الذل والإهانة، مئة وثمانون يومًا وأنا لا أعرف شيئًا عن أسرتي.

آخر يوم لي في السجن كان عيدًا بالنسبة لي، أخيرًا سأكون حرًا من جديد وسأرى أسرتي، أخيرًا سنجتمع مرة أخرى، وكان أول شيء سأفعله هو إجراء العملية لابني حتى وإن اضطررت لبيع قطعة من جسدي!

وأنا في فترة السجن تعرفت على دكتور هناك، وقال لي حينما تخرج أحضره معك، فأنا كنت على اتفاق معه أنه سيجري لابني العملية." سألته متعجبًا: "وهل كان معك المال الكافي؟!"، قال لي: "لا يا دكتور، عقدت معه اتفاقًا أنني سأعطيه بدل المال كليتي."



مذكرات الدكتور الشخصية

الساعة 12.39 ص

أعيش بين الناس مجبرًا، ليس أمامي خيار غير ذلك، أود أن أبتعد، أود أن أعتزلهم، فأنا أتعذب بكذبهم، أتألم بنفاقهم، ولا أدري لماذا لا أتأقلم، هل أنا كاذب مثلهم؟! هل أنا منافق مثلهم؟! قد أكون، وقد لا أكون، لماذا أشعر بضيق من الحياة؟! لماذا أود أن أموت ولا أكمل حياتي؟! كم أتمنى أن تفارقني روحي، أن ترحل بعيدًا، حتى أتحرر من هذا الجسد البالي، كم أتمنى أن أنعم بالسلام الداخلي، كم أتمنى أن أتعامل مع بشر مثلي، لا يريدون من صداقتي شيئًا، لا يكذبون عليّ ولا ينافقوني، لا يخدعونني، أتساءل متى يأتي الموت؟! متى أودع هذه الحياة البائسة؟! لكن الجواب كان صادمًا كالعادة، حينما تتعذب أكثر.



التجارب

ارتديت الكمامة، وأحضرت الشمبانزي وحقنته بمضاد الدوبامين، ثم وضعت في قفصه ومعه الثلاثة صناديق، في البداية وجدته واقفاً لا يتحرك، ثم ذهب إلى الصندوق الأحمر كالعادة وفتحه وأكل، لا فائدة، لم يعمل الاختراع على مسح أي شيء، لم يمسح سوى أملي في النجاح، أكل الشمبانزي الوجبة، لكنني لاحظت شيئاً على غير العادة، كان يأكل بشراسة كبيرة، كان جائعاً جداً، ولاحظت أيضاً تغيرات في حركة العين، يبدو أن هناك شيئاً يزعجه، كنت ممسكاً في يدي ساعة، مر حوالي 30 دقيقة منذ حقنه بمضاد الدوبامين، بدأت أشعر أن هناك تغيراً طفيفاً يحدث، لذلك أخرجت الصناديق الثلاثة ووضعت طعام في الصندوق الأحمر ثم وضعت الصناديق مرة أخرى داخل القفص، وفجأة حدث ما لم أتوقعه، وقف الشمبانزي أمام الصناديق الثلاثة حائراً، ماذا يختار؟ مد يده بتردد إلى الصندوق الأحمر، قلبي دق بقوة، كنت خائفاً أن يختار الأحمر، كان مستقبلي بأكمله متوقفاً على هذا الاختيار، مرت ثواني

والشهبانزي واقف لا يعلم ماذا يختار، وفجأة وجدته يفتح الصندوق الأزرق، لم أتمالك نفسي من السعادة، يبدو أنني نجحت بصورة مبدئية على اختراع ماسح للذاكرة!



حكاية العاقل

كان حله هذا بمثابة المفاجأة، فأنا لم أكن أتوقع أن يصل به الحال إلى هذه الدرجة من التضحية، وهذه الدرجة من البؤس!
سألته متعجبًا: "ستبيع كليتك؟!!"، قال: "حل ليس سيئًا، فأنا سأتمكن من العيش بكلية واحدة فقط، ولكن ليس هذا ما كان يقلقني، ما كان يقلقني أنهم حينما يفحصوها يجدوها سليمة!، فإن كانت غير ذلك فسيرفضوا إجراء العملية، وسيعود الوضع كما كان عليه.

خرجت من السجن ومشيت للبيت، لم أعب لأنني كنت مشتاقًا للشوارع وللهواء النقي، وكنت مشتاقًا أيضًا للناس، الضجيج، كل شيء كنت أفقده، وصلت البيت، لم يتغير أي شيء، كل شيء كما كان إلا أنا، جرح في وجهي وعرجة في قدمي!

صعدت إلى السطح وطرقت باب العشة، انتظرت قليلاً ثم فتحت لي زوجتي الباب، وقفت أمامي أكثر من دقيقة مصدومة لا تقوى على الكلام، وكان في عينيها نظرات أخرى لم أفهمها، قررت أن أكسر الصمت، سألتها عن أخبارها، لم تجبني وبكت بطريقة غريبة، طريقة تنم

عن ألم شديد، أخذتها ودخلنا العشة وأغلقنا الباب، انتظرت إلى أن ارتاحت من البكاء ثم وجدتها تتحدث من نفسها، قالت لي: "أين كنت طوال الستة أشهر الماضية؟!"، حكيت لها عن كل شيء حدث معي، حكيت لها عن الجرح الذي في وجهي، وعن الرصاصة التي في قدمي، وعن الستة أشهر التي قضيتها في السجن، تأثرت وبكت، احتضنتني، كانت تحبني بشدة، وأنا أيضًا كنت أحبها، كان الحب الشيء الوحيد الذي لا نحتاج من أجله المال، سألتها: "كيف وفرت الطعام طوال الستة أشهر الماضية؟"، قالت لي إنها كانت تذهب إلى جمعية خيرية يعطوها الطعام، هو لم يكن كثيرًا ولكنه منعهم من الموت جوعى.

أخبرتها عن مدى تفاؤلي، وأني توصلت للاتفاق مع طبيب في السجن سيُجري العملية لطفلنا وسيعود أفضل مما كان عليه، فجأة وجدتها تبكي!

كانت تتحب لدرجة لم تتمكن من التنفس!!

سألتها عن السبب لكنها لم تجب، سألتها: "هل الطفل بخير؟!"، بكت أكثر فأكثر إلى أن احمر وجهها وظهرت العروق التي في مقدمة الرأس من شدة البكاء، هنا فهمت ما حدث، تنبأت به!

كانت كل المقدمات تفيد بأن الطفل مات!!

مات لأنني لا أملك المال، مات لأن المستشفى لا تُعالج أحدًا دون

مال مقدّمًا!

مات لأن سعادة الوزير لا يهّمه أمثالي، ولأن العلاج على نفقة

الدولة يستلزم واسطة!

مات لأن الناس لا تشعر بما يشعر به الآخرون.

مات لأنني فقير، والنحس يلازميني! "

بدأت أرى في عينيهِ دموعًا، وبدأ يتحدث بعصبية أكثر، بدأت أرى

أن هذا الموقف أثاره من الداخل، وبدأت أتعاطف معه، وبدأت أرى أنه

إن نجحت التجربة عليه فسأكون قد ساعدته كثيرًا ليصبح إنسانًا

جديدًا، إنسان بلا ماضي، إنسان بلا أوجاع وآلام، أكمل: "من ثلاثة

أطفال، بقي لنا واحد، واحد بعته والثاني مات والثالث موجود، ولا

أضمن استطاعتي المحافظة عليه!.

دخلت مرحلة من الاكتئاب وبدأت أفكر في الانتحار! لكن من

سيرعى زوجتي وطفلي المتبقي؟! "

تقريبًا لم أضحك من قلبي منذ ذلك الحين، وبدأت الصدمة تجعلني أرى أشياء غير موجودة، ذات مرة أرى طفلي المتوفى واقف أمامي! أحدثه ويحدثني، أقرب منه أجده فاتحًا ذراعيه ليحتضنني، لأستيقظ من الأوهام فأجدني محتضن الكرسي!!!
أصبح زائرًا معتادًا في أحلامي، وحينما أستيقظ أضرب نفسي لأنني قطعت الحلم!

ومنذ ذلك الحين لم أحدث أحدًا، حتى زوجتي حينما كانت تحدثني لا أجيب، مكثت أسبوعًا في البيت سميته أسبوع الجحيم، كنا نأكل ما يُيقينا على قيد الحياة، لم نكن نعرف الشبع!

كنا نقتات على ما ترسله لنا الجمعية الخيرية، وأنا جالس في البيت لا أريد العمل، كنت خائر القوى، لكنني كنت مسئولاً عن شخصين آخرين، لذلك ذهبت إلى الشركة التي كنت أعمل فيها عامل نظافة، أخبرتهم أنني أريد العودة إلى العمل، لكن ردهم كان غاية في الثقل: "نحن لا يعمل لدينا سارقون"، لماذا يأخذ الناس كل الأمور بمنتهى السطحية؟!

لماذا نظلم ونحكم أحكامًا مسبقة على الغير؟!

أنا فعلاً حاولت السرقة، ولكن من أجل إنقاذ حياة ابني من الموت، وليس من أجل زيادة رصيدي في البنك من عشرة مليار إلى خمسة عشر!!

لم يخف الأمر على أحد، الشركة وزملائي في العمل وجيراني، جميعهم علموا أنني سارق وكنت في السجن، كنت في منتهى البؤس، لذلك قررت أن أسبق الأحداث، قررت أن أكون الفعل وليس رده، ولو لمرة واحدة!

سألته قائلاً: "ماذا ستفعل؟!".

قال: "سأقطع اليد التي تؤلمني".



مذكرات الدكتور الشخصية

الساعة 9.43 م

ذهبت إلى مكان جمعتنا فيه ذكريات، كنت على أمل أن أجدها، لكنها لم تعد تأتي، ولم يعد للمكان طعم، أصبح ماسخًا، أمازالت موجودة؟ أمازالت كما كانت دائمًا؟ جذابة، أم أنها مجرد وهم نسجه عقلي ليريحني من عذاب آخر؟! أكانت حقًا موجودة؟ أكانت حقًا جذابة؟ أم أنني أتوهم كل ذلك لأهرب من أشياء أخرى، عدت إلى ما كنت عليه سابقًا، أشك في كل شيء، أشك فيهم، أشك في نفسي، أشك في وجودهم، وفي مميزاتهم، أشك في صدقهم، وما هو أمر من ذلك هو أنني أشك في نفسي، لم أر في المكان ما يريح نفسي، شعرت أن المكان موجود لكن ينقصه روحه، صدري ضاق، حالة من الحزن تتتابني، السجان يأخذني من جديد إلى سجني، زنزانة الذكريات .



التجارب

كانت الأيام التالية للتجربة الناجحة هي متابعة الشمبانزي، كنت أرى تصرفاته تميل إلى أي اتجاه، هل سبَّبَ له مضاد الدوبامين فقداناً كلياً للذاكرة أم جزئي، لكن من ملاحظتي الدقيقة له ولتصرفاته، يبدو أنه فقدان كلي، ويبدو أيضاً أنه فقد القدرة على عمل أشياء كثيرة، فقد القدرة على تنفيذ بعض الأشياء التي تعلمها، نسي مهاراته التي اكتسبها مع الوقت، وفي يوم من الأيام قررت أن أعطيه قطعة لحم فاسدة بدلاً من الفاكهة التي كنت أطعمه إياها، كنت أريد أن أرى إذا كان سيأكل هذا اللحم الفاسد المتعفن، أم لا؟

في الحالات الطبيعية سيمتنع عن الأكل، لكن في هذه الحالة وجدته يأكل وكأن اللحم المتعفن هو وجبته المفضلة!

أكان هذا تحذيراً لم أنتبه إليه في البداية؟ أكان يجب عليّ أن أنتبه أكثر من ذلك؟ أكان يجب عليّ أن أنحي جانباً سعادتي بالاختراع وأتحرك

بدافع الأخلاق؟ ربما كان يجب لكنني لم أفعل، استمررت بالسعادة والفخر بنفسني وباختراعي، الشمبانزي فقد الذاكرة، وفقد معها أشياء كثيرة، وأنا ربحت هذه الجولة وبقى جولات أخرى، وكان متبقياً أمامي الآن البحث عن متطوع بشري يقبل تجربة الاختراع عليه .



مذكرات السجين

لكل رسول أداة يستخدمها في رسالته، لذلك كانت الأداة في رسالتي هي المسدس، ويالها من وسيلة لنشر الرسالة!!

قمت بشراء مسدس وعدد طلقات كبير، لم أعدهم ولكني لن أشتري عددًا آخر بعد نفاذهم، وضعت الطلقات في مسدسي ونزلت أبحث في الشارع عن المزعجين، وكأنني صائد أبحث عن طرائدي!

في الشارع هناك الكثير من المزعجين، ما جعلني أفكر في شراء قنبلة كبيرة وتفجيرها فيهم! سيكون هذا حل أسرع وأوسع انتشارًا، لكنني قررت أن أضيق دائرة بحثي، أنا أبحث عن أشد الناس إزعاجًا.

سعيت في الشوارع أبحث، جلت بنظري ودققت، إلى أن وجدت الأحق، الذي كان يستحق القتل، شخص كأني شخص، لكن إزعاجه أشد، راقبته وانتظرت، لكن اللحظة المناسبة لم تأت، إن ضربته بالرصاص فسأكون من الهالكين، وستنتهي رسالتي قبل أن تبدأ، كلا لن أسمح بذلك أبدًا، سأنشر الرسالة وسأسمو أعلى فأعلى، إلى أن أصل إلى المنتهى، وتحين اللحظة الكبرى، لحظة تتويجي ملكًا.

راقبته دون اقتراب، خشية لفت الانتباه، سأتسحب وأتمهل، إلى أن
تحين ساعته، سأضربه في رأسه، سأفجرها لتتناثر قطعاً، سأجعل دمه
يسيل، إلى أن يفرغ منه، كما فرغ منه الحنان، لكن حتى الآن لم تحن
اللحظة المناسبة، يتبقى في عمره القليل.

كان يسكن في حي فقير، مزدحم، لا ينام ولا يهدأ، كيف سأنفذ ما
أتيت له؟!!

انتظرت، وأتت الكلمات من شمالي، وساوس من شيطان كافر،
لكنني أنفذ، تحت تأثير المخدرات أنتشي، لأفعل ما يأمر، كانت
الكلمات.. "إن لم تستطع قتله بالمسدس فلا تتعجل، تفكر بتمهل، لا
تتعجل فإن له ساعة لن تتأخر ولن تتقدم، ولما تلوح في الأفق علامات
فاقتله بالسكين، ذلك أفضل."

تمتت في أذني أسمعها، وأنا لها مجيب .



حكاية العاقل

لم أتساءل عن كيفية قيامه بقطع هذه اليد، بل تركته يكمل دون مقاطعة، قال: "استيقظت من النوم من شدة الجوع، لا أستطيع النوم، بطني الفارغ يؤلمني، دخلت المطبخ أبحث عن أي شيء يؤكل، حتى وإن كان طعامًا فاسدًا، لا يوجد، قمامة؟ غير موجودة، حتى هذه الأشياء غير موجودة!

جلست على الكرسي وفكرت، لأول مرة أسأل نفسي أسئلة مثل هذه، قلت لماذا أتركهم يعيشون في مثل هذه الحياة ومع كل هذا البؤس؟!

لماذا أتركهم في عالم كهذا لا يحترم الإنسان بل يحترم ما في جيب الإنسان؟!

لماذا أتركهم في عالم لا يعيش فيه سوى اللصوص وأقاربهم ومعارفهم؟!

لماذا أتركهم في عالم يكون أقصى أحلامهم حصولهم على أدنى حقوقهم من طعام وشراب وعيشة آدمية؟!

لماذا أتركهم في عالم عديم الرحمة والإنسانية؟

لماذا أتركهم للعذاب يفترسهم وأنا في يدي الراحة الأبدية؟!

لم أستطع توفير لهم حياة آدمية، إذن سأرحمهم من الحياة،
سأحررهم!

سأرتكب ذنبًا كبيرًا، لكن بحياتهم كل يوم في هذا العذاب فهو نهر
من الذنوب لا يجف.

عدت مرة أخرى إلى المطبخ، فتحت الخزانة وأخرجت منها سكين!
وسيلتي لتحريرهم، ذهبت إلى حيث ينامون، نظرت إلى ملامحهم
نظرة مودع، أطلت النظر على أمل أن أحفظ أدق تفاصيلهم الشكلية،
كنت أتمنى أن أكون في ظروف أفضل من تلك لأجعلهم يعيشون حياة
سعيدة، قضيت الكثير من الدقائق ناظرًا لهم، شريط ذكرياتنا السعيدة
معًا مر من أمام عيني، برغم أن الذكريات السعيدة في حياتنا قليلة،
لكنني بكيت، وبدأ جسدي في الارتعاش، جسدي كان رافضًا أي أمر،
كل شيء داخلي كان يرفض، إلا المنطق، المنطق كان دافعي للقتل، حينما
تفكرت بالمنطق وجدت أنني سأظل في هذه الدوامة إلى الأبد، ومن

المرجح أن يموتوا من الجوع أو بمرض غامض مثلما مات ابني، المنطق
وقف أمامي وقال: "نفذ"، لم أقو على عصيان الأمر!

قبضت على السكين بقوة مصطنعة، يدي في الواقع كانت ترتعش،
كانت تتعرق من شدة الخوف والتوتر، حاولت أن أظهر قويا، لكنها
كانت قوة ظاهرية خاوية هشة!

لم تدع لي الحياة خيارًا آخر، وضعتني أمام طريق واحد،
استجمعت قواي ورفعت يدي إلى الأعلى لأحصل على قوة دفع، كنت
أمل أن تموت من أول ضربة، لم أكن أريد أن أعذبها، لن يكون عذابًا في
الدنيا وعذابًا في الموت!

كانت وكأنها ملاك نائم، كانت هادئة وجميلة، لم يتمكن الفقر من
حسنها، الفقر! اللعنة على الفقر! اللعنة على من وضعني في مثل هذا
الموقف، اندفعت بقوة نحوها وانهلث عليها بالسكين!

صرخت صرخة مكتومة، انخلع قلبي معها، ياليتني مت قبل هذا
اليوم!

بحركة لا إرادية قامت بصدم زجاجة كانت على المنضدة بجانبها،
وقعت على الأرض مصدرة صوت عالي، استيقظ ابني من الصوت

العالي الناجم عن الزجاجة، نظرت له ووجهي غارق بدماء أمه، نظري نظرة فزعة، نظرة مستغيثة من هول موقف كان لا بد ألا يراه! كانت نظرة غير واعية لما يحدث، كان المكان مضاءً بضوء الفجر، بداية يوم جديد، مذبحه تحدث.

اقتربت منه والخوف يسيطر عليه، وجدته يرتعش لا يقوى على مثل هذه اللحظة، لحظة لن نقوى عليها نحن الرجال الأشداء، تبول على نفسه من الخوف، قلبي انخلع من مكانه، اللعنة على كل شيء وضعني في مثل هذه الظروف!

أردت أن أخلصه من العذاب، لذلك ضربته هو الآخر بالسكين، ضربته كثيرًا، لم يبك، ولم يصدر صوتاً سوى تنهيدات محتضر!
في هذه اللحظة فكرت في الانتحار، لكن قطع أفكاري صوت أنين أتى من جانبي، كانت زوجتي تئن وهي ناظرة لي، وكأنها تسألني: "لماذا؟!، لماذا لم تقتلني قبل أن أرى طفلي وهو يقتل أمام عيني من والده؟!"، انهلث عليها بالسكين إلى أن فارقت الحياة هي الأخرى"، قالها وهو يبكي، قالها والندم يفيض من عينيه، لكن المنطق هو كان المحفز لهذه الجريمة، أكمل: "أرحتهم من الفقر اللعين، أرحتهم من هذه

الدنيا اللعينة، أرحتهم وعذبت نفسي، لكن المنطق كان على حق، وإن عاد بي الزمن سأقتلهم مرة أخرى، فعذابي الآن أرحم من عذابي وأنا أراهم يموتون من الجوع.

جلست على الكرسي أنظر إلى نور الفجر، جلست أتابع زوال الظلام وقدام النور، جلست ولم أشعر بالوقت إلى أن وجدت الشرطة أمامي، تم إلقاء القبض عليّ ومنذ ذلك الحين لم أتحدث مع أحد غيرك"، أقفلت التسجيل ولم أتحدث معه كثيرًا، فقط ابتسمت وقلت له: "سأرحل لأجهز كل شيء وفي الغد سأتي لآخذك".

رحلت، رحلت وأنا على يقين أن من كنت معه منذ قليل ليس إنسانًا مجنونًا، كان شخصًا مؤثرًا وما حدث معه كان شيئًا مأساويًا، لم أشأ أن أطلق عليه كما أطلقوا عليه في المستشفى "المجنون"، بل سميته (العاقل).



مذكرات الدكتور الشخصية

الساعة 11.23 م

مدينتي تهدمت، حصوني انهارت، لم يبق لي من يدافع عني، أصبحت فريسة مصابة سهلة المنال، عجبت لهذه الدنيا التي في يوم تكون فيها طائر في أعلى المراتب، وفجأة تجد نفسك تقع لتتحطم على الأرض، أنا أخطأت أخطاء كثيرة، أخطاء كارثية، جعلتني أغرق في هذه الدوامة التي أنا فيها، دوامة الحزن واليأس والإحباط، أتمنى شيئاً لن يأتي، وأنا من قرارة نفسي أعلم أنه لن يأتي، لكنني أتمنى أن يأتي، لا أدري ما مدى مناسبه لي، لكنني أريده وبعد ذلك أرى ما سأفعل، حينما يأتي لك الإحباط ويذكرك بكل شيء، حب ضائع، مستقبل غامض، حاضر لا يبشر بالخير.. اليأس يحكمني .



التجارب

عملية البحث عن متطوع كانت غاية في الصعوبة، فمن ذا الذي يملك ذرة من العقل يقبل أن يجرب شيئاً غامضاً كالذي اخترعته، ومن الذي يضحي بذاكرته حتى وإن كانت مليئة بالألم، لا بد من إيجاد شخص مختلف، يسير خارج القطيع، يبحث عن الاختلاف، يريد التجديد، فمعظم البشر يسيرون وفق العادات والتقاليد، وجميعنا بالفطرة نرى أسلم اختيار هو اختيار العامة، فمن النادر أن تُقبل على شراء شيء لا تعرفه، ومن النادر ألا تحب شيئاً يُقبل عليه معظم الناس، كانت هذه هي العقدة التي كنت أريد حلها، وكانت في الوقت نفسه طرف الخيط الذي أمسكت به، أنا أريد شخصاً خرج عن القطيع، بحث في الأماكن التي قد تحتوي على أشخاص كالذي أبحث عنه، أجريت مقابلات عدة لكنها باءت بالفشل، وحينما فقدت الأمل أخبرت أحد أصدقائي القدامى عن كل شيء يخص الاختراع، أعجبتته الفكرة وقرر مساعدتي، وهو الذي جمعني بـ (العاقل) الذي نعرف جميعنا قصته.



القصر بعد الكارثة

أجلس في غرفتي وحدي، أعتزلهم، لا أعلم كيف وصلنا إلى هذه الحالة من الدمار، ما الدافع الذي جعل الأمور تسير في هذا الطريق المظلم؟

كان يأتي لي يوميًا شخص سميتُه (التائب) ستعرفون فيما بعد مم تاب، كان يحكي لي ما حدث قبل مجيئي إلى هذا القصر، وقبل حدوث الكارثة التي بسببها أنا هنا لأجد لهم مخرجًا، حكى لي ما جعل الرؤية واضحة تمامًا بالنسبة لي، كان (التائب) في الماضي شخصية قادرة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، كان لا يتردد لحظة واحدة في أن يقتل، في أن يسرق، في أن ييارس من المحرمات ما يكفي ليدخله النار بغير حساب، لكنه بعد حدوث الكارثة دخل في حالة من الاكتئاب كما حكى لي، جعلته هذه الحالة يعود إلى الصواب، وكأن في الاكتئاب نعمة لا نراها نحن معشر السطحيين عديمي الحكمة، ألا وهي أنها تعمل على تقويمك وتعيدك إلى الطريق الصحيح، هذا ما حدث مع (التائب) وجعله يروي لي ما حدث في القصر قبل الكارثة وأثنائها، وهذه الحكاية سميتها.. حكاية النائب والتائب .



مذكرات الدكتور الشخصية

الساعة 9.35 م

آدم حينما عصى أمر ربه وأكل من الشجرة، استغفر ربه فغفر له، وفي الدين المسيحي حينما يفعل الشخص ذنبًا ما يذهب إلى القس ويعترف له بهذا الذنب ليغفر الله له، فالاعتراف بالخطأ يمحي الخطأ، أما أنا في حالتي، ارتكبت خطأ واعترفت به، لكن لا فائدة، لن تُغفر لك هذه الغلطة، لماذا لا تسامحيني؟!، لماذا تصرين على تعذيبي!؟

أنا اختفيت فترة من الزمن، هرب منك ومن حبي لك الذي جعلني شخصًا غير ما كنت عليه، جعل الحزن يقتني أثري أينما كنت، جعل مني إنسانًا محطّمًا، أعترف بحبي الشديد لك، ولكنني أعتف أيضًا أنني بعدما عرفتك وأنا من سييء لأسوأ، وهذا ليس خطأك ولا عيب فيك، ولكن هذا ما حدث، لا أعلم إن كنت ستقرأين هذه المذكرات أم لا، لكن إذا قرأتها فاعلمي أن هناك في هذه الحياة الفانية من كان مستعدًا للتضحية بروحه في سبيلك.



التجارب

تقريبًا لم أنم منذ أن عدت من عند (العاقل) الذي وعدته أنني سأتي إليه بعد يوم واحد لأخذه إلى المعمل وأجرب عليه مضاد الدوبامين لأسمح له ذاكرته التي تعذبه، جهزت كل شيء، كان المعمل كله مجهزًا لاستقبال المتطوع، السلم الذي سأصعد عليه لأنال المجد، فجأة نسيت كل الشرف والأمانة العلمية، وتحول الذي بداخلي إلى مجرد شهوة، شهوة النجاح والشهرة والمجد، وتحولت أنا من عالم إلى وحش ضاري يبحث عن فريسة ليسد جوعه، ذهبت إلى المستشفى في الصباح، وجدت (العاقل) جاهزًا للرحيل معي، وجدته في غاية الحماس، وقتها قرأت أفكاره وتخيلت أنه يقول في قرارة نفسه، أخيرًا سأتخلص من ذاكرتي، أخيرًا سأتخلص من هذه الذكريات اللعينة.

ودعت صديقي ووعدته بمتابعة كل الجديد معه أول بأول، ثم رحلت أنا و(العاقل) من المستشفى، كان يجلس في السيارة بجانبني لكننا لم نتحدث كثيرًا، فقد كان كلاً منا يفكر في المستقبل وما يحمله له، أنا كنت أفكر فيما بعد النجاح وهو كان يفكر فيما بعد مسح الذاكرة، أكان

يدرري ما سيؤول له الأمر؟! أكان يعلم أن حياته ستصل لما وصلت إليه الآن؟! لا أعتقد، فأنا أعتقد أن كل ما كان يتصوره ويتخيله لمستقبله هو الراحة والسكينة، قد يكون نال السكينة لكن الراحة لم ينلها!

وصلنا إلى وجهتنا، نزلنا من السيارة ودخلنا المعمل، كان الشمبانزي يجلس في قفصه، لم يبد عليه أي اهتمام جراء دخول شخص غريب المعمل، بل كانت نظرتة تدل على شدة الجوع، كان يأكل ولا يشبع، وكأن في بطنه ثقباً يقع الأكل منه، أو كأن العصارات الهاضمة التي في معدته زادت قوتها بنسبة 300٪، دخل (العاقل) إلى المعمل ونظر إلى الشمبانزي وأخذ يدقق النظر به، كانت أول مرة في حياته يشاهد شمبانزي، قلت له: "أتريد أن نبدأ الآن أم ننتظر قليلاً؟"

قال والحماس يقفز من عينيه: "وهل هذا شيء يُنتظر؟! فلنبدأ حالاً".

أخذته إلى الكرسي الذي سيجلس عليه أثناء الحقن، وربطت بالأحزمة يديه وقدميه تحسباً لأي ظرف طارئ، باغتني بالكلام، قال: "هل أنت تساعدني أم تستغلني؟".

لم أكن أتوقع أن يكون بهذا الذكاء، أو أكون أنا بهذه السذاجة، قلت له: "وما الفرق الذي سيحدث إن أجبتك؟ في كل الحالتين أنت رابح." -لكن ليس في كل الحالتين أنت رابح.

ارتبكت أمامه وكان ظاهرًا عليّ التردد في الإجابة، لكنني أجبتة بسؤال حتى أستطيع التفكير في رد مناسب: "كيف؟!".

-إذا كنت تساعدني فستربح، وإن كنت تستغلني فستخسر.

-ماذا سأخسر؟!!

-ستخسر نفسك.

-خسرتها منذ زمن.

تنهد قائلاً: "لا.. هناك فرق بين خسارة وخسارة، والذي أنت فيه

ليس بخسارة، هذه هي الحياة الطبيعية، شخص يعيش مُعذب، ما

الغريب؟! ما الجديد؟!!"

عجزت عن الكلام أمامه، فأكمل: "أريدك أن تتذكر هذا الكلام

في المستقبل، هذه الحياة في ظاهرها الخلود وفي جوهرها الموت

الوشيك!!!"

هزمني، لم أقو على الرد عليه، فارتديت الكمامة وأحضرت الحقنة التي تحتوي على مادة مضاد الدوبامين، نظرت له في عينيه فوجدت نظرتة لي مرعبة، وكأنه ينبؤني بمستقبل بشع، وفهمت أيضًا من نظرتة أنه يفهمني أكثر مني، شعرت أنه يعلم أنني لا أساعده، وأنني شخص أناني لا يجب إلا نفسه، وأنني شخص ضعيف، مغفل، طماع، غبي، يشعر أنه محور الكون، وتفكيره كله منصب على أن الكون كله مخلوق لراحته ولتحقيق رغباته، نعم.. لقد كانت نظرتة محقة! لقد كنت هكذا فعلاً، لكن مهما كانت درجة تشاؤمي وقتها، لم أكن لأتوقع مستقبل بهذا السوء، مستقبل كالذي أكتب لكم منه هذه المذكرات!

أعطيته الحقنة وجلست أمامه أتابعه، مازال يحدّق بي، مازالت نظراته تلاحقني، لا يريد أن يغير نظره عني، ومن جديد اكتئاب حاد مفاجئ، أختنق، لا أستطيع المواصلة، مرت عشرون دقيقة وهو يحدق بي إلى أن قمت من أمامه، نظراته تلاحقني أينما ذهبت، كانت تقرأ مستقبلي، وهو ما كان يرعبني ويزعجني في نفس الوقت!

أكره أن أكون كاتبًا مفتوحًا أمام الناس، وأكره أن يحدعوني، لكنني كنت أمام (العاقل) كاتبًا مفتوحًا، مرت الآن ثلاثون دقيقة بالضبط،

الوقت الذي احتاجه الشمبانزي ليفقد ذاكرته، كنت في الحمام حينما بدأت أسمع صراخًا، عويلاً!!

إنه (العاقل) يصرخ، ترى لماذا؟!

صوته مزعج، صوته يدل على شدة ألم أصابه، عدلت من وضع الكمامة على أنفي، ثم ذهبت إليه لأرى ما الذي يجعله يصرخ.

كانت المفاجأة كبيرة بالنسبة لي، كان أول ما لفت انتباهي أن نظرتة الثاقبة، التي تجعلك تصاب بضيق تنفس تحولت إلى نظرة طائشة، لا تعلم أي شيء، كان واضحًا عليه التعب، كان من الواضح أنه تغير بصورة كبيرة، كانت عيناه تدوران في الاتجاهات بسرعة كبيرة، فقد نقطة التركيز على ما يبدو!

كانت هذه أولى ملاحظاتي، كان يتألم ويصرخ، في البداية لم أعلم ما السبب، لكن من الواضح أن التجربة عليه قد نجحت وفقد الذاكرة، لأنه لم يتعرف عليّ، حينما اقتربت أكثر منه، ركز نظره عليّ، لكن النظرة كانت غريبة، نظرة لم أتبينها ولم أفهمها في البداية، كان لا يعلم من أنا وما أكون؟ كان متعجبًا بعض الشيء مني، وكأنه رأى حشرة في حجم إنسان

تقترب منه وهي تمشي على اثنتين وتتحدث معه، كان يتنفس بسرعة كبيرة، وكان واضحًا عليه الإرهاق، تحدثت معه وقلت: "بم تشعر؟".

-

لم أتلق منه إجابة، بل ظل ينظر لي نظرة التعجب ذاتها، اقتربت منه أكثر حتى أصبحت على بعد عدة سنتيمترات، وضعت يدي على رأسه لأرى درجة حرارته، لكنه فاجأني بفعل لم أتوقعه ولم يكن يخطر على بالي أن يصل الأمر إلى هذه الدرجة من السوء والفسل، فالاختراع نجح بصورة ناقصة، فقد الذاكرة، ولكن كيف لم أتوقع حدوث شيء كالذي حدث؟!!



حكاية النائب والتائب

كان يأتي لي (التائب) بحجة أنه يباشر ما توصلت إليه من حلول، لكنه في الواقع كان يأتي لي ليتحدث معي، لا أعلم لماذا؟ لكن من الواضح أنه كان يرتاح حينما يحكي، وكأن الذنب يسقط عنه بالاعتراف! كان هذا الدافع الواضح من حكايته لي ما حدث بالتفصيل ودون أي تعديل، لأنه إن عدل في شيء سيكون في الأجزاء الخاصة به، سيحاول أن يجمل نفسه وأن يضع نفسه في موضع من خُدد، لكن هذا لم يحدث لأنه كان يحكي أنه سبب من الأسباب التي أوصلتنا إلى هذا الطريق المسدود، طريق اللاعودة كما وصف، لكن أنا كنت أحمل أملاً حتى وإن كان ضعيفاً أننا نستطيع أن نعود إلى الطريق الصحيح، برغم أنه كان بالمنطق درباً من دروب الخيال، لكن من الخيال ما صنع حاضرنا المتطور الذي إذا قلت لأحد من الماضي أننا سنصل إلى الفضاء سيقول إنك من المخبولين، أو إن قلت له إننا سنطير كالطيور في السماء سيصف

لك طبيياً جيداً للتابع معه حالتك المستعصية، لكن ما كنت أفكر فيه كان مثل الأشياء التي فكر فيها من سبقوني وكانت من المستحيل لكنها تحققت، من الممكن أيضاً أن يتحقق ما أفكر فيه، فإن تحقق ستتغير البشرية بأكملها، سيكون الاكتشاف الأعظم، يكمن الحل في الزمن .

لكن دعونا نعود إلى ما كان (النائب) يحكيه، بدأ كلامه عن (النائب) حيث قال: "لا أحد يعرف أصوله ولا من أين جاء، هو شخص بدأ الترقي في المناصب بصورة سريعة إلى أن وصل إلى نائب رئيس الجمهورية، وما ساعده في ذلك أنه ذكي جداً، ويعلم ما يريد، لكن لم يكن أحد يتوقع أن يصل الأمر إلى ما فعله بعد ذلك".

أكمل: "أتعلم الشخصية النرجسية؟"، أجبتُه بنعم، قال: "هو شخصية نرجسية، لا يجب غير نفسه، ومن شدة حبه لنفسه ممكن أن يموت مثل نركسوس، شخصية تعتقد أننا خلقنا لأجله، ويجب أن نخدم تفكيره ونكون عند حسن ظنه دائماً، حتى وإن كان شراً! شخصية متبلدة المشاعر، لم يجب أحداً من قبل، لم يتزوج ولا يريد حتى، لأنه يعلم أنه لا يوجد شخص سيتحمله، لكن بالتأكيد لا توجد شخصية قادرة

طوال الوقت، أو مثالية طوال الوقت، نحن بشر، داخلنا الخير والشر في آن واحد، بالتأكيد لديه مشاعر، بالتأكيد لديه طيبة وإنسانية مثله مثل أي شخص آخر، لكن الفرق بيننا وبينه أننا نستطيع إخراج الطباع الحسنة التي بداخلنا، برغم كل الأخطاء التي ارتكبتها، والكوارث التي تسببت بها استطعنا تجاوزها وفتحنا صفحة جديدة، هو لم يستطع ولم يعط لنفسه فرصة، لذلك هو مازال قذرًا.

شخص سلطوي، يحب السلطة، ويعادي أي أحد يقف أمام حبه لها، وعلى استعداد أن يفعل أي شيء في سبيل نيل السلطة."

كنت أستمع له باهتمام، وكنت أنا على معرفة سابقة بـ(النائب) ولكنني سأقول لكم فيما بعد كيف عرفته وما الذي جمعني به، تابع (النائب) حديثه: "شخصية تحيط بها هالة كبيرة من الغموض، يعلم أهدافه جيدًا، ترقى في المناصب بسرعة كبيرة ووصل لنائب الرئيس وهو شاب صغير بالنسبة للمنصب، لكن حدث حادث غريب غير الكثير من الأحداث بعد ذلك، حادث لم يعرف أحدًا حقيقته غيري، أو هناك غيري لكنهم خافوا من الحديث، فلو أنهم تحدثوا لما وصلنا إلى هذه

النقطة، وكان الوضع لحق، أنا أيضًا كنت خائفًا من الحديث، لا أنكر، لم أستطع الحديث عما اكتشفته بعد الحادث."

لم نستطع أن نُكمل حديثنا لأن الوقت كان ضيقًا، لأنه من المفترض أنه يأتي لي يوميًا ليرى ما توصلت إليه وهو شيء لن يأخذ وقتًا كبيرًا، لذلك توقفنا في الحديث عند هذه النقطة التي سيحكىها لي في اليوم التالي.



مذكرات الدكتور الشخصية

الساعة 6.58 مساء

قلبي أصبح مثل أرض طينية جافة لم يصل لها الماء منذ مدة طويلة، متشققة، وعليها آثار أقدامك، أقدامك التي دهست قلبي وجعلته يتألم، وحينما سقيت قلبي سقيته بالجاز، وأنا بغبائي أشعلته بعود ثقاب، جعلت قلبي يحترق أمامي، قطعة الطين الجافة والمتشققة التي كانت تحتاج إلى ماء، تحترق، وكأن الأمر يحتمل، وكأن قلبي كُتب عليه العذاب، وكأنني لا أشعر، ولا أملك كرامة مثل التي يملكها أي إنسان على وجه الأرض، وحينما خمدت النار التي اشتعلت في قلبي، أصبح قلبي جافاً أكثر، متشقق أكثر، لكن آثار أقدامك لم تعد موجودة، على ما يبدو أنني تخلصت من جزء كبير من حبي لك، يبدو أنني ربحت وخسرت، ربحت أنني على وشك أن أنساك، وخسرت كل شيء.



قبل الكارثة

انحرفت التجارب فجأة إلى منحني غريب، منحني مفاجئ في الأحداث، من الذي كان يتوقع أن يصل الأمر إلى هذا؟!، وقتها بدأت الأبحاث وتوصلت إلى هذه المادة كان تخيلي غير ذلك، كان عقلي يرسم لي الجانب المشرق والإيجابي ليس إلا، لم يأت في بالي هذا الأمر، حتى وأنا معروف عني شدة التشاؤم، لم أكن لأتوقع أن يصل الأمر إلى هذه النقطة الخطيرة، ظل (العاقل) كما هو يصرخ من شدة الألم، يحاول أن يفك وثاقه، منتهى الغضب ومنتهى التوتر ظاهر عليه وعلى تصرفاته الغريبة. لم أكن في حالة جيدة تسمح لي بالتفكير السليم، كنت مصدومًا، كنت مشوشًا، لذلك أول حل جاء في رأسي نفذته، أمسكت هاتفي المحمول واتصلت بصديقي الطبيب الذي دلني على (العاقل) وطلبت منه أن يأتي إلى معلمي للأهمية القصوى.

دخلت إلى المعمل أنظر إلى ما فعلت، وقفت أمام (العاقل) وقلت في نفسي، هذا ما قدمت يداي، هذا ما وصل إليه ذكائي، ومن جديد

ضيق تنفس، اكتئاب حاد، وكالعادة يأتي الحزن ليقبض عليّ ويضعني في
زنزانة الاكتئاب، ولك أن تتخيل كيف تبدو هذه الزنزانة،

وكالعادة حينما أذهب إلى هذه الزنزانة يأتي الحزن ليربطني في
شجرة الذكريات، تلك الشجرة التي تملؤها الأشواك، والتي أوراقها
عبارة عن صور لذكريات تعذبني، أنا البائس، حتى حينما أردت أن
أخترع شيئاً يخلصني من هذا العذاب فتح لي باباً آخر من العذاب!

لم يتأخر صديقي، فقد كان واضحاً من نبرة صوتي أن الأمر خطير
جداً، قابلته في الخارج قبل أن يدخل المعمل وأعطيته كمامة ليضعها على
أنفه لأن الأمر قد يكون خطيراً، دخل المعمل، حالة من الانبهار أصابته
حينما رأى معملي، رأى الشمبانزي في قفصه يأكل دون أن يشبع، لكنه
تفاجأ ولمحت في نظره الخوف حينما سمع صوت صراخ (العاقل)،
وعندما سألني عن السبب الذي جعلني أطلب مجيئه، أخذت أشرح له
الأمر من أوله لآخره لأنني أردت أن أشرك أحداً معي في هذا الحمل
الثقيل الذي لا أقدر على حمله وحدي، قلت له: "في البداية كان
اختراعي عبارة عن بكتيريا تُضاف عليها مواد كيميائية معينة"، ولم أذكر
له بالطبع أسماء المواد ولا اسم البكتيريا، "النتاج من هذه الإضافات

مادة جديدة، تدخل الجسم وتقوم بعملية تتبع لهرمون الدوبامين، تتغذى عليه، وتستمر في التغذية على الدوبامين إلى أن تصل إلى المخ، وستدخل المخ لتتغذى على الدوبامين وبالتالي ستتغذى على أماكن وجود الذاكرة في المخ ومن ثم يحدث فقدان كامل للذاكرة"، كانت تسيطر حالة من الانبهار على صديقي، كان شديد الإعجاب بذكائي وما وصلت إليه، لكن كنت على يقين أنني حينما أخبره عن نتائج الأبحاث ستصيبه حالة من الصدمة كالتي أصابتنني، أكملت: "اختبرت الاختراع على الشمبانزي ونجح في مسح ذاكرته، لكن حينما اختبرت مضاد الدوبامين على إنسان كانت النتائج كارثية."

كان من المتوقع أنني حينما أقول كلمة كارثية ستتبعها نظرة تعجب وذهول يتخللها صدمة، وسنسمع في الخلفية موسيقى تُشعرك بهول الكلمة على السامع، لكن الحقيقة أنه لم يتأثر، بل كان متحمسًا لسماع الجديد!، ما الذي حدث وما الذي توصلت إليه، قلت: "حينما قمت بحقنه بمضاد الدوبامين، مر حوالي ثلاثين دقيقة، كنت في الحمام حينما سمعت صوت صراخ، كان صراخًا مزعجًا يدل على شدة الألم، خرجت وكان مازال يصرخ بألم، حينما نظرت له لاحظت تغيرًا في نظرته، كان

وكأنه يبحث عن شيء ضائع منه! أردت أن أرى حرارته لأتأكد من أنها ليست حمى، اقتربت منه ووضعت يدي على رأسه، لكنه لم يعطيني فرصة، لأنني حينما اقتربت يدي منه كاد أن يعضها!! ثانية واحدة فرقت بين أسنانه ويدي، ومن المفاجأة والصدمة لم أدر كيف أتصرف، لم يخطر ببالي سواك، لذلك اتصلت بك، أنا لا أعرف ما الذي حدث له، لكن الوضع لا يبشر بالخير."

استمع لي صديقي باهتمام واضح، وكان يبدو عليه الحماس، عكس ما كان واضحًا عليّ، الاكتئاب والإحباط، اتفقنا على أننا سنعطيه حقنة تخدير لينام، تسحب صديقي من خلفه دون أن يشعر وأنا كنت قد جهزت في يدي حقنة التخدير، أمسك صديقي برأسه وأنا بسرعة أعطيته الحقنة.

انتظرنا أقل من دقيقة وقامت الحقنة بتخديره ومن ثم نومه.

صديقي كان مركز نظره على (العاقل) وهو نائم في قفصه، ثم قال بحماس شديد: "أنا لا أصدق أن ذكائك أوصلك لهذا الاكتشاف العظيم."

قلت له مذهولاً من سعادته بهذه المصيبة: "اكتشاف عظيم؟!!!،
أتسمي هذه المصيبة اكتشافاً عظيماً؟!!"،

قال وهو محافظ على حماسه: "بالتأكيد هذا شيء عظيم".
سألت متعجباً: "كيف؟!!!"، أتفهم أن هذا الاختراع يُصنف على
أنه من الأسلحة البيولوجية؟!!"

قال وهو يزداد حماساً وسعادة: "وهذا ما يُسعدني، أتعرف.. هذا
السلاح من الممكن أن يُباع بالكثير من الأموال".

علامات عدم الرضى ارتسمت على وجهي: "أبيع؟!!!، يبدو أن
الجنون أصابك، هذه مصيبة لا أدري كيفية التخلص من آثارها، تقول لي
أبيعه!!"

لم نكمل حديثنا و(العاقل) استيقظ من نومه، اقتربت أنا وصديقي
أكثر من قفصه ودققنا النظر فيه، لعل الحقنة ونومه أعادوا له صوابه،
لكن لا فائدة، يبدو أن عقارب الساعة لن تعود إلى الخلف أبداً، كنت من
حين لآخر ألقى نظرة على صديقي، كان متحمساً، سعيداً، متفائلاً!!،
كنت متعجباً من تفكيره، كيف يصل إلى هذه النقطة من الإجرام؟!!"

حينما استيقظ انتظر دقيقة ثم بدأ في الصراخ مرة أخرى، كان
يصرخ وهو يمسك برأسه، يبدو أن هناك ما يؤلمه.

قررت أن أعطيه طعامًا لأتبين بعض الأمور، وضعت بعض الطعام
في سلة ووضعتها في قفصه، كان منظره مثيرًا للتعجب، كان المشهد لا
يصدق، لو كان هناك شخص يقسم لي منذ عدة أيام أنني سأرى ما
رأيت لما صدقته، لكنني رأيت في الواقع ما جعلني أزداد رهبة من هذا
الاختراع اللعين، حينما وضعت له الطعام في القفص، انقضَّ عليه كمن
لم يأكل منذ أسابيع، وأكل كما تأكل الحيوانات، كان يجلس على أربع
ويحني رأسه ناحية السلة، وصدريقي كعادته سعيد ومبتسم ويتابع ما
يحدث باهتمام واضح، ومن المفاجآت التي حدثت أيضًا أنه وأثناء أكله
تبول في مكانه وأمامنا، دون خجل، أو دون أن يتوارى عن الأنظار!

ما الذي حدث؟!؟

ما الذي أوصلنا لهذه النقطة؟!؟

ولماذا لم يحدث نفس الشيء مع الشمبانزي؟!؟



مذكرات الدكتور الشخصية

الساعة 8.35 مساءً

اليوم لن أكتب عنها، يتملكني شعور كبير بالملل، أمهي بداية نسيانها؟ أم هي مجرد فترة وسيعود كل شيء كما كان؟ لا أعلم، لكن هناك قاسمًا مشتركًا بينها وبين ما سأكتبه اليوم، الحزن، لا أعلم لماذا يتملكني شعور رهيب من الحزن حينما أرى شخصًا يشبه أحدًا من أسرتي، مثلًا رجل كبير شبيه بأبي، أشعر وكأن كآبة وإحباط يملآن جسدي، أشعر وكأن هناك ضيق تنفس، أشعر بالاختناق في بعض الحالات، حتى وإن كنت في أحسن حالاتي قبل رؤيتهم، شخص ما يشبه ابن أختي، امرأة تشبه أمي أو أختي، لماذا؟!، لماذا كل هذا الإحباط والحزن؟ وفي حالات كثيرة يصل الأمر إلى أنني أشفق عليهم، أمن الممكن أنه من شدة حبي لهم؟! من الممكن أن يكون هذا هو السبب، شدة الحب، لكن ما أنا متأكد منه أن هناك عاملًا مشتركًا بين كل هذه الأفكار الشاذة والعذاب الناتج عن حبي الضائع، الحزن يسيطر على كل قطرة من دمي، أنا في أسوأ حالاتي النفسية .



حكاية النائب والنائب

ما أخبرني به شيء فظيع، فأنا لم أتوقع أن الأمور سارت في القصر بهذه الصورة، أحداث كانت تنبئ بكارثة وشيكة، كارثة ستقتلع الكل من جذوره.

كنت أجلس في المعمل المخصص لي في القصر، كان معملاً مجهزاً بأحدث الأجهزة التي يمكن أن أحصل عليها، كانت كل السبل أمامي مفتوحة لأنجح، كانت كل الطرق تؤدي إلى النجاح، لكن كيف أنجح وقد حدث ما حدث؟! وكانوا يأتون لي يومياً بعينات لأتفحصها، وأفهم ما الجديد الذي يمكن أن أضيفه، وستعرفون بعد قليل ما هذه العينات، لكنني كنت أتفحص هذه العينات وفي ذهني تدور أفكار مجنونة، أفكار من شأنها أن تريحنا جميعاً، لكن كل شيء بضمنه، وضمن هذه الفكرة باهظ، لكن كانت هناك فكرة أخرى من الممكن أن تغير كل شيء للأفضل، هذه الفكرة لها ميزة وعيب، ميزتها أنها ستكون حلاً آمناً، وعيبها أنها حتى هذه اللحظة خيال وليست واقعاً سهل التنفيذ، فإذا نجحت في تنفيذها سأكون قد نجحت في جعل الخيال واقعاً!

وجدت طرقاً على باب المعمل، نظرت في الكاميرا الخاصة بي،
وجدته (التائب)، فتحت له الباب، دخل كعادته متظاهراً أنه يتفحص
النتائج التي توصلت إليها، ويعرف مني آخر التطورات، وبدأ كالعادة
يكمل الحكاية، قال: "أين توقفنا ليلة أمس؟".

قلت له: "عند الحادث الذي حدث في القصر".

قال: "نعم، ما حدث لم يكن أحد يتوقعه، وإلى الآن لم يفهم أحد ما
حدث، أنا فهمت لكنني كما قلت لك لم أتحدث خشية مواجهة المصير
المجهول!

أنا فهمت ليس لأنني أذكى منهم ولا هم أغبى مني، لكنني فهمت
لأنني كنت مساعده في كل شيء، لكن شيئاً مثل ما حدث لم يخبر به
أحدًا، حتى أنا! لكنني ربطت الأحداث وخرجت بالنتيجة التي جعلتني
متأكدًا مما أقول، من الممكن أن يكونوا هم كذلك ربطوا الأحداث
وفهموا، لكنهم خافوا من الحديث مثلي، ممكن.

في يوم من الأيام كنا مستيقظين في الصباح الباكر كالعادة لأداء
عملنا في القصر، الروتين الذي نفعله كل يوم، وكان في ذلك الوقت
(النائب) جالسًا مع الرئيس في المكتب للاجتماع الصباحي كالمعتاد، يوم
بدأ كأى يوم، لكن النهاية كانت مغايرة!

الرئيس طلب القهوة الصباحية كالعادة، وبعد حوالي نصف ساعة سمعنا صوت طلقات نارية قادمة من مكتب الرئيس! كانت طلقات كثيرة، يبدو أنها خزانة كاملة قد أُفرغت للتو! شيء كهذا ليس طبيعيًا في القصر، كل منا ترك ما كان يعمل به واتجه مسرعًا إلى مكان الصوت الذي قادنا جميعًا إلى مكتب الرئيس، كان أمن الرئيس سبق الجميع إلى المكتب، حينما صعدنا وجدنا الأمن واقفًا عند عتبة المكتب مصعوقًا مما يرى! وكانت نظراتهم تدل على أن هناك مصيبة حقيقية، اقتربنا بخطوات مترددة، نظرنا داخل المكتب، كانت حقًا مصيبة حقيقية، من المفاجأة لم ينطق أحد قرابة الدقيقتين، تساءلت هل ما نراه حقيقي؟! أنا أحلم؟! لا إنه للأسف واقع.

كان المنظر الذي نراه أن الرئيس نائم على (النائب) والرئيس مضروب بالنار! كان ظهره غارقًا بالجروح والدماء، في بدء الأمر اعتقدنا أن الاثنان قُتلا، لكننا وجدنا (النائب) يتحرك ويُلقي بجثة الرئيس بعيدًا عنه ومن ثم يقف، كانت ملامحه تدل على الخوف والذعر، حينها قام ووجدنا نركز معه، فهم من نظراتنا أننا نطلب منه تفسيرًا واضحًا لما حدث، قال: "كان يريد قتلي، وأنا كنت أدافع عن نفسي، أنا

لا أعلم ما الذي حدث وما الذي دفعه لفعل ما فعل، لكنه ومن دون سابق إنذار انقض عليَّ بطريقة شرسة، لم يكن أمامي حل سوى ضربه بالنار."

أنا بدأت أفهم ما الذي حدث، أو توقعت، لكن (النائب) أكمل: "لم يكن أحد يصدق ما يسمع، لم يكن هنالك من يستوعب الذي يقوله (النائب)، لكن (النائب) قال حينها لمح في نظراتنا عدم التصديق: "إن لم تصدقوني من الممكن مراجعة كاميرات التسجيل."

كان حلاً منطقيًا، الحقيقة سنراها في الكاميرات، بالتأكيد سجلت كل شيء، لكن ما العمل إن أثبتت الكاميرات أن (النائب) يكذب!!؟



قبل الكارثة

في اليوم التالي حدثت مفاجأة جعلتني أُعيد النظر في أشياء عدة، كانت المدة بين أخذ مضاد الدوبامين وفقدان الذاكرة عند الشمبانزي والإنسان واحدة، ثلاثون دقيقة، لكن في حالة الشمبانزي فقد كان ما هو واضح أمامي أنه فقدان آمن للذاكرة، أما في حالة الإنسان فقد كان الأمر مختلفًا، كان كارثيًا، كان أشبه بالأصابة بنوع من الفيروسات، لكنني لم أستطع أن أقوم بأبحاث على (العاقل) لسرعة الأحداث وتتابعها.

أردت أن أفهم في البداية لماذا لم يحدث مع الشمبانزي مثلما حدث مع (العاقل)؟!

في البداية شككت أنه مجرد شيء بيولوجي في جسم الشمبانزي منع معه حدوث تلك الأعراض الغريبة، هرمون معين أو مقاومة الجسم للأمراض عنده أقوى بكثير من التي في جسم (العاقل)، كل هذه كانت احتمالات واردة، لكن برغم من أن معلمي كان جيدًا، إلا أنه لم يكن مجهزًا بشكل كامل لضعف السيولة المادية، لذلك لم أتمكن من فحص

الشمبانزي على أجهزة متطورة، كنت أكتفي بالمتابعة العينية وتدوين الملاحظات، وأول ملاحظة كتبتها أنه يأكل بشره كبير، وهذه النقطة كانت حلقة الوصل الوحيدة بينه وبين (العاقل)، لكن من الملاحظة أيضا بدأت أشعر بتغير، بدأت أشعر أنه يزداد وزنًا، لكنني لم أكن أتوقع أبدًا ما حدث بعد ذلك، وكنت أقول حينها أشعر أنه يوم بعد يوم مع الأكل يزداد وزنًا إنه من كثرة الأكل وهذا أمر طبيعي.

كنت أضع له الطعام يوميًا، كنت أخشى أن يموت دون أن أصل إلى نتيجة، لكنني لم أكن أعلم أنني بذلك أعجل بموته، عكس ما كنت أسعى له، بعد يوم من ملاحظة تزايد وزنه بصورة واضحة، استيقظت من النوم، وتعاملت بالروتين في كل شيء في الصباح كعادتي، دخلت الحمام، غسلت أسناني ووجهي، دخلت المطبخ وجهزت كوب القهوة الصباحية، ارتديت الكمامة، وبعدها أحضرت كعادتي طعامًا ودخلت إلى المعمل لأضعه للشمبانزي في قفصه ليأكل، لكن ما وجدته كان مفاجأة كبيرة بالنسبة لي، كان من الأشياء التي لم أكن أتوقعها أبدًا، حتى وإن كنت من أشد الناس تشاؤمًا، لن أستطيع أن أتخيل أن هذا ما حدث.

حينما دخلت على الشمبانزي وفي يدي الطعام لأضعه له ليأكل،
وجدت الشمبانزي ميتاً! ووجدت الدم يغطي مساحة كبيرة من
الأرض، وهذا إن دل فإنه يدل على شيء انفجر فيه!!

اقتربت من القفص، استيقظ (العاقل)، حاولت بقدر ما أستطيع
أن أتجنب أن أدوس على الدم بقدمي، (العاقل) بدأ في الصراخ والتألم
كعادته، صوته مزعج، لولا إحساسي بالذنب تجاهه لقتلته!

أصبحت على مقربة من الشمبانزي، بحثت بجانبه على أي شيء
أستطيع به أن أحرك الشمبانزي قليلاً، وجدت عصا، أمسكتها ودفعت
بها الشمبانزي، كان منظرًا مفاجئًا، وغير كل الأحداث بعد ذلك، وغير
كل ما ترتب على هذه الأحداث، عملت هذه الصدمة على إزالة الكثير
من الغموض الذي لف الأحداث السابقة، وجعلتني أعرف أنني
أتعامل مع كارثة حقيقية، كارثة ستعرفون فيما بعد أنها سببت وتسببت
في الكثير من الألم والكثير من الدمار .



مذكرات السجين

هل أنا مختل، أم أنا رسول مبجل؟!!

كلا لن أخجل، فأنا مُرسل لأقتل، تحت تأثير شيطان رجيم،
يوسوس فأفعل!

ذهبت إلى أحد المتاجر أسعى، واشترت سكيناً ذا نصل حاد،
سأغرسه في قلبه، سأجعله يتألم، كما جعلها تتألم، سأثقب قلبه الذي لم
يلن، فمن مثله حقاً من الخاسرين، وسيكون هذا جزء المزعجين.

عدت إلى من وقع عليه الاختيار، كان جالساً في بيته، رأيت، وهو
رآني وحدي، فهو لم يُكشَف عنه الغطاء بعد، وحينما يكشف عنه الغطاء
سيرى أنني لست وحدي، فهناك عن شمالي من يوسوس، سيفزع برؤيته،
بعد أن يفزع مما سأفعل، فأنا لن أتأخر، فالبوادر لاحت في الأفق، ومن
على شمالي أتاني الأمر.. أن افعل.

صعدت الدرج، وصلت إلى منزله، طرقت على الباب وانتظرت،
خبأت السكين وراء ظهري، سمعت صوت خطوات تأتي، تمنيت أن
يكون هو، ففُتح الباب لأجده، نظرتي بتعجب، ففزع، كُشف عنه الغطاء

ورأى عن شمالي ما رأى! طعنته بالسكين في قلبه فهوى على الأرض،
فتمتم من على شمالي.. أن اهرب ذلك أفضل لك وللرسالة التي تنشرها،
لم أفكر، نفذت دون أن أنظر خلفي.

وحينما نزلت إلى الشارع سمعت صوت صراخ، أحدهم ينعيه،
وحدث الخلل حينما نظرت خلفي، وحدث ابنته التي كان يضربها
تصرخ! هي حزينة، برغم ما فعله حزينة، هل أخطأت حينما قتلتها؟!
بدأ الندم يضربني، وبدأت أفكر، لماذا أقتل؟! أنا لست صاحب
رسالة، يبدو أن تأثير المخدرات بدأ يزول، وبدأت أستعيد وعيي
الكامل، أعترف بالخطأ، وأتمنى العفو والغفران، لكن المخدرات تأبى أن
أتوب، ومن على شمالي يصير على أن أكمل رسالته اللعينة!



مذكرات الدكتور الشخصية

الساعة 7.36 مساءً

الموت، كل ما أتمناه من الدنيا الآن هو الموت، قلبي يعتصره ألم شديد، ألم نفسي، لا أعلم متى ينتهي، تفكيري يضربه التردد، لا أستطيع أن آخذ خطوة، أسير وأنا مذذب، وقبل كل خطوة، أحسبها طويلاً، قد ترى أنها ميزة ولكن الشيء حينما يكون فائضاً عن الحاجة يصبح عيباً، الحب الفائض عن الحاجة عيب، الكره الفائض عيب، التردد الفائض عيب، الحزن الزائد عيب، عيني تدمع، قلبي نبضه يتوتر، لا أعلم متى ستنظر لي عين الموت، متى يأتي دوري في هذا الطابور الذي لا أرى آخره، طابور منتظري الموت.

أنا أكره هذا الشعور الذي يأتي حينما تظن أنك شخصاً ذا أهمية في حياة شخص آخر، وتكتشف في النهاية بعدما تتشعب بالأمل أنك شيء تافه لا تذكر، أنت صفر على الشمال، أنا الآن كذلك، أنا التافه، أنا الشخص الذي إذا مر من أمامك من كثرة ما هو عديم الأهمية قد لا

تشعر به، أنا هواء، أنا كائن لا أملك أي شيء مميز، أنا لست من يكتبون
من أجله شيئاً في أوراقهم الشخصية، مذكراتهم، أنا لا أحد يعرفني، لا
أحد يهتم بي، لا أحد يشعر بما أشعر به، ضيق التنفس يعود من جديد،
الإحباط والحزن واليأس وكل ما هو سييء يعودون ليضربوني بعنف،
يضربوني حتى أنام من شدة الألم النفسي.



حكاية النائب والنائب

لم يصدقه أحد، لأنه ليس من المنطقي أن تكون جالسًا مع إنسان طبيعي وفجأة يهاجمك ويريد قتلك!
كانت قصة غير منطقية بالمرّة، لذلك لم يكن هناك حل إلا مراجعة كاميرات التسجيل.

أظهر الفيديو أن (النائب) والرئيس جالسون سوياً يتهامسون بالكلام، لكنه لم يكن همساً لا نستطيع تمييزه، كان كلاماً عادياً في الشؤون العادية للبلاد، انتابني حالة من الشك في مدى مصداقية التسجيل، لذلك قمت بالنظر إلى وقته وتاريخه، كان الوقت بالضبط 9.03 دقائق، وحينما انتهوا من شرب القهوة كانت 9.11 دقيقة، إلى الآن كل شيء طبيعي، لا شيء يدعو إلى القلق أو الشك.

إلى الآن لا توجد مؤشرات على أنه بعد دقائق قليلة ستحدث جريمة قتل، ولكن فجأة لمحنا أن الرئيس جالس لا يتحدث، وأصبحت نظرتة غريبة بعض الشيء، وكأن هناك شيئاً خطأ وكأنه تفاجأ بوجوده في هذا المكان! وبدون أي مقدمات أمسك رأسه وكأن هناك صداداً يفتك

برأسه، نظرت في الساعة وجدتها 9.41، بدأ الرئيس يتألم واستمر هذا الوضع عدة ثواني، ف (النائب) حينما رآه يتألم أخذ يتحدث معه عما الذي يشعر به، ووجدناه يمد يده ليساعده، لكنه كان يمدها بحذر واضح!! وكأنه يخاف من شيء ما، حينما مد يده نظر الرئيس إلى يده بمنتهى الاستغراب وكأنه تفاجأ أن هناك أحداً معه في المكتب! استمر في النظر لفترة وكانت نظرتة تدل على عدم الفهم، ولكن بصورة مفاجئة حاول عض يد (النائب) الذي سحب يده بسرعة! فكان رد فعل الرئيس أنه انقض عليه محاولاً النيل منه، وقعا على الأرض، كان الرئيس يحاول عضه، كان تصرفاً غير مبرر! ودون سابق إنذار انحرفت المقابلة إلى منحنى آخر، كان المشهد وكأنه صراع بقاء، الرئيس يحاول عض (النائب)، و(النائب) يحاول الهروب من الموت.

حاول (النائب) الدفاع عن نفسه بشتى الطرق، أثناء محاولة الرئيس عضه لم يجد (النائب) إلا أن يمسك رقبة الرئيس بكلتا يديه في محاولة يائسة لخنقه أو لإبعاده عنه لمدة أخرى، وكان الثواني المعدودة التي ستتبقى له سيستفيد بها!

لكننا وجدناه يمسك رقبته بيد والأخرى كانت تبحث عن شيء يخبئه، المسدس الخاص به!

وجد ضالته بعد بحث، وضع فوهة المسدس في بطن الرئيس وقام بإطلاق النار، استمر في الإطلاق إلى أن فرغت منه الخزانة بأكملها، لم أدر أكان هذا من الخوف الشديد أم لتأكيد موت الرئيس!

هنا دخل مجموعة من ضباط الأمن الذين صلبتهم المفاجأة، ومن ثم تبعناهم نحن، بعد الحديث الذي دار ودفاع (النائب) عن نفسه وقوله إنه ضحية لمحاولة قتل، اقترب مجموعة من ضباط الأمن وقاموا بمساعدته، اقتربوا من مسرح الجريمة أكثر من اللازم!

في هذه الأثناء لاحظت شيئاً لم يلحظه غيري، فقد أخرج (النائب) من أنفه شيئاً ما، لم أتبين ماهيته لأنه أخرجه بسرعة ووضع في جيبه كأنه لم يُخرج شيئاً!

وفي الحال لم يتأخروا، كان نادراً رؤيتهم، وكنا لا نراهم إلا في الكوارث الحقيقية، هم يعيشون تحت الأرض، يبحثون في الغموض عن إجابات، دخلوا وتلقائياً بدأنا نفسح لهم الطريق، الآن لا صوت يعلو فوق صوتهم، أمرهم يسير على أي أحد، كان هؤلاء الرجال هم فريق مكافحة التلوث البيولوجي!



قبل الكارثة

كان شيئاً لا يصدق، الذي رأيته كان حقاً تغيراً جذرياً في الأحداث، أمن الممكن أن يكون الأمر كما توقعت؟ أمن الممكن أن يكون مضاد الدوبامين تطور داخل جسم الشمبانزي وجعله عاقلاً لدرجة أنه ينتحر؟! كان هذا الأمر بمثابة مفاجأة بالنسبة لي إذا صح الأمر، لكن كان هذا تحليلاً أولياً للموضوع، فأنا دخلت على الشمبانزي لأجده غارقاً في الدماء، وحينها أمسكت العصا في يدي ودفعته، وجدت أن معدته منفجرة، وكأنه ضرب نفسه بسكين، من هول المفاجأة لم أدر ماذا أفعل .

لكن الأحداث كانت أسرع من تفكيري، فجهاز قياس نبض القلب الذي وضعت عليه (العاقل) فاجأني هو الآخر بشيء غريب، شيء كان هو الآخر من المفاجآت التي غيرت تفكيري وجعلتني أنظر إلى الأمر من زاوية مختلفة، كنت قد تركت (العاقل) على جهاز قياس نبض القلب، وعلقت له المحاليل داخل القفص وهو مقيد، لأنني إذا أردت أن أعطيه مخدرًا لينام لأستطيع أن أفحصه كان الأمر غاية في

الخطورة والصعوبة، لكن بوجود المحاليل ستسهل عليّ العملية كثيرًا، كان جهاز قياس نبض القلب ينذر بشيء غريب، كان نبض القلب متغيرًا وغير مستقر، بمعنى أنه كان ينبض نبضه العادي حوالي نصف دقيقة ثم يضاعف سرعته فجأة لمدة حوالي دقيقة، مع عدم استقرار في التنفس، كان شيئًا غريبًا ومفاجئًا بالنسبة لي، لم أشهد مثل هذا الأمر من قبل، هذا الأمر جعلني أترك الشمبانزي في الوقت الحالي وانصب تفكيري على نبض القلب المتغير، اقتربت من القفص، فتحت الباب ودخلت، كان عدم الاستقرار ظاهرًا على وجهه وكل قطعة وكل عضو من أعضاء جسمه، وكانت عيناه تبحث عن شيء، شيء ما لا تجده وتواصل البحث عنه، في كل مكان تنظر، وفي كل اتجاه تبحث، تسارع نبض القلب تبعه تسارع في التنفس، وتسارع حركة عينه تبعها تحريك رقبته بسرعة في كل الاتجاهات! أعطيته حقنة مخدر لينام لأستطيع أن أتفحصه عن قرب، بمجرد نومه اقتربت منه، وضعت يدي على رأسه لأقيس الحرارة وجدته من شدة السخونة سيشتعل!

كانت الحرارة مرتفعة بشدة، بصورة غير طبيعية، ولكن المفاجآت لم تقف عند هذا الحد، فعضلات جسمه هي الأخرى في حالة من عدم

الاستقرار، كانت تنقبض وتنسبط بصورة غير طبيعية، ومن المثير
للتعجب أيضا أن هناك عضلات تتكون من عضلات مجتمعة في العادة
إذا انقبضت تنقبض سوياً، لكن الأمر كان مختلفاً هذه المرة، فقد كانت
كل عضلة تعزف منفردة، وكأنه فقد القدرة على التحكم في جسده! كان
الأمر غريباً، لم يقف الأمر عند هذا الحد، فأنا وأثناء تفقدي لعضلات
جسمه وجدت أن حرارته التي كانت قريبة من الغليان أصبحت قريبة
للتجمد!!!

الحرارة تنخفض بصورة سريعة وكبيرة، جسمه أصبح بارداً
كالجثث، مات؟!!

في البداية ظننت أنه مات، لكن جهاز نبض القلب أجاب بالنفي،
كان النبض كما هو متغيراً، وكانت العضلات كما هي غير مستقرة،
والتنفس كذلك، لكن حرارة الجسم هي التي تغيرت، كما كانت رائحته
كريمة لأنه يتبول على نفسه! لا أدري لماذا؟!!

والذي كان مثيراً للتعجب أنه لم يبرز على نفسه منذ أن أخذ مضاد
الدوبامين، لماذا يتبول فقط؟! وما الذي يعيق تبرزه؟! ما الذي
يحدث؟! ماذا فعل مضاد الدوبامين بجسم (العاقل)؟!!

تركت (العاقل) كما هو في هذه الحالة العجيبة وذهبت إلى الشمبانزي الميت عسى أن أفهم شيئًا مما يحدث، جهزت أدوات التشريح وقررت أن أشرِّح الشمبانزي لأرى ما الذي حدث داخله، للأعضاء الداخلية التي لا أراها؟ ما الذي سبب الموت؟ أحقا أصبح عاقلًا لدرجة التفكير في الانتحار؟!

لكنني لا أرى أدوات تسمح له بأن ينتحر، كان القفص خاليًا، أمسكت المشروط وبدأت أشرحه، كان باردًا كالثلج، وأول شيء لفت انتباهي وتركني في حالة من الدهول وعدم التصديق أن الطعام لم يُهضم!!! كان كل هذه الأيام يأكل والطعام لم يُهضم، ومن البداية فهمت ما الذي سبَّب الوفاة للشمبانزي، انفجار المعدة من كثرة الطعام، كانت هذه النقطة بداية فهمي للمرض الغريب، لذلك أمسكت بدفتر ملاحظاتي ودونت أول ما يسببه مضاد الدوبامين من كوارث، 1 - عدم القدرة على الهضم، في الجهة المقابلة مفعول المخدر انتهى واستيقظ (العاقل) وبدأ في الصراخ والتألم، مزعج كعادته، لكنني أكملت تشريح الشمبانزي لأفهم الشيء الذي اخترعته بيدي، لأستطيع التعامل معه، أعضاؤه الداخلية كانت سليمة، كانت على حالتها الطبيعية، لكن كان

هناك بعض الاختلالات في انبساطها، كما كانت في (العاقل)، كانت مضطربة بصورة واضحة، كما كانت عضلة القلب تشكل مفاجأة هي الأخرى، فأنا لم أتوقع أن يكون الأمر كما رأيت، شيء لم أر مثله من قبل، عضلة القلب مقسومة إلى قسمين، والطبيعي أن القسمين ينبضان سويًا بصورة متناغمة، لكن الذي رأيته كان صاعقًا، كان هناك نصف منبسطًا ونصف منقبضًا!!

أمسكت دفترتي ودونت ثاني الملاحظات 2- اختلال واضح في انقباض وانبساط العضلات، دخلت على الدماغ، أمسكت القاطع الكهربائي وبدأت بشق الرأس، لكن ما وجدته كان أكبر مفاجأة، كان من الأشياء التي لا يمكن توقعها أبدًا، وهنا بدأت أفهم لماذا يحدث كل هذا التغير، وبدأت أفهم ما الذي يُحدثه مضاد الدوبامين، الكارثة الحقيقية التي لم تكن في الحسبان.



مذكرات الدكتور الشخصية

الساعة 9.45 مساءً

مزاج متقلب، أكون في أسعد أوقاتي وفجأة تأتيني ذكرى سيئة لتقلب عالمي الداخلي رأساً على عقب، شخص آخر غير الذي كان منذ عدة ثواني، وقد يصل الأمر إلى حد الدموع، الدموع لا تنهمر ولكنها تكون ظاهرة في العين، نظرة الحزن التي تجعل من يجلس بجانبك يشعر بتغيرك، وبعدها يسألك السؤال الذي أصنفه أنه من أصعب الأسئلة التي تُسأل لي، "ماذا بك، ملاحظت تغيرت بصورة مفاجئة؟!"، ياله من سؤال صعب، سؤال قد يزيد من همك وتعبك، في أغلب الحالات لا أجاب بالحقيقة، وقد أفتعل مشكلة أخرى حتى أتمكن من الإجابة، لكن لماذا هذا الوقت يا ذاكرتي؟ لماذا تصرين على أن تجعليني أبدو ضعيفاً أمام الناس؟! أهبذا الأمر تشعرين بالرضى، وهكذا تتمين مهمتك الأساسية، تعكير مزاجي، اللعنة على الذاكرة، اللعنة على الذكريات .



حكاية النائب والنائب

لم يسألني (التائب) في يوم من الأيام لماذا أكتب وراءه ما يحكيه، وكأنه يقول لي أريدك أن تستمر في كتابة ما حدث، أريد الجميع أن يعرف ما حدث، أريد للحقيقة أن تظهر، حتى وإن كلفنا الأمر حياتنا، كل هذه الكلمات كان لا يقوله لي بلسانه، بل بعينه، كنا قد توقفنا عند دخول فريق مكافحة التلوث البيولوجي، أكمل حديثه: "لا يبدو أن الأمر جيد، ففريق مكافحة التلوث البيولوجي حينها يخرجون من معاملهم تحت الأرض فاعلم أن الأمر رهيب، هم سكان العالم السفلي، يعيشون في مختبرات مجهزة على أعلى مستوى، ينامون ويأكلون ويشربون تحت الأرض، لكن بعد موت الرئيس بصورة غامضة ومراجعة الكاميرات التي زادت الأمر غموضًا تم استدعائهم، وعلى الفور كانوا في مسرح الجريمة.

دخل علينا خمسة أفراد من الفريق، كانوا يلبسون بدلات واقية للتلوث لونها أزرق، كانت مصنوعة من الجلد وليس القماش، وكانت البدلة مزودة بخوذة متصلة بالبدلة وكان الجزء الذي أمام عيونهم

مصنوع من أجود أنواع الزجاج الذي لا يعيق الرؤية بل يجعلها أكثر وضوحًا ونقاءً، وعند أنفهم كانت أنابيب موصلة بأنبوبة الأكسجين المحمولة على ظهورهم، كانت قريبة في شكلها من شكل بدلات الغطس.

دخلوا، أفسح الجميع لهم الطريق على الفور، نظر قائدهم إلى المكان نظرة سريعة وإلى جميع من فيه، وأمرهم أن يتحفظوا على كل من يقف ولا يغادر أحد إلى أن يتم الفحوصات الطبية للتأكد من سلامته وعدم حمله لأمراض، كنت أحد من تحفظوا عليهم وكان (النائب) معنا، كنت خائفًا، لم أستطع الاعتراض ولم أقاوم، كنت في حالة من الذهول وعدم التصديق أن كل هذه الأحداث تحدث.

دار في ذهني وأنا أنتظر الفحص سؤال، ماذا لو كنت حاملًا للمرض؟ أسيكون هذا نهاية المطاف؟ أستكون نهايتي محروقة في فرن ليقتلوا الجراثيم؟ أم سيكون الحل بالتعقيم لقتل الفيروسات؟ كنت في حيرة مختلطة بخوف شديد، الخوف من المستقبل الذي هو الآن ماضي.

قادونا جميعًا إلى الأسفل حيث يمكنون، حيث الغموض والرعب، حيث الأسرار ولا شيء غير الأسرار، تفرق الخمسة أشخاص، ثلاثة

بالقائد بقوا في مسرح الجريمة والاثان الآخران قادونا إلى المختبر أسفل القصر، لم أكن أعلم كالبقية أين هذا المختبر، كنت أحسبه من الأساطير التي خلقت ليتنج عنها هالة من الغموض، والغموض بطبيعة الحال قد يلجأ إليه بعض الناس ليظهروا وكأنهم أقوى مما هم عليه في الواقع، لكننا سرنا في القصر، صعدنا درجًا وهبطنا آخر، دخلنا غرفة وخرجنا من أخرى، كان الطريق صعب الحفظ، كان متاهة في وسط متاهة، لأن القصر في الأساس إذا دخلته أول مرة ستجد نفسك أمام شيء لا تفهمه، طرق كثيرة وغرف أكثر وهناك طرق تؤدي إلى طرق وغرف تؤدي إلى غرف وغرف تؤدي إلى طرق، المهم وصلنا إلى الدور السفلي، الظلام يحيط بكل شيء، لا توجد نقطة واحدة تضيء هذا المكان الأسود، ساروا بنا في هذا الظلام وكأنهم يرون، وكأنهم ولدوا في الظلام، كانوا يحفظون المكان عن ظهر قلب، لم يكونوا بحاجة إلى ضوء، فيقينهم كان يقودهم! الهدوء، لا شيء غيره، شيء ما في الظلام يُضفي على المكان هدوءًا غريبًا، كأنك في قبر، هذا ما شعرت به في تلك اللحظات، أنا في قبري والآن ستحين لحظة اختباري إن كنت سأدخل الجنة أم سأهوى في نار تحرقني، التحليل هو ما سيحدد.

لكن لم يكن هناك دليل على وجود مختبر في هذا المكان، ومن جديد يساورني شعور بأنها أسطورة يخيفون بها الناس، ودار في ذهني ما هو أشد مرارة، أنه قد يكونوا قادونا إلى هذا المكان المظلم ليقتلونا ومن ثم يصعدون إلى من في الأعلى ليقولوا لهم إننا جميعا مصابون وسيتحفظون علينا في المختبر الوهمي لحين شفائنا، ومع مرور الوقت سينسى الآخرون أنه كان لهم زملاء، هبطوا ولم يصعدوا بعدها أبداً، كان هذا الاحتمال الأكبر الذي كنت أفكر فيه."

نظرت له باستغراب، لماذا فكر في أن المختبر قد يكون أسطورة خلقها الرئيس ليحيط نفسه بالغموض، لكنني وجدت الإجابة أنه وبصورة تلقائية سيتحول هذا الغموض إلى خوف، خوف غير مبرر وغير مفهوم، وهذه هي طبيعة البشر، كل ما هو غامض يسبب الخوف، الخوف من المجهول.

أكمل حديثه: "بعد لحظات سمعنا صوت أبواب تُفتح وفجأة وجدنا أنفسنا أمام الباب، بوابتنا إلى عالم الأسرار، إلى المختبر، لم يكن توقعي في محله في أي شيء، كانت الإضاءة شديدة وكان اللون الأبيض هو المسيطر على كل شيء، الضوضاء التي تنتج عن البشر، كان المختبر

مليئاً بالعلماء الذين لا ينامون من أجل مسابقة الوقت وإنتاج كل ما هو جديد قبل أي شخص، بمجرد فتح الباب حتى اندفعت البرودة الناتجة عن تكييف الهواء واندفعت معها أيضاً روائح من تركيبات كيميائية متداخلة، كانت رائحة تثير الخوف الناتج عن عدم استيعاب الموقف، كنت خائفاً بصورة مرعبة، ظلت هذه الرائحة مقترنة بالخوف حتى يومنا هذا، كلما دخلت المختبر وشممت الرائحة تتنابني حالة من الخوف غير مفهومة.

حينما دخلنا المختبر توجهت كافة الأنظار إلينا، وكأنهم كانوا ينتظرون قدومنا، ذهب أحد العلماء المصاحبين لنا وتحدث مع أحدهم على انفراد ومن ثم نظروا إلينا، ثم أمرهم بأن يأخذونا إلى أحد الغرف، يبدو أنه كان قائدهم.

تم اقتيادنا إلى إحدى الغرف، (النائب) كان صامتاً طوال الوقت، لم يكن يتحدث، حتى أنني نسيت أنه معنا.

كان المختبر بنفس المساحة الشاسعة للقصر ولكنه كان بتصميم مختلف، ففي الوسط ساحة كبيرة واسعة خالية من أي معيقات، كانت هذه الساحة التي دخلنا عليها في البداية، وكانت هذه الساحة محاطة

بغرف كثيرة للأبحاث التي تتطلب عزلة، وكان في كل الغرف علماء، يبحثون في كل صغيرة عن كبيرة وفي كل كبيرة عن صغيرة، ولكن الغرفة التي دخلنا عليها كانت خالية، وكان على بابها علامة الخطر الجرثومي، اتجه العالم الذي يقودنا إلى الباب وهمّ أن يفتحه، الرعب يملأني، لا أعرف هل أنا مصاب أم لا، ولا أعرف الشروط التي تصيبنى بالمرض الغامض، هل الماء أم الهواء أو اختلاط الدم، كلها أمور وارد أن تكون مسببة للأمراض، لكنني في هذه الحالة لم أكن قادرًا على التفكير، دخلنا إلى الغرفة وتم أخذ منا عينات من الدم والبول والبراز، كل شيء، لم يدعوا مجالًا للخطأ، فمن كان حاملًا للمرض سيظهر ومن لم يكن فقد نجى، كنت ثالث نتائج التحاليل، الأول والثاني كانت العينات تدل على عدم إصابتهم بأي شيء، وجاء الدور عليّ، لحظات من الترقب، هل أنا مصاب، أم أنا سليم؟ كمن ينتظر نتيجة امتحان نهائي، كنت أتصعب عرقًا، وحلقتي جف، التوتر بدأ في الظهور وعدم انتظام التنفس بدأ بجعلي أشعر بعدم الراحة، لم أكن مرتاحًا، وجاءت النتائج، وجاءت معها المفاجآت.



قبل الكارثة

بمجرد اكتشاف في هذا الشيء المرعب اتصلت بصديقي، أخبرته أنني في أمس الحاجة له في الآن، لأن الأحداث بدأت تسير في طريق آخر، طريق غير الذي رسمته لها، تركت الشمبانزي كما هو وذهبت إلى القفص الذي يوجد به (العاقل)، نظرت له وبدأت أدرك أنني كنت غيباً عندما لم أفهم من البداية ما الذي يحدث، الغمامة التي على عيني أزالها تشرح الشمبانزي، الآن أنا أفهم ما الذي يحدث، والآن أنا أعرف أنني أواجه كارثة حقيقية، التبول اللاإرادي، التنفس بصورة غير منتظمة، ضربات القلب المتغيرة بصورة مرعبة، انقباض وانبساط العضلات غير الطبيعي، وتغيرات أخرى ستكون في الحسبان، كل هذه الأمور كانت تؤدي إلى طريق واحد، لكنني كنت غير متوقع أنها ستصل إلى هذا الحد. صديقي وصل إلى باب المعمل، رن على هاتفه لأفتح له، ذهبت وأنا أمسك الكمامة الخاصة به في يدي، فتحت له وأعطيته الكمامة ليرتديها، وفي الحال سألني: "ما الذي حدث؟ ولماذا هاتفته وطلبت مجيئه بأسرع وقت؟!"، طلبت منه عدم الحديث حتى يرى ما اكتشفته، دخلنا

نحن الاثنان، حينما رأى الشمبانزي تسمر في مكانه، وكأنه أصبح جمادًا في وقتها، كان الدم يغرق القفص، وكان منظر الشمبانزي الذي عبارة عن لحم وعظام وبجانبهم الجلد من أثر التشريح مرعبًا، أقل من دقيقة وتدارك الأمر، سألني عن الذي حدث، قلت له الحكاية كلها، لكنني تركت آخرها ليراه بنفسه، لم أخبره عن سبب مكالمتي له حتى يرى بنفسه ما توصلت له، اقترب من الشمبانزي، قدمه داست في الدماء وبدأت تطبع خطواتها الدامية في أرجاء المكان، أصبح أمام الشمبانزي، جلس نصف جلسة أمامه وأخذ يتفحصه جيدًا، في البداية لم يلحظ ما لاحظت، ولكنه لاحظ تغيرات واضحة في حركة العضلات وانقباضها وانبساطها، وعضلة القلب الغريبة التي لم نر مثيلاً لها من قبل، وأخذ يصعد بنظره إلى أن رأى، رأى الشيء الذي كان سبب مكالمتي له وطلبي منه المجيء في أسرع وقت ممكن، أول شيء نطقه: "مستحيل!!!".

كانت المفاجأة شديدة، فأنا وهو لم نكن نتوقع أن يكون الأمر بهذا السوء، قال: "لم أر شيئاً مثل هذا طيلة حياتي".

قلت له: "الأمر كان أكبر مني، أنا في مصيبة".

لكنه رد بشيء أحسست معه أنه لا يبادلني نفس الشعور بالذنب:

"لا توجد مصائب، أنت عبقرى".

جاوبته بغيظ : " لا توجد مصائب وأنا عبقرى!! ماذا تعنى؟ أتفهم
ماذا اخترعت دون قصد؟!!!".

قال وهو يحافظ على حماسه للاختراع: "بالطبع أعرف".
تعجبت من أنه يعلم مدى خطورة الأمر ولا يبالي: "وهل هذه
ليست مصيبة؟!".

- لا طبعًا، أنت بين يديك كنز، يجب عليك أن تستغله أحسن
استغلال .

كان كلامه غريبًا ولم أفهم قصده: "ماذا تقصد؟!".
- سأقول لك فيما بعد.

كان الشيء المرعب الذي اكتشفته أنني حينما فتحت دماغ
الشمبانزي وجدت أن أجزاء كبيرة من الدماغ متآكلة!
كيف لم أتوقع حدوث شيء كهذا؟!

وبعدما رأيت هذا قررت أن أتأكد من شكوكي، لأن الأمر إذا كان
كما شككت ستكون مصيبة كبيرة، لذلك أخذت قطعة من الدماغ
المتآكل ووضعتها تحت المجهر، الكارثة الحقيقية، شكى كان في محله،
يبدو أنني على وشك كارثة نفسية جديدة، كما توقعت فإن الدماغ مليء

بالجراثيم، نتجت عن تفاعل مضاد الدوبامين مع الجسم، وإتباعه للدوبامين ومن ثم دخوله للدماغ، وبها أن الدماغ مليئة بالدوبامين المسئول عن مكافأتها ومسئول عن السعادة، لذلك بدأت الجراثيم في التغذية على الدماغ بأكمله!

كان نتيجة طبيعية لكنني لم أنتبه لها لأن تفكيري كان منصباً على مسح الذاكرة .

في الحال تساءلت عن سبب عدم تشابه أعراض الشمبانزي مع أعراض (العاقل)؟!!

لماذا لم ألحظ عليه التغير مثلما لاحظت على (العاقل)؟!

لكن الجواب كان في التشريح، فالإنسان يملك طبقة فوق المخ تُدعى القشرة المخية، وهذه القشرة هي المسئولة عن كل الأفعال المنطقية التي نقوم بها، هي التي تجعلنا بشر، نعقل ونفكر ونخرج بحلول.

كان هدفي في البداية اختراع شيء يفيد البشرية في مسح الذكريات المؤلمة، لكنني وبغير قصد اخترعت سلاح جرثومي، ومن جديد ضيق التنفس يصاحبني في مثل هذه الأزمات، ومن جديد موجة من الاكتئاب تملكني.

أما الوضع كان عند صديقي مختلفاً، فهو كان يرى أنني نجحت،
فسلاح مثل هذا يمكن أن يحقق لي مكاسب مادية أكثر من دواء مسح
الذاكرة الغبي كما وصفه، كان سعيداً ومتفائلاً! لذلك تجنبت الحديث
معه عن أي شيء، لأنني في حالة من الحزن لا تسمح لي بالحديث، حملنا
الشمبانزي إلى خارج المعمل، أحضرت جازاً وأحرقته، كان هذا الحل
المؤقت للتعامل مع هذا السلاح الجرثومي.

كنت كعادتي وأنا مكتئب يحثني عقلي على النوم هرباً من الواقع
المؤلم، لذلك ودعت صديقي وطلبت منه المجيء في اليوم التالي لمعاونتي
في هذه الأزمة، رحل ودخلت غرفتي لأنام، ولأستعد ليوم غد
وللتغيرات التي حدثت، ولأرى ما الذي يمكن فعله من أجل إنقاذ
الموقف.



مذكرات الدكتور الشخصية

الساعة 5.02 صباحا

اليوم سأكتب عن شيء أحبه، النوم، أعلى مراتب المزاج، بعد يوم شاق ما أمتع من أن تضع رأسك على السرير وتشعر أنك جزء منه، أنت والسرير شيء واحد، لكن هناك وقت ما قبل النوم، وفي هذه الحالة أكون بين حالتين غريبتين، لا أتمنأ لبعضهما بصلة، أول حالة هي الاكتئاب وفي هذه الحالة أكون قريباً من إشعال النار في نفسي، والحالة الثانية هي التي أنا فيها الآن، أقرب إلى السكر منها إلى الرغبة الملحة في النوم، فأنا إذا قاومت النوم لمدة أصبح كالمخمورين، لا أشعر برأسي وكأنني أخذت فيها مخدرًا، أكتب وأنا لا أعلم ما الذي أكتبه، لكنه نابع من شيء داخلي، قد يكون عقلي الباطن، أو قد يكون مجرد كلام تافه من شخص أفتقه، فأنا أعشق الاعتراف بغبائي وتفاهتي وعدم فائدتي، وأني شخص أفتقر إلى نعمة الجاذبية، أنا لست محور الكون، أنا لست بطل حياتي، أنا مجرد ذرة تراب في جبل، إذا طارت لن يهتز الجبل ولن يشعر بها .



حكاية النائب والتائب

كنا عشرة أشخاص، تم صدور نتائج التحاليل في الحال، كانت نتيجتي أنا الثالثة، لكن الصدمة لم تكن أنني مصاب، لا لم أكن مصاباً، كنت سليماً، ولم أكن أتوقع أن أحداً آخر مصاب، لكن العلماء جاءوا ودون إنذار، أخذوا منا أربعة أشخاص، حينما دقت في الأشخاص الذين كانوا مصابون بالمرض وجدتهم أنهم الحراس الذين اقتربوا أكثر من اللازم، وساعدوا (النائب) على الوقوف، ولكن المفاجأة لم تكن هنا، فالمفاجأة الحقيقية أن (النائب) لم يكن من ضمن من تحفظوا عليهم، فقد كان سليماً!

كيف أمكنه النجاة من الإصابة بالمرض؟ على الرغم من أنه كان أقرب شخصاً للرئيس وأكثر من تعامل معه قبل الحادث!! والحراس الذين دخلوا واقتربوا لوقت قصير تم التحفظ عليهم لثبوت إصابتهم بالمرض، كانت هناك حلقة مفقودة في هذه الأحداث، في تلك اللحظات وأنا أسترجع تتابع الأحداث تذكرت ما فعله (النائب) وتوقعت ما يمكنه من النجاة، ما أخرجه من أنفه!

حتى الآن أنا لست متأكدًا، لكن على ما يبدو أنه كان القطن، كان يضع في أنفه قطعًا ليمنع إصابته بالمرض! يبدو أنه كان على دراية كاملة بخواص الفيروس، لكن كيف؟!

تحفظوا عليهم وسط ضوضاء عالية جراء اعتراض الحراس وعدم تصديقهم للأمر، كانوا لا يريدون أن يسيروا مع العلماء، وكأنه كُشف عنهم الغطاء فأصبحوا يعلمون المستقبل، مما اضطر العلماء إلى استخدام المخدر ليتمكنوا من اصطحابهم إلى المعامل لإجراء الفحوصات والأبحاث اللازمة.

لكن بحديث (التائب) على (النائب) بهذه الصورة، وقوله إنه رآه يُخرج شيئًا من أنفه جعلني أبدأ في فهم كيف سارت الأمور، من الذي خطط لكل شيء؟ من الذي كان يفتعل كل هذا ليصل إلى هدف أمامه؟ قال (التائب): "على الفور تم عزل الأربعة أشخاص الذين ثبتت إصابتهم، وتم تعقيمنا وإعطائنا مضادات حيوية لتتمكن على الأقل من إبطاء مفعول الفيروس إلى أن يتمكنوا من فهمه، نزلنا إلى المعمل عشرة أشخاص وعدنا منه ستة فقط، هناك أربعة أشخاص لم يعودوا معنا، وحتى إلى وقت قريب لم أكن أعرف عنهم أي شيء.

صعدنا إلى مسرح الجريمة ومعنا الثلاثة علماء الذين صحبونا إلى
المعمل، وجدنا أن الاثنين الآخرين قاما بحمل جثة الرئيس وتم التحفظ
على كل شيء كان في المكتب وقتها بما في ذلك كوب القهوة، وكانوا على
استعداد أن يرحلوا، جاء الثلاثة علماء الذين كانوا معنا وقاموا بمساعدة
الآخرين، وكانوا قد أبلغوا المجموعة التي في مسرح الجريمة تفاصيل ما
حدث في المعمل عن طريق جهاز اتصال لاسلكي، لذلك حينها صعدنا
إلى الأعلى لم يكن هناك ما يتحدثون فيه، لذلك أخذوا الجثة والمتعلقات
التي تم التحفظ عليها وهبطوا إلى الأسفل، إلى أرض الأسرار.. إلى
المختبر.



قبل الكارثة

بدأت الكوابيس تصاحبني، وبدأ العذاب الشديد، من أكثر الجوانب الشخصية التي تزعجني أنني حساس جدًا، أي شيء من الممكن أن يؤثر فيّ، ويؤثر عليّ .

النوم المتقطع، وجع المعدة، كل هذه من أعراض القلق النفسي، وهذا المرض هو في غاية الخطورة إذا لم يُلحق بالعلاج، لكن في حالتي هذه علاجي الوحيد درب من دروب الخيال.. الرجوع بالزمن!

حدثت نفسي وقلت: "نعم وجدتها"، الرجوع بالزمن، ومن واقع خبرتي في الفلك والكواكب كنت على دراية ببعض الأمور المهمة التي من الممكن أن تفيدني في إيجاد طريقة أعود بها إلى الماضي، ما قبل كل شيء مؤلم في حياتي، يالها من راحة، أعود كما أنا ولكن في زمن آخر، قبل أن أرتكب الحماقات والأخطاء والكوارث، أعود بخبرة التجربة، أعود وأنا مسلح بتجربة سابقة تعلمت منها الكثير، وأنا أفكر في هذا الحل المجنون قطع تفكيرتي هاتفي المحمول يرن، كان صديقي الذي طلبت منه العودة في الصباح، كان يحدثني ليقول لي إنه بالخارج، ارتديت

ملاسي وكالعادة ارتديت الكمامة وخرجت لأفتح له الباب، دخلت وكانت على وجهه علامات الرضى والسعادة، لم أفهم في البداية ما سبب هذه السعادة المفرطة، واعتقدت أنه تلقى خبراً شخصياً سعيداً جعله في هذه الحالة، لكن الخبر الذي تلقاه كان خبراً مفاجئاً بالنسبة لي، فهو أول شيء فعله حينما دخل وارتدى الكمامة أنه قال لي سر سعادته، وحينما قال لي السر وضعني في موقف محرج، موقف لا أحسد عليه، كان الخبر هذا محور أحداث كثيرة حدثت بعد ذلك، وكنت أنا بغبائي سبباً في هذه الأحداث، فأنا لم أكتف باختراعي سلاح جرثومي، بل ارتكبت غلطة أخرى، قبل هذا الخبر كان الموضوع يسير في اتجاه، ولكن بعد هذا الخبر انحرفت الأحداث إلى اتجاه آخر، اتجاه أكثر ظلاماً وبؤساً .

كان الخبر المسبب للسعادة بالنسبة لصديقي هو أنه وجد شخصاً يشتري مني هذا السلاح الجرثومي، ولكن ليس هذا ما أدخلني في موجة من القلق، فالنصف الأول من الخبر من الممكن أن يمر علينا، ولكن النصف الثاني كان هو الفاجعة الكبرى، كان بمثابة الصاعقة التي ضربتني، كانت صدمة كبيرة بالنسبة لي، قال لي إن المشتري هو.. نائب رئيس الجمهورية!!!



مذكرات الدكتور الشخصية

الساعة 11.43 م

لا جديد في حياتي البائسة .



حكاية النائب والنائب

سألني قائلاً: "هل تظن أن هكذا انتهت الحكاية؟! ".
أجبت: "لا أعتقد، ربما يوجد المزيد لتحكيه، فنحن لم ندخل إلى
الأحداث بعد."

-بالفعل، فما حدث بعد ذلك كان أكثر شراً وأضل سبيلاً.
-توقفنا عندما تحفظوا على متعلقات الرئيس وجثته .
-نعم والأربع أشخاص، فأنت نسيت جزءاً مهماً من الحكاية،
فهؤلاء الأربعة تم استغلالهم، في البداية وبعد فترة ليست بكثيرة بدأنا
نسأل عن مصيرهم، ما الذي حدث لهم وما الذي من الممكن أن
يحدث؟!، وكانت الإجابات أنهم يتلقون العلاج وأن حالتهم في تحسن
واضح، وأنهم استطاعوا أن يشخصوا المرض وأن يصنعوا له علاجاً،
وحينما سألناهم عن الموعد قالوا حينما يجدوا الوقت مناسباً، لأن
اكتشاف كهذا سيحدث ضجة علمية كبرى.

سألته متعجباً: "وهل اكتشفوا سبب موت الرئيس المفاجئ وسبب
انتقال الفيروس له؟! ".

قال: "كانت إجابات غير مقنعة، وكان هناك من يوجههم ليجيبوا بهذه الإجابات المبهمة المليئة بالغموض كحياتهم وعملهم، لكنني ومن واقع معرفتي بأحدتهم معرفة شخصية، قال لي إنهم لا يعرفون ما الذي حدث، وكل المعلومات المتوفرة لهم أن هناك فيروسًا سبب تواجده داخل جسد الرئيس في تآكل المخ واضطراب في الجسم كله بصورة غريبة، ولكنهم لم يتبينوا ما هو هذا الشيء، كان كحد وصفهم شيء خارج عن المألوف، شذوذ في التطور للفيروسات، فهذا الفيروس لم يروا مثله من قبل.

ظلوا يُجرون الأبحاث على جثة الرئيس ولكن دون الوصول إلى حل، كان شيئاً يفوق الغموض، كانوا أول مرة يرون مثل هذا الفيروس، والأربعة الذين كانوا يقولون إنهم في طريقهم إلى الشفاء ظل الغموض يحيط بمصيرهم، العلماء قالوا إنهم أصبحوا أصحاء وأنهم في رحلة تكملة العلاج في الخارج، لكن الحقيقة كانت غير ذلك تماماً، فلا يوجد شفاء ولا يوجد استجمام، كان مصيرهم مرعباً إلى حد كبير .



مذكرات السجين

استمرت في تعاطي المخدرات وفي القتل، لا أعرف كم عدد من قتلتهم، لكنهم كُثُر، كان من على شمالي يوسوس، وأنا تحت تأثير المخدرات أسيره.

الرسالة تسير في طريقها، وأنا في أحد الأيام في الشارع لاحظت أحدهم وهو يعامل الناس بشيء من العجرفة، فانزعجت، وتمتم من على شمالي.. أن اقتل، فتبعته ولم يلحظني، ركب سيارته فركبت سيارة أجرة وأمرت السائق أن اتبعه، ذهب إلى بيته، كان يسكن وحده، وكان هذا جيداً، دخلت، ووقفت خلفه دون أن يشعر، وانقطع الإرسال فجأة!

عدت إلى وعيي، كان على ركبتيه أمامي ووجهه مليء بالدماء والكدمات، يبدو أنه لم يستسلم بسهولة، كان يتوسل إليّ أن أتركه يعيش، وأنه وعد إذا تركته وأعطيته فرصة أخرى سيغير حياته ويكون من الصالحين.. اللعنة، وضعني أمام خيار صعب، أنا الآن في مأزق، بحثت عن حل في رأسي، لكن رأسي الآن فارغ!، تخلى عني!!، ما العمل؟! أشعر بأنه يقول الحقيقة، وإن تركته سيكون هذا درساً قاسياً

تعلمه، وسيتغير، انتظرت من على شمالي أن يتمم، لكن ليس هناك
تمتت! أنا في موقف صعب، لا أعرف كيف أتصرف، وتأثير المخدرات
التي تعاطيتها يعصف برأسي، لذلك أغمضت عيني وقررت أن هذا
الشخص يحتاج إلى فرصة أخرى، هو صادق ويحتاج إلى أن أسامحه،
فتحت عيني على صوت انفجار!! انفجار رأسه اللعين!!!



مقابلة النائب

نائب رئيس الجمهورية!

ترى لماذا تريد مؤسسة الرئاسة أن تشتري مثل هذا السلاح الخطير؟! ترى فيم يفكرون؟! وهل يحق لي الرفض؟! ولكن صديقي لم يكتف بأن يخبرني أنه وجد الشاري، بل قال إنه حدد موعدًا مع (النائب) وهو الآن في طريقه إلى هنا! موقف لا أحسد عليه، وضعني صديقي في حالة من عدم الفهم وعدم الاستيعاب، فهو قرر بالنيابة عني أن يتفق مع أشخاص ذي نفوذ وأن يعطيهم كلمة أن هذا السلاح سيكون ملكهم من الآن فصاعد، لكنني رفضت، وقلت لصديقي أن يطلبه على المحمول ويبلغه أن مخترع السلاح يرفض، وأنه لن يبيع شيئاً كهذا لأي جهة مهما كانت، لكن صديقي رفض، وقال إنني إذا رفضت ستكون العواقب وخيمة، وباختصار (النائب) سيأتي ليأخذ السلاح سواء شئت أم أبيت، ياله من شعور سييء، شعور العجز، وصديقي يضيق الحناق على أكثر وأكثر مع كل كلمة يقولها، ومن جديد ضيق التنفس، الاكتئاب الحاد، البؤس.

في مواقف مثل هذه يمكن أن أدمر السلاح وأن أنكر أنني اخترعت شيئاً مثل هذا، لكنهم سيأخذوني وسيذيقوني أشد العذاب، وسأجبر على اختراعه من جديد وهذه المرة سأخترعه وسأبقى كما أنا حبيسهم، لذلك قررت أن أقابله وأن أرى ما سيحدث وأدع الموقف لوقته.

لم يمر الكثير ووجدت صديقي يقول لي إن (النائب) بالخارج، لذلك خرجت له ومعى الكمامة ودخلنا أنا وهو وصديقي، كان رجلاً واثقاً من نفسه، لكنني حينما نظرت لعينه وأنا أصافحه شعرت بشيء من عدم الارتياح، شعرت بشر دفين، ينتظر لحظة لينقض فيها، كالأسد الجائع الذي يخطط لأكل فريسته، العين مرآة الروح، لكنني قلت إنها مجرد أوهام، فهو كان ظاهراً عليه الاحترام والثقة بالنفس، والشيء الآخر الذي أراحي أنه نائب رئيس الجمهورية، بمعنى أدق رجل له احترامه، وهناك شيء آخر لاحظته وأنا أصافحه، شيء أصابني بنوع من الدهول، فأنا لم أكن أدرك مدى ضيق هذه الدنيا، وكما سببت العذاب لشخص سيسبب لي شخص آخر العذاب، كما تدين تدان.

مفاجأة، وقتها قلت إنها مجرد صدفة، لكن الآن وأنا أكتب المذكرات أنا متأكد من الشيء الذي لفت نظري وتوقعته، لكنني سأخبركم به في سياق الأحداث.

دخل (النائب) وعينه تفحصت كل جزء في المعمل، وأول ما لقت نظره (العاقل) وهو في قفصه، والأين الخارج منه، كان كعادته يتألم، لكن كان هناك شيء جديد، الصراخ لم يعد كما كان، وقواه خرت، كانت حالته تسير من سييء للأسوأ.

(النائب) اقترب من القفص، تفحص (العاقل) وعلامات الرضى بادية على وجهه! فهذا دليل ملموس على نجاح السلاح، لم يحدثني منذ البداية إلى أن تفحص كل شبر في المعمل، وبعدها التفت لي وقال: "ماذا بعد؟"،

ياله من سؤال جميل نبدأ به محادثة بين شخصين أول مرة يتقابلون:
"ماذا بعد؟!!"

"صديقك أخبرني أنك اخترعت سلاحًا جرثومياً، وأنا هنا اليوم لأشتريه"، لم يترك لي مساحة للحديث، فأكمل كلامه: "وبالتأكيد ليس مجاناً، لا يوجد شيء مجاناً في هذه الحياة، ستأخذ مبلغاً كبيراً جداً"، وبلغة السياسيين هددني دون أن يُظهر أنه يهددني: "وكن على ثقة أنني سأخذ هذا السلاح، أنا أعلم أنك دكتور محترم وهذا بادي عليك، وبالتأكيد تسأل نفسك الآن ما الذي يجعل الحكومة تشتري سلاحاً مثل هذا،

سأجيبك فهذا حقك، فأنت يجب أن تعلم أنك تُقدم خدمة جليلة للوطن"، لم يدع لي فرصة للحديث، ياله من ديموقراطي!"، هناك مجموعة من الإرهابيين شديدي الخطورة مختبئين في الجبال، وقوات الأمن تريد التخلص منهم بأقل الخسائر، نحن سنأخذ منك السلاح لنستخدمه ضدهم، وأكد عليك أنك ستأخذ الكثير من الأموال مقابل هذا السلاح"، مرحلة الضغط، "وغير الحياة المغايرة التي ستعيشها"، الضغط العالي، "وغير كل واحدة تتمناها تجدها في خدمتك"، مرحلة الانهيار!، ذكي جداً، قرأ شخصيتي في مدة قصيرة، واستشف ما كنت أفكر فيه، وما كنت أتمنى، انهارت حصوني أمامه، فهو وعدني أنه سيستخدم السلاح أمام إرهابيين يهددون أمن البلاد، ووعدني بالمال والسلطة وكل ما أشتهي، وفي الواقع لم يكن أمامي فرصة للرفض أو التأجيل، فهو كما قال في البداية جاء ليأخذ السلاح ولن يرحل بدونه، وفي كل الحالتين سيأخذه، أما أنا ففى حالة الرفض سأخسر، وفي حالة الموافقة سأكسب.

أو هكذا ظننت!



مذكرات الدكتور الشخصية

الساعة 2.37 صباحا

لا ألومهم، لا أجد فيما فعلوه شيئًا يُعاتبون عليه، لا ألومهم على عدم الإحساس بي، ولا على عدم رؤيتي، لست حزينًا لأنهم لم يشعروا بما أشعر من بؤس شديد، العيب ليس فيهم، اللوم يقع على عاتقي، فأنا لم أكن موجودًا! لم أكن أنا، كنت شخصًا آخر، كنت مسخًا.



حكاية النائب والنائب

تساءلت ترى ماذا كان مصير الأربعة جنود؟!!

لكنني لم أستطع الإجابة بشكل محدد، فقد كان هناك الكثير من الاحتمالات، من الممكن أنهم قتلوا، أو أنهم حرقوا ليقضوا على الفيروس داخلهم ولا يصابوا به أحدًا آخر، أو من الممكن أنهم تلقوا العلاج المناسب وخرجوا لكن هذا الاحتمال تلاشى حينما تذكرت أن (النائب) قال لي إنهم لم يخرجوا أبدًا، أكمل حديثه قائلاً: "هل تعتقد أن هناك أحدًا يهبط إلى المختبر وهو مصاب بمرض غامض ثم يصعد إلى الحياة الطبيعية بهذه البساطة؟! يبدو أنك لم تفهم شيئًا، فمن يزور المختبر وهو مصاب لا يخرج منه أبدًا، فالداخل مفقود"، كان حديثه منطقيًا، أكمل قائلاً: "كانوا يملكون خمسة أشخاص مصابين، الرئيس وهو الوحيد الذي مات والأربعة حراس وهم أحياء، وكانت هذه فرصة كبيرة لهم ليفهموا المرض من بدايته إلى نهايته"، بدأت أفهم ما الذي فعلوه، كان شيئًا في منتهى الفظاعة على ما يبدو، قال: "ما حدث كان مسجلًا صوت وصورة ليتمكنوا من إعادته وقتما يريدون ويفهموا

أكثر ولا يدعوا شيئاً يفوتهم، أنا رأيت التسجيل، شيء بشع ما كان يحدث، وكأنهم فئران تجارب وحياتهم لا تساوي شيئاً، كان هناك أربعة شرائط، بمعدل شريط لكل واحد من المصابين .

- الشريط الأول

أول شريط بدأ بأن أظهر المريض وهو لم يظهر عليه أعراض الإصابة بعد، كان يجلس في غرفة الحجر، وكان لا يرتدي سوى سروال أبيض، كانت الساعة في التسجيل تشير إلى 3.26 صباحاً، ظل الوضع كما هو المريض جالس على الكرسي ولا شيء آخر، فقط كان بعد كل حين يلتفت حوله ليرى أي شيء، وكان يحاول الوقوف لكنه كان مقيداً بإحكام في الكرسي، مرت دقائق كثيرة ولا جديد، نظرت في الساعة وجدتها 4.01 صباحاً ولا جديد بعد!!"، قال (التائب) هذه الجملة وأنا فهمت ما كان يقصد، يبدو أننا كنا أمام أحد الفظائع التي تمت، فالمصاب بالفيروس أمامه ثلاثين دقيقة فقط لتظهر عليه الأعراض، لكن في هذه الحالة مر أكثر من ثلاثين دقيقة ولا أثر لتغير، لكن ترى ماذا فعلوا به حينما اكتشفوا أنه غير مصاب؟!، أكمل حديثه: "كان من حين إلى آخر يأتيه صوت من الميكروفون ليسأله عدة أسئلة، من نوعيه ما اسمك وما

سنتك وأين تسكن؟ كان اختبارًا ليعلموا إن كان مازال يملك عقله أم لا، لكن الغريب أنه كان يجيب، وما أثبتته الشريط أنه لم يكن حاملًا للمرض، كان سليمًا، كان هذا الفيلم يدل على أنهم لم يكونوا واثقين من أي شيء، كانوا لا يعرفون المدة التي يستغرقها المرض حتى تظهر أعراضه، لذلك كان هناك شخص يتحدث في التسجيل وعلى ما يبدو أنه يشرح ما يتم مع المشتبه في إصابته بالفيروس على حد وصفهم، كان يشرح ويقول: "المشتبه في إصابته بالفيروس جالس على الكرسي مقيد، هناك اثنان من العلماء يدخلون الآن إلى غرفة الحجر"، كان يشرح ما يتم، "حتى الآن لم يظهر أي تغيرات تدل على اكتمال الإصابة بعد، يتحدث الآن أحد العلماء مع (رقم 1)"، كان هذا التسلسل الرقمي له، "يبدو أن (رقم 1) يجيب على الأسئلة بصورة طبيعية، وها هو العالم يشير إلينا بعلامة أنه حتى الآن لم يتغير، مازال عاقلاً ولم تظهر عليه أي تغيرات، يبدو أننا أمام أحد أصعب الحالات"، استمر الوضع كما هو عليه، لا جديد ولا تغير ظاهر على (رقم 1)، وهنا انتابني حالة من الشك، هل كان حقًا يحمل أي نوع من أنواع الفيروسات لذلك أخذوه معهم ليتأكدوا؟ أم كانوا يعرفون أنه سليم ولكنهم كانوا بحاجة إلى

فتران تجارب؟!، لذلك اضطروا إلى أن يعطوه بعض المضادات الحيوية، حقن كانت تحتوى على مواد لم يذكرها العالم الذي كان يعلق على الشريط ويحلله، لكنه قال إنها من أشد أنواع المضادات الحيوية التي لم تقدم للجمهور بعد، يبدو أنهم كانوا يجربون هذا العقار الجديد عليه! انعدام الضمير يتجسد في هذه الأشرطة، تم حقنه وتم ظهور المفعول، كان يتألم بشدة، كان وكأن شيئاً يعتصره، وقال بصوت يملؤه الألم: "إني أحترق، فليساعدني أحد"، كان من الواضح أن هذا العقار شديد الألم، لكن ما شككت فيه أنه من الممكن ألا يكون مضاداً حيويًا كما قالوا، قد يكون سلاحًا بيولوجيًا يقومون بتجربته على إنسان! إنسان لن يسأل عليه أحد مرة أخرى، رخيص بلا ثمن، على ما يبدو أنهم اخترعوا هذا السلاح وجربوه على الفئران ومن ثم لم يتبق لهم إلا أن يجربوه على إنسان، وها هي الفرصة أتت لهم على طبق من ذهب"، سألته: "وما الذي يجعلك متأكدًا من أنه سلاح بيولوجي؟!"، رد قائلًا: "ما جعلني متأكدًا هكذا أنهم في الشريط بعدما مات (رقم 1) قاموا بتشريحيه، وكانت الجثة من الداخل كأنها محروقة، كان وكأنه تعرض للكبي الداخلي، وهذا وعلى حسب معرفتي من الشرائط التالية أن الفيروس لا

يفعل هذا بالجسم، لذلك فأنا على يقين أنه سلاح تم تجربته على (رقم 1)، ما حدث معه كان حقًا جريمة في حق العلم.

- الشريط الثاني

أما الشريط الثاني فقد كان لـ (رقم 2) وهذا كان غاية في الاختلاف عن السابق، فهو كان مصابًا بالفيروس، وكانت الأعراض واضحة جدًا عليه، كان يصرخ وكأن هناك ألم رهيب داخله، لم يفهموا سبب هذا الصراخ، لكنهم قاموا بتخديره وتقييده، وبعد ذلك فعلوا معه كما فعلوا مع (رقم 1)، قاموا بسؤاله بعض الأسئلة التي لم يعرّها أي اهتمام، وكأنه لم يفهم هذه اللغة! كانت له نظرة لن أنساها أبدًا، نظرة تشعر فيها بالسلام الداخلي! لا تفكير ولا جهد عقلي، فقط الفراغ، وحينما تأكدوا من إصابته بالمرض قرروا أن يفعلوا من أكثر الأشياء فظاعة رأيتها في حياتي، شيء يدل على موت الضمير وفساد النفس، لكن قبل ذلك أخذوا منه عينة دم ليتفحصوها، كان في حالة من الغضب وكان يريد أن يفتك بمن أمامه، وكانت النظرة مازالت تدل على عدم استيعاب الموقف، أخذوا العينة بصعوبة ووضعوها تحت المجهر، وهنا تحدث أحد العلماء وشرح للبقية ما رأى، شرح الموقف ببساطة موضحةً أنه نوع من

أنواع الجرائم الغربية التي لا يستطيعون تحديد من أين جاءت، لكنها خطيرة للغاية وهي التي تسببت في هذه الحالة وهذه الأفعال الخطرة."
أخذني الفضول، فهو لم يذكر لي ما الفعل البشع الذي فعلوه، فسألته عنه، وكانت الإجابة صادمة .



فاصل

هل رأيت بؤسًا قط؟

في هذه الأيام لو مر عليّ هذا السؤال لجاوبت بالنفي، فبعد بيع السلاح لـ (النائب) وأنا أعيش أزهى فترات حياتي، مال، جمال، نساء، كل ما أتمنى وأشتهي أراه أمامي، مجرد التفكير في شيء أريده يكون بمثابة أمر، أجدّه أمامي، لم أفكر خلال هذه الفترة بأي شيء، كانت من أسعد الفترات التي قضيتها في حياتي، فترة جاءت في وقتها المناسب لتخفف من آلام الماضي، فأنا بطريقة غير مباشرة وجدت اختراعًا آخر للذكريات المؤلمة، سد جوع الشهوة لأي شيء.

انعزلت عن العالم بصورة كبيرة، لم أعرف أخبارًا، ولم أتحمس لمعرفة أي شيء، أنا لم أكن في هذه الفترة متحمسًا لأي شيء إلا إشباع رغباتي، رغباتي الدنيئة، ولكن في وسط هذه الحالة من المتعة، كنت أسير في الشارع، كتغيير، لمحت في صحيفة من الصحف عنوانًا عريضًا، عنوان يجعل الأعمى يرى، لم أعر لهذا العنوان اهتمامًا يفى قدره، فأنا لم أكن أهتم في هذه الفترة بأي شيء، ولم أكن أفهم ما يحدث وما سبب أحداث

كثيرة دارت، قرأت في الصحيفة عنوان يقول: " وفاة رئيس الجمهورية
بمرض خطير وتولى نائبه إدارة شؤون البلاد لحين إجراء انتخابات."
خبر من الطبيعي أن يلفت انتباهك، لكن هذا لو كنت في ظروف
طبيعية، قرأت الخبر ولم أهتم ولم أفكر في أي شيء، لكنني رجعت إلى
منزلي، حيث النعيم، آكل حتى أتعب من الأكل، وأشرب حتى تنتفخ
معدتي، وكنت كل ليلة مع فتاة جديدة، حتى أنني وصلت إلى جنسيات
أخرى، كانت فترة راحة من أحداث كادت أن تقتلني حزناً، فأنا أعترف
أنا وصلت لمرحلة من الكبت جعلتني أفعل كل هذه الأفعال المشينة،
ودرجة من الاكتئاب جعلتني أتقبل أي شيء مقابل الراحة، لكن هذه
الفترة لم تدم كثيراً، لأن بعدها حدثت أحداث غيرت كل شيء من
السييء إلى الأسوأ .



حكاية النائب والنائب

إجابته غيرت أشياء كثيرة، وغيرت نظرتي، وزرعت داخلي شعورًا غريبًا بعدم الراحة، قال: "أنا لم أصدق ما رأيت ولم أتخيل حتى الآن كيف فعلوا هذا بأناس يشعرون، حينما اكتشفوا أنه مصاب قرروا أن يدرسوا المرض بالتفاصيل، قرروا أن ينقلوه من على الكرسي ويضعوه على سرير معدني الذي يستخدم في التشريح، وضعوا على أنفه وفمه الكمامة التي توضع للكلاب حتى لا تتمكن من العض، وقام خمسة من العلماء الذين يرتدون البدلات زرقاء اللون الخاصة وعلى ظهورهم أنبوبة الأكسجين بحمله، كانت عملية مجهدة لأنه قاومهم وحاول أكثر من مرة الهرب من قبضتهم لكنه لم يتمكن لأنهم كانوا كثير، وبعد أن وضعوه على السرير وقيدوه مرة أخرى قرروا أن يبدأوا بتشريحه لكنهم لم ينتظروا حتى يموت، بل شرحوه حيًا!

رغم أنه لم يكن في حالته الطبيعية، لكنه تألم بشدة، وظل حيًا لفترة وشهد على تشريح نفسه! لكنه مات في النهاية بسبب كثرة النزيف، توقف صراخه وتألمه وتوقفت معها حياته، كان مشهدًا مروعًا أن ترى

إنساناً يُشَرِّح وهو حي، حتى وإن كان مصاباً بمرض غامض ليس لهم الحق في أن يفعلوا معه ما فعلوا"، قال هذه الجملة وابتسم بسخرية وقال: "الأحداث التي تلت ذلك كانت أكثر هولاً، وإني حينما أتذكر وأقارن بين تشريحه حي وبين ما فعلوه بالبشر بعد ذلك أرى أنني كنت أراهم أكثر إنسانية، لكنهم أثبتوا أن تشريح إنسان وهو حي أقل ما يمكن أن يفعلوه!"، كان محققاً فما حدث بعد ذلك كان أقل ما يوصف به هو كارثة، أكمل حديثه: "بعدما مات تحدث أحد العلماء الذين يقومون بتشريحه وقال إنهم يلاحظون اضطراباً واضحاً في انقباض وانسباط العضلات، وأن هناك تآكلاً في الكثير من الغدد مما ينتج عنه تغيرات فسيولوجية كثيرة، ومن تحليل عينة الدماء التي أخذت منه قبل موته تبين أن دمه مليء بالجراثيم التي تتسبب في تغيرات غامضة ونجھلها حتى الآن، ثم قاموا بشق الجمجمة بالمنشار الكهربائي المخصص لهذا العمل، ولكنهم حينما شقوها تفاجأوا مما رأوه، كانت بمثابة الصدمة لهم، فالخ كان قد تعرض إلى عملية تآكل، لكنها لم تكن كبيرة لأن المريض كان في المراحل الأولى للمرض، وبذلك انتهوا من (رقم 2) الذي غيرَ نظرتهم

إلى المرض الغامض وساعدهم في تسليط الضوء على الجرائم والاقتراب من حل أحجية المرض الغامض.

- الشريط الثالث -

"وبهذا اقتربنا من حل لغز المرض الغامض"، هكذا افتتحو الشريط الثالث، تكلموا في البداية عما حققوه من إنجازات في تعقب ومحاوله فهم هذه الجرائم المميتة، وعن كل شيء فعلوه، وعن الأبحاث التي قاموا بها، تحدثوا بالتفاصيل عن الأحداث السابقة، كان من يتحدث عالم من العلماء يلبس نفس الزي الأزرق الجلدي، وكنا لا نرى وجهه بوضوح بسبب العازل الزجاجي الذي أمام وجهه والإضاءة الناصعة التي حوله، وبعد حديثه لمدة لا تقل عن خمس دقائق تم تقديم (رقم 3) وهو على حد وصفه مريض بصورة متأخرة، هنا اقترب المصور من (رقم 3) وقرب الكاميرا مُركِّزًا على وجهه، نظر (رقم 3) بتعجب وبمفاجأة شديدة، وكأنه يقول أين أنا؟ ومن هؤلاء المخلوقات الغريبة؟! أو بالأحرى كان يسأل نفسه ويقول من أنا؟! حاول أن يهاجم الكاميرا والمصور لكنه كان مقيدًا بإحكام، وهنا أظهرت الكاميرا مدى وحشيته، كان يفتح فمه ويصدر أصوات كالحوانات المفترسة

ويرتعث من شدة الغضب، كان يحاول أن يعض الكاميرا!، وكان هناك شيء مختلف فيه عن البقية، كان زائداً في الوزن على ما يبدو! أو هكذا ظننت في البداية، إلى أن سمعت التحليل الذي قاله العالم المسؤول عن الشريط.

قام العلماء بإحكام قبضتهم عليه ونقلوه على السرير الحديدي الذي سيشرح عليه، شرحه حياً هو الآخر، وكان تبريرهم لذلك أنه سيكون كل شيء حياً داخله وسيتمكنون من فهم المرض بصورة أكثر دقة من تشريحه وهو ميت.

أمسكوا المشرط وقام أحد العلماء بشق بطن (رقم 3)، كان يتألم بشدة، كان يصرخ بجنون، كان يستنجد ولكن بطريقته الخاصة، الصراخ، كان صوته مزعجاً، وكان المنظر بشعاً، والعلماء وسط كل هذا مستمتعون وهم يشرحونه! كان واضحاً من نبرتهم وهم يستكشفون المرض كما قالوا.

مات (رقم 3) من كثرة الدم المفقود، ولكن الأعضاء كانت مازالت بصورة جيدة لأنه لم يمض على موته الكثير من الوقت، لذلك كانوا يسابقون الوقت حتى يتمكنوا من تشريحه بالكامل وأخذ العينات اللازمة.

كان زائدًا في الوزن بصورة ملحوظة، لذلك كان هناك عدة تحليلات لهذا الموضوع، كان أقربهم أبعدهم وكان أبعدهم أقربهم! بعد شق بطنه وفتح المعدة التي كانوا يتوقعون أنها أصبحت تهضم بصورة أسرع وأقوى، لذلك كان يزيد في الوزن بسرعة، كان هذا التحليل أقربهم، لكنهم حينما فتحوا المعدة صُعبوا مما رأوه، كان الطعام الذي أكله كما هو على حالته! لم يفهموا لماذا؟ وكان التحليل البعيد أن الفيروس تسبب في توقف إفراز المعدة للعصارة الهضمية وما نتج عنه عدم الهضم وما ترتب عليه من زيادة ملحوظة في الوزن، كان هذا التحليل صحيحًا ولكنه لم يكن السبب الرئيسي كما اكتشف العلماء بعد.

أمسكوا بالمنشار الكهربائي وشقوا الرأس وكما توقعوا، اقتربت الكاميرا أكثر، كان المخ متآكلًا ولكن هذه المرة بصورة أكبر من (رقم 2)، كان وكأن هناك مجموعة من النمل أكلت جزءًا من قطعة سكر كبيرة وتركوها ورحلوا.

أثناء التشريح الكامل وجدوا ما صدمهم بقوة، واستنتجوا في وقتها ما السبب وراء زيادة الوزن بصورة غير طبيعية، كان شيئًا ينبئ بكوارث أخرى، كان إنذارًا شديدًا إلى أن هناك خطرًا ما قادم، كل ما استنتجوه

من أعراض خطيرة شيء والقادم كان شيئاً أكثر غموضاً، حينما شرحوا (رقم 3) وجدوا أن الغدد متآكلة هي الأخرى! في البداية لاحظوها في الغدد اللعابية حينما كانوا يشرحون الدماغ، كانت الغدد متآكلة بشكل كبير، كانت وكأنها تقول لهم احذروا فهو مرض غير مألوف، خذوا حذرکم، فإنه قادم ليفتك بكم جميعاً أيها البشر الأغبياء! كانت كل الغدد متآكلة، لم يترك الفيروس أي غدة سليمة، حينها تأكد العلماء أنهم أمام سلاح بيولوجي خطير، لكنهم لم يروا الصورة الكاملة، ولم يتنبأوا بأنهم على شفا الكارثة.



مذكرات الدكتور الشخصية

الساعة 3.18 صباحا

أقف أمام طريقين، لا أستطيع التمييز، أسير في جهة اليمين أم اليسار؟

لا أستطيع أن آخذ قرارًا، وبعد فترة طويلة من التفكير أقرر أن أسير ناحية اليمين، ثم لا أسير فترة كبيرة حتى أعود أدراجي وأسير في جهة اليسار، ثم أعود وأسير في اليمين وهكذا، أنا المتردد، لكن هناك سؤالاً أهم الآن، هل هناك حقًا طريقان، أم هو طريق واحد وأنا لا أستطيع التمييز؟! هل هناك حقًا طريق، أم أنا أسير بلا هدى وبلا غاية؟!!

الغموض يحيط بي الآن، لا أعرف كيف أسير، لا أعرف أي شيء، كذلك هي حياتي .



حكاية النائب والنائب

كان هذا نهاية الشريط الثالث، لم يتبينوا أي شيء سوى ما ذكر، غدد متآكلة ومخ متآكل، وتغيرات في حركة العضلات، لم يروا الصورة الكاملة بعد، لذلك قرروا أن يبدأوا أبحاثهم على (رقم 4).

ترى ما الذي يخبئه الشريط الرابع؟!

تساءلت داخلي، لأن ما فعلوه في الثلاثة السابقون ينبئ بأن هناك فظائع أخرى ستحدث، وما أكد لي توقعي أن (النائب) قال لي إن (رقم 4) جريمة كبرى في حق العلم، وكأن السابقين لم يكونوا جريمة! قال (النائب): "لولا أنك عاصرت هذه الأحداث لما صدقتني فيما سأحكيه لك الآن، لأنه شيء يصعب تصديقه من كثرة الأحوال التي حدثت فيه"، زاد فضولي لمعرفة ما فاتني من أحداث، وبرغم أنني أعرف أشياء كثيرة لكن ينقصني التفاصيل، وهي مهمة جدًا في طريقي للخروج من هذا المأزق، فمعرفة البداية يساعد على توقع النهاية، فللمقدمات نتائج، وإذا أدركنا المقدمات توقعنا النتائج ومن ثم توصلنا لحل.

- الشريط الرابع -

بعد التحاليل التي تمت له كانت كل النتائج تشير إلى أنه سليم، لا شيء فيه سوى بعض الفيروسات العادية كالأنفلونزا، وهذا يفسر سبب حجره مع من تحفظوا عليهم.

اختبارات عدة تمت عليه، وفي النهاية كانت تخرج كافة التقارير لتشير إلى أنه سليم، العينة سلبية، كانت هذه الكلمة كثيرة التردد مع (رقم 4)، ولكنهم على عكس المتوقع لم يطلقوا سراحه، ولم يفكروا أبداً في هذا الحل"، كرد فعل طبيعي لحديثه المشوق ولل كلمات الرنانة التي قالها، زادت نبضات قلبي بصورة سريعة، واندفع الدم في كافة أنحاء جسمي تمهيداً للخبر الذي سأسمعه بعد قليل، ولكنني حينما عرفت ما حدث بعد ذلك انتابني حالة من الجزع الشديد، أهنك بشر هكذا؟! ومن؟! علماء من المفترض أن لهم رسالة يقومون بها، أهذه هي رسالتهم؟! فليذهب كل عالم منهم إلى أسفل سافلين، مكانه الطبيعي.

أكمل حديثه: "(رقم 4)، كان هو النقطة الفاصلة بين كل شيء، بين النجاة وبين الكارثة، بين الخير وبين الشر، حينما تأكدوا من أنه غير مصاب، قرروا أن يجتربوا المرض بصورة مفصلة، فقد مر على وجوده

هنا شهور ولم يسأل أحد عليه، لذلك كان مُأهلاً لأن يقوموا بأي شيء عليه، فما كان يُقلقهم أن أحداً يعرف ما يفعلوه في الأسفل، وليس الإنسان، فليذهب الإنسان إلى الجحيم ولتعيش فئة محدودة من البشر، وأنت حتما تعرف من هذه الفئة.

بعد تفكير طويل منهم قرروا أن يصيبوا (رقم 4) بالفيروس الغامض وأن يقوموا بتحليله من بدايته إلى نهايته! قرار حينها سمعته كان بمثابة صدمة كبيرة لي، لم أكن أتوقع أن تنحرف الأحداث إلى هذه المرحلة من الوحشية ومن انعدام الضمير.

كانوا من نتائج الأبحاث التي قاموا بها أنهم احتفظوا بالفيروس، ووضعوه في درجة حرارة مناسبة حتى لا يموت، كان واضحاً أنهم يخططون لشيء ما، الثورة العلمية كما كان في الظاهر، والكارثة العلمية كما كان في الباطن.

ظهر العلماء في الفيديو وهم يرتدون البدلات الواقية والأقنعة التي تمنع دخول أي فيروس إليهم، ثم قيدوه في السرير الذي قاموا عليه بكل الأبحاث السابقة، أمسك أحد العلماء حقنة ملصوق عليها صورة الخطر البيولوجي، ومكتوب عليها كلام بخط صغير لم يظهر بصورة واضحة

في الشاشة، ثم قاموا بحقنه بالفيروس ومن ثم قاموا بمتابعتها، ضبطوا ساعتهم وأمسكوا أقلامهم وبدأوا بتسجيل الملاحظات التي ستحدث، مرت دقيقة والثانية ثم عشر دقائق ولا جديد، كانوا صبورين إلى درجة كبيرة، هدوء غريب يسيطر على كل شيء في الغرفة، ترقب مختلط بحذر وتشعر بشيء من الخوف أيضاً، ثم جاءت الدقيقة ثلاثون بعد الحقن، وجاء معها التغير الكبير في الأحداث، في البداية تغير اتساع حدقة العين مما يدل على وجود خطب ما، وعينه تحركت في كل الاتجاهات وكأنه فوجئ بأنه هنا! كان واضحاً أنه لا يفهم أين هو ولا من هؤلاء ومن هو؟! مع هذه الحركات المفاجئة زاد الضجيج من آلات قياس نبضات القلب والضغط واندفاع الدم في الجسم، كلها كانت تنبئ بوجود مشكلة.

بدأ الثوران، بدأ الفيروس في أكل (رقم 4) حي! بدأ الصراخ وبدأ الألم، وبدأت الكارثة الحقيقية.

ظل مقيداً فترة كبيرة وظل العلماء حوله يكتبون ما يلاحظونه من تغيرات تطراً عليه، كتبوا في البداية المدة التي استغرقها الفيروس ليقوم بعمله المفضل، الفتك بالضحايا، ثم بدأوا يكتبون الأعراض التي

تحدث، وأول ما كتبوه كان فقدان الذاكرة، وبعدها الصراخ بصورة قوية، وزيادة الوزن، وعن سيلان اللعاب والغضب الشديد الذي كان فيه، كتبوا عن كل شيء يخص الفيروس، لكنهم أرادوا أن يختبروا الفيروس بصورة أكثر دقة، فكروا وقالوا، ماذا لو كان غير مقيد؟ ماذا سيفعل؟!

هنا قرروا أن يفكوا قيوده وأن يدونوا كل ما سيفعله.

مر يومان وهم على نفس الحال، لكن (رقم 4) لم يكن مثلهم، لم يكن على نفس الحال، كان في تغير مستمر، كان وزنه يزيد بصورة كبيرة، كما أنه بدأ يظهر تغير غريب في الجسم، فقد بدأت أطراف تقصر عن أطراف، فكانت يده اليمنى قصيرة واليسرى كما هي، كما أن قدمه اليسرى كانت أقصر من قدمه اليمنى، كما أن رقبتة بدأت في الانتفاخ بصورة مرعبة، حتى ظنوا أنها ستستمر في الانتفاخ إلى أن تنفجر!

كان طوال اليومين لا يأكل أو يشرب، بل كان يعيش على المحاليل، لذلك فكروا أن يفكوا قيده وأن يختبروا الفيروس وهو حر، لذلك قاموا في اليوم الثالث بإخلاء غرفته من العلماء وقاموا بوضع ماء وطعام له، وكانت الغرفة مجهزة للطوارئ، كان يوجد بها فتحات سقف تضخ

غازًا منومًا بضغطة زر واحدة من المتحكم وراء الزجاج تحسبًا لحالات الطوارئ.

أعطوه حقنة منوم وبعد أقل من دقيقة كان نائمًا لا يشعر بأي شيء، بعد ذلك فكوا قيوده وتركوه حتى يفيق.

مرت أقل من ساعة وبدأ (رقم 4) يفتح عينيه، أمسك رأسه من الألم وبدأ يصرخ كعادته، ولكنه بعدها انتبه إلى شيء جديد، شيء مختلف هذه المرة، فقد كان حرًا بلا قيود، وما أثار اهتمامه أيضًا أن هناك رائحة غريبة، أظهرته الكاميرا وهو يسير بحركة غريبة مترددة إلى مكان وجود الطعام، كان يعرج لأنه يملك قدمًا أطول من قدم، استمر في السير المتأرجح إلى أن وصل إلى مكان الطعام والشراب، جلس على قوائمه الأربعة وبدأ في الأكل بشره، وكأنه لم ير طعامًا قط، كان يأكل كالحيوانات!

لاحظ أحد العلماء أنه لا يفرق بين أي شيء، لأنه وأثناء طعامه تناول ورقة كانت ملقاه على الأرض وأكلها دون تمييز! لكنهم لم يهتموا بهذه النقطة في ذلك الوقت، وقرروا أن يختبروا شيئًا آخر شكوا فيه، أدخلوا في الغرفة المخصصة له أرنبًا، ظل الأرنب في الغرفة عدة دقائق

و(رقم 4) لم ينتبه له، كان يركز في الألم الداخلي، كان مهتمًا بالفيروس الذي يأكله من الداخل الآن، ولكنه حينما رآه تصرف بصورة غريبة، جعلت كل العلماء يكفون عن الكلام ويشاهدون ما يحدث في صمت، في البداية اختبأ من الأرنب حتى لا يراه، وظل يراقبه، كان يفعل كما يفعل الحيوانات المفترسة، انتظر اللحظة المناسبة ثم انقض عليه بصورة مفاجئة وأمسك به، ثم أكله حيًا!

لم يدر العلماء ماذا يقولون لأنهم تفاجأوا من الذي حدث كما تفاجأت أنا.

هذه التجربة فتحت عدة أبواب أمام العلماء، الكثير من الاحتمالات، لذلك قرروا أن يقوموا بتجربة بشعة، تجربة أثبتت أن الوضع كارثي.

مر يوم على تجربة الأرنب، وقرر العلماء أن يختبروا شيئًا جديدًا لعلهم يفهموا هذا الفيروس الغامض، بدلًا من أن يضعوا له طعامًا وشرابًا مثل المرة السابقة، قرروا أن يضعوا له مياه صرف صحي ورجل كاملة لإنسان ميت وبدأت التحلل!! ثم انتظروا حتى يفيق من المخدر،

في الأحداث التالية سجلت الكاميرا أبشع التجارب العلمية التي حدثت، تجربة كلما أتذكرها أكاد أن أتقيأ .

استيقظ (رقم 4) الذي كان منتفخًا بصورة مرعبة، تشعر معها أنه سينفجر، سار بخطوات متأرجحة بسبب أطرافه غير المتساوية وبسبب عدم انتظام انبساط وانقباض العضلات، ظل يدور في الغرفة عدة دقائق، لا يستوعب أي شيء، لا يفهم، فقط هو يسير يبحث عن شيء لن يجده أبدًا.. فهمه لنفسه!

كان شكله غريبًا جدًا، شعرت وكأنه على وشك التحول إلى شيء غامض يفوق الخيال، ظل على هذا الوضع عدة دقائق إلى أن وجد الطعام الذي وُضع له، اقترب منه، واقتربت معه الكاميرا، جلس على قوائمه الأربعة ومال بأنفه إلى القدم المتحللة، شمها ولكنه لم يشمئز! بل انهال عليها وأخذ يأكل منها! كانت الكاميرا تظهر الدود والذباب الذي في القدم! ولكنه لم يتأثر وكأنه يتناول وجبه الإفطار المفضلة له، بعدما أكل قرر أن يشرب، شم المياه أيضًا ولكنه لم يتأثر من الرائحة الكريهة، لم يتأثر بالفضلات التي تسبح فيها! كان يشربها وكأنه يتناول حليب والفضلات العائمة هي رقائق ذرة لذيذة!!

بعد هذه التجربة البشعة اقتنعوا أنهم أمام شيء فريد من نوعه، مرض فتاك، مر باقي الأسبوع وهم يخللون كل شيء فيه ليفهموه على نطاق أوسع، يضعوه في اختبارات، يضعونه على أجهزة كمبيوتر ويلتقطون له صور بإشاعات بموجات مختلفة، إلى أن وصلوا إلى اليوم السابع.

في آخر يوم استيقظ واستمر في الصراخ من الألم، ولكن ما جد في الموضوع أنه بدأ ينزف من أنفه ومن عينه، وبدأ يقع حينما يمشي، كان الضعف بادياً عليه بصورة كبيرة، كان وزنه وصل إلى درجة غير متوقعة، كما أن هناك رعشة كبيرة في أطرافه، استمر الوضع هكذا واستمر هو في الوقوع وفقدان الكثير من الدماء إلى أن مات.

حينما تأكد العلماء من موته دخلوا الغرفة وهم يرتدون الأقنعة والبدلات مضادة للفيروسات، حملوه ووضعوه على السرير وقاموا بتشريجه، كان شبه خاوي من الداخل! وأعطى العلماء تقريراً كاملاً عما حدث له، وصفوا المرض من البداية للنهاية، كما وصفوا الأعراض، وصنفوه على أنه أخطر الأمراض التي تم اكتشافها في التاريخ، وحذروا من انتشاره أو استخدامه لأنه إذا انتشر فسيكون مُهلكاً، وطالبوا أن

يوضع هذا الفيروس تحت حراسة مشددة في المختبر وأن يقوموا بإعدامه قبل أن يقع في يد الشخص الخاطئ.
لكنهم لم يُعدموه لأسباب خاصة، وكانت هذه البداية لكل ما حدث بعد ذلك .



حكاية الثائر

"من سيئ لأسوأ، كان هذا هو حال البلاد بعد تولي (النائب) إدارتها لفترة مؤقتة، كنا من فقر لفقر، ومن جهل لجهل، ومن خراب لخراب".
بتلك الكلمات بدأ (الثائر) الحكاية، كنت أنا وهو نجلس في شقتي وقد قابلته بعد أحداث يشيب لها الرؤوس، لكنني سأحكيها بعد قليل لضيق الوقت.

قال (الثائر): "لم تكن الأحوال قبل توليه جيدة، ولكنها أصبحت أسوأ الآن، وقفنا في ميدان الاحتجاج، لم نقترف إثماً نعاقب في سبيله، ولم نطلب شيئاً غير حقوقنا، ولكن ودون سابق إنذار انفجر الوضع، لكن مازال الغموض يحيط بكل شيء".

حينما تأكدنا من كذب (النائب) وعدم تنفيذه لوعوده قررنا أن نتجمع في ميدان الاحتجاج لنعبر عن رفضنا لاستمراره في الحكم.
كنت كأبي شاب في نفس عمري مليئاً بالتفاؤل والإحباط معاً!
كنت أمر بأزمة منتصف العمر، هذه الفترة التي لا ترى شيئاً فيها ولا تستطيع أن تحدد أي شيء، ولا أن تبني أي شيء من أحلامك، وما يزيد

الهم أن هذه هي الفترة التي تُبنى عليها بقية حياتك! لذلك قررت النزول مع من نزل، رغبة منا في الارتقاء ببلادنا التي نحبها على عكس ما كانوا يقولون عنا.

في الشارع كانت الأجواء رائعة، كنت مع كل خطوة أخطوها أشعر بالفخر، الشتاء مع هذه الأجواء المملوءة بالحب والاحترام كادت تُبكييني، كانت بضع ساعات مذهلة، بضع ساعات جعلتني أنسى مُر ما رأيت من قبل، لكن ما حدث بعد ذلك قلب حياتي رأسًا على عقب، جعلها أكثر سوادًا من ذي قبل .

لاحظت حركة غريبة في محيط الميدان، ولاحظت قوات من الأمن تقترب وتفرض حصارًا شديدًا على الميدان، دب القلق في نفسي، لا أنكر أنني اهتزت وسيطر الخوف عليّ، فكرت في الهرب، لكن أكثر الأحداث سوءًا توقعتها لم تحدث .

وباليتها حدثت!



مذكرات الدكتور الشخصية

الساعة 10.44 مساءً

القبو هو المكان الذي يحدث فيه كل شيء، رائحة الدماء تفوح من كل ركن من أركان هذا المكان اللعين، الطلاء الأبيض والإضاءة القوية والأرضية السيراميكية لم يشفعوا لهذا المكان، لم يجعلوه مكانًا جميلًا، يشع أملًا، بل في كل أركانه تشعر وكأن هناك أرواحًا تلعنك مع كل خطوة، أرواح ماتت بسببك، ولكنها قبل أن تموت تعذبت، ثم تعذبت مرة أخرى، ثم أُجريت عليها تجارب تنتزع الروح من الجسد من شدة الألم، ثم بقيت على هذا الحال عدة أيام إلى أن ماتت.



حكاية النائب والتائب

بعد تولى (النائب) إدارة البلاد لفترة مؤقتة، انحدرت البلاد إلى الأسفل بصورة مفاجئة، فقد كان لا يشبع، لا يكل ولا يمل من النهب ومن الفساد ومن كل ما هو شر، لذلك فقد تحمل الشعب أكثر من اللازم ولم يعد له طاقة لأن يتحمل أكثر من ذلك، لذلك قرروا أن يحتجوا في ميدان الاحتجاج، كانت المظاهرات حاشدة وكان أعدادهم بالملايين، لكن هل تعتقد أن شخصًا مثل هذا بكل هذا الجشع سيرك الحكم بسهولة؟! بالطبع لا.

الوضع يخرج عن السيطرة، (النائب) يزداد توترًا، خوفه على منصبه كان واضحًا، لكنه كان ذكيًا، قرر أن يستمر تحت أي ظرف، حتى وإن لم يتبق من الشعب أحدًا ليحكمه، قرر أن يحافظ على منصبه الوهمي.

تم استدعائي على وجه السرعة وتمت المقابلة التي ندمت على الجلوس فيها، لنتائجها التي أتحمل وزرها إلى يومنا هذا.

كان حل فض الميدان بالقوة صعبًا لأبعد الحدود، فقد كانت هناك قنوات عالمية تغطي هذه الاحتجاجات، والشوار لم يرتكبوا جرماً

يحاسبون من أجله بالضرب والاعتقال وقد تصل إلى القتل، لذلك كان لابد من وجود حل أذكى من هذا، وقد كان هذا الحل في ذهن (النائب) هذا الشخص الذكي الذي يستغل ذكائه في الشر والإيذاء، فكر في فكرة شيطانية، والكارثة الأكبر أننا وافقنا على التنفيذ .



حكاية الثائر

أقصى ما توقعت أن يقوموا بضربنا بالغاز المسيل للدمع، لذلك ربطت الوشاح على أنفي حتى لا يؤثر فيّ بدرجة كبيرة، وحتى أستطيع المقاومة لوقت أكبر، مرت حوالي ساعة والوضع كما هو، لا جديد، هم فقط يحاصرون الميدان ولا يفعلون شيئاً آخر غير ذلك.

كان هذا هو الهدوء الذي يسبق العاصفة، كان هذا هو توقعي، وقد أصبت، لأن التالي لا أحد كان يتوقع أنه سيحدث في يوم من الأيام، قد يحدث في فيلم، لكن في الواقع! فهذا هو الواقع الذي هزم الخيال. بعد فترة كبيرة من الحصار، وملاحظتي أن هناك قنوات عالمية تصور الأحداث، بدأت الاطمئنان لأنهم لن يقدروا على فعل أي شيء لنا أمام هذه الكاميرات، لأن التأييد العالمي له أهم من التأييد الشعبي! لذلك بدأت الارتياح، لكنني لم أخلع الوشاح عن وجهي تحسباً لأي شيء.

كان وقت ما بعد الظهر، كانت الشمس غائبة، وكأنها لا تريد أن ترى ما سيحدث بعد ذلك، وكأن الشمس التي لا تشعر شعرت بنا والبشر صاحبو المشاعر لم تطرف لهم عين في تنفيذ هذه الجريمة.

وسط الهتاف ووسط الحماس بدأت حركة غريبة، بدأت الناس
تركض وتصرخ! كان هناك دماء! لم أتبين وقتها ما سبب هذه الدماء؟
وما مصدرها؟ لكن لم يكن هناك وقت للتساؤلات، فقد تزامن مع ما
حدث من صراخ وركض إطلاق نار عشوائي من قوات الأمن! بدأ
الناس بالركض وبدأ بعضهم في الانقضاض على الآخر وعضه!!
لم أفهم ما الذي يحدث، لكن الوضع كان خطيرًا جدًا، فقد أصبح
المحتجون بين جحيمين، الأول إطلاق النار العشوائي من قوات الأمن،
والآخر هؤلاء البشر غريبو الأطوار الذين يأكلون المحتجين!



مذكرات الدكتور الشخصية

بدأت في تناول أقراص مهدئة، العذاب لا يتركني وحدي أبداً، لا أستطيع العيش بهذه الطريقة، الحياة أمامي بشعة إلى أبعد الحدود، لا أدري بعد الكميات الكبيرة التي أصبحت آخذها من المهدئات أصبحت مدمناً؟! لكنني أشعر بتحسناً حينما أمسك علبة الدواء وأفتحها، أشعر معها وكأن أبواب الدنيا فتحت أمامي، ثم أبتلع عدداً كافياً ليريح مجموعة من المكتئبين، وهنا تبدأ فاعليته تظهر، وكأن هناك حريقاً كبيراً وجاء عدد لا يحصى من سيارات الإطفاء وأخمدوا الحريق في عدة دقائق، أنا مرتاح بهذه الأقراص، هي ونيسي وهي صديقتي، لكن أخاف أن تترك أثرها علي!



حكاية النائب والنائب

كان على استعداد أن يفعل أي شيء للمحافظة على كرسيه، لذلك قرر أن يقتل جميع المحتجين، وأمام الكاميرات وأمام العالم، بل سيجعل العالم يقف له تقديرًا لقتله هؤلاء المحتجين!

أمر بفرض حصار شديد على الميدان، وأمر قوات الأمن أن تنتظر إشارته لبدء الاقتحام، ولكن كان من الأوامر الشديدة هي أنهم لا يدعون شخصًا واحدًا على قيد الحياة! والأدهى أننا لم نعترض!

بعد الانتهاء من هذا الاجتماع أخذني معه في رحلة قصيرة إلى أحد السجون، قال لي ونحن في الطريق حينما سألته عما يخطط إنه سيقتلهم بدافع احتواء مرض غامض! لم أفهمه جيدًا، فقطع كلامنا رنين هاتفه، تكلم مع شخص داخل هذا السجن وعلى الأحرى هذا الشخص كان يخبره بأنه وجد ضالته .

لم يتحدث بعد هذه المكالمة معي، كان يفكر فيما سيفعل، وأنا أيضًا لم أتحدث لأنني كنت تائهاً في توقع ما سيفعله هذا الشيطان الكبير، دخلنا السجن وقابلنا مديره، أخذه (النائب) وتحدث معه على انفراد

بعيداً عني، لم أفهم لماذا يفعل هذا؟ ولكنني لم أفكر كثيراً لأنه طلب مني المجيء، دخلنا أنا وهو ومعنا مدير السجن إلى إحدى الغرف، ثم جلسنا منتظرين بعض الوقت، لم يكن انتظاراً كثيراً لكنه كان كافياً لأن يحكي لي ما يخطط له، وما تحدث فيه مع مدير السجن، وانتابني حالة من عدم الارتياح للذي يخطط له، كنت أشعر أن الأمور لن تسير على ما يرام.

دخل أحد الجنود بملف ووضع على الطاولة أمام (النائب) ثم خرج، أمسك (النائب) الملف وأخذ يقرأه بتمعن، كان هذا هو ملف (السجين) الذي ستتم معه المقابلة بعد قليل .

مر بعض الوقت ووجدت مدير السجن أتى بأحد السجناء، ودخل علينا الغرفة، هنا وبصفته رئيس الجمهورية أمر (النائب) مدير السجن بالخروج وتركنا نحن و(السجين) فقط في هذه الغرفة، ونفذ المدير الأمر دون تردد، ألقى التحية العسكرية ومن ثم خرج.

(النائب) مفاوض بارع، لم يدخل في تفاوض وخرج منه إلا ومعه ما يريد، ويزيد، كان يفهم شخصية الذي أمامه بسرعة ويحللها ومن ثم يضغط له على نقاط قوته وضعفه لينال ما يريد، تكلم مع (السجين) بعض الوقت في أمور عادية، وتحدث معه عن إمكانية نياله للحرية من

جديد، وقد ركز على أنه لن يخرج إلا بعد 25 سنة من الآن، لم يكن الوقت كافيًا لكي يقرأ الملف بصورة متأنية، لكنه حفظ ما فيه بأقل مجهود، لم يدع لـ (السجين) وقتًا للتفكير فقد كان الوقت ضيقًا، وإن لم يعالج الأمور الآن فلن يعالجها أبدًا، اتفق هو و(السجين) على أنه سيعطيه الحرية مقابل خدمة بسيطة سيقدمها للبلاد، ألا وهي أنه سيقف يوم كامل في ميدان الاحتجاج وسط هؤلاء العملاء الذين غايتهم هي هدم هذه البلاد"، ثم سكت (التائب) بضع ثواني وقال: "وكأنها غير مهدومة!"، "وألا يحتك بهم ولا يقول أي شيء، كل ما هو مطلوب منه أن يقف فقط.

أثناء ارتدائه الملابس التي أحضرناها له تحدثت معه كثيرًا عن السبب الذي جعله يفعل كل هذا، وأن يقتل كل هؤلاء الناس، كان بادياً عليه الندم وقام بإخراج بعض الأوراق من محفظته وأعطاهما لي وقال: "كل شيء مكتوب هنا"، كانت هذه مذكراته التي حكى فيها عن معظم ما فعل "وقام بإعطائي إياها، كانت أوراق شبه بالية ولكن ما كُتِب فيها كان واضحًا، كانت هذه مذكرات السجين.

أكمل (النائب) حديثه: "ارتدى (السجين) ملابسه الجديدة التي أحضرها له (النائب)، ثم خرج معنا من السجن إلى السيارة التي ستقلنا بالقرب من الميدان، وهنا سيأتي دور (السجين) الذي بدوره سينزل من السيارة ويتوجه إلى الميدان، إلى آخر الخطة.

ونحن في السيارة تحدث (النائب) مع (السجين) وقال له: "أنت لا تفعل هذا العمل لحساب أشخاص، ولكن لصالح الوطن، وشدد على أن هذه الخدمة الوطنية ستكون مكفرة عن أخطائه السابقة وبعدها سينال حرته"، كانت هذه النقاط التي ضغط عليها (النائب) في حديثه مع (السجين)، وكأنه قرأ مذكراته وتنبأ بما كان يتمنى!، أو أنه هو نفسه من كان على شماله يوسوس كما ذكر!! كنت أجلس أنا بجانب السائق وكان (النائب) و(السجين) وراءنا، أخرج (النائب) من حقيته الخاصة حقنة وأعطاه لـ (السجين)، وقال له أثناء الحقن: "هذه حقنة الحرية".



مذكرات السجين

أتممت رسالتي على أكمل وجه، وتبقى معي آخر رصاصة، وآخر رصاصة سأكون أنا صاحبها سأقتل نفسي من شدة بأسني وحزني، فأنا قتلت ويجب أن أقتل، ذلك الجزاء العدل، أتمنى التوبة، لكن المقتولين كُثر لن يغفروا لي، لذلك سأقتل نفسي، فأنا مشيت خلف وساوس عقلي أثناء تناولي المخدرات، تخيلت أنني رسول لدي رسالة، ولا توجد رسالة ولا يوجد شيء، فقد قتلت بشرًا لا يستحقون القتل، حتى وإن كانوا يملكون من العيوب ما يفيض، فليس هناك عيب يستدعي قتل صاحبه، أنا مختل ولكني أحاول ضبط كل شيء داخلي، أنا على وشك السيطرة على كل شيء.

لا أحد يراني، مع أنه كان معي ركاب في السيارة، العذاب وصل إلى الذروة، الألم لم يعد كما كان، أصبح أكثر إيلاّمًا، طعم الحياة الحلو ظهر على حقيقته وأصبح مرًا، كُشف عني الغطاء في هذا الموضوع، وأصبحت أرى الحياة من وجهة نظر أخرى، وجهة نظر أكثر عقلانية، وحينها عملت عقلي اكتشفت أن الحياة مجرد سجن، وأنا الروح، أنا

الروح المحبوسة داخل ذلك الجسد البالي، أنا الروح التي نفخها الله في هذا الطين! أنا الروح التي تبكي وتصرخ طالبة المساعدة، أنا البائس الذي حُكم عليّ بالسجن إلى يوم معلوم، متى الخلاص؟! لا أعلم، لكنني رأيت أن العذاب لن يرحمني، لذلك أمسكت المسدس وصوبته نحو رأسي، قررت أن أريح نفسي، قررت أن أتحرر من هذا الجسد السقيم، أغمضت عيني، ووضعت إصبع يدي على الزناد، حانت لحظة الخلاص.

أسمع داخلي أصوات الاحتفال، مراسم خروج الروح من الجسد، أراني ألبس تاجًا وأحمل على الأكتاف، كانت السعادة هي عنوان المراسم، لكن فجأة جاء التجمد! أصابتنني حالة من الفزع جعلتني أرتعب، ما الذي يحدث؟! ما سبب هذا الخلل؟!

سمعت صوتًا من أحد الركاب، كان صوته عاليًا لدرجة أنه أفسد عليّ مراسم الاحتفال، أخرجني من حالة السكر التي كنت فيها، وما أزعجني أكثر أنه كان يتحدث مع أمه في الهاتف ويوبخها وكأنها خادمة لديه! وبدأ انهيارني حينما سمعته يسبها!!! فتحت عيني وأخذت قراري، أخرجت المسدس من فمي وصوبته إلى رأسه وانتهى كل شيء بضغطة

واحدة على الزناد، لتنتقل الرصاصة لتخرسه ولتسترح الدنيا منه، وبالرغم من قساوته على أمه وجدتها تصرخ من الخوف عليه حينما سمعت صوت الطلقة! كان صوتها واضحًا من الهاتف، يال حنانها.. ويال حقارته!!

وأنا بين هاتين الحالتين حزين!

بعد أن قتلته وجدت السائق يقف في منتصف الطريق ويفر هو والركاب القليلون الذين كانوا معنا، ولم أشعر بنفسي إلا فأرًا أنا الآخر، هم يفرون خوفًا على أنفسهم وأنا أفر خوفًا من نفسي!! ولأول مرة أرتكب حماقة وأنا أقتل أحدهم، سمع الناس جميعًا صوت الطلقة ورأوا ما حدث وتم إبلاغ الشرطة، التي قامت بدورها بالبحث عني ولم يمر الكثير من الوقت حتى قبضوا عليّ، فقد كنت منهكًا جسديًا ونفسيًا، تم عرضي على المحكمة وحُكم عليّ بالسجن 25 سنة، قد لا أخرج إلى العالم مرة أخرى! لكن في هذه اللحظة وأنا خارج تأثير المخدرات تمنيت التوبة من كل قلبي، وكنت على استعداد أن أفعل أي شيء لأكفر عما ارتكبت من جرائم .



حكاية الناثر

الوضع أصبح أقرب للجنون منه إلى الغموض، طلاقات طائشة، وحوش هائجة، والمحتجون بينها، فجأة ودون أي إنذارات انفرط عقد الأحداث واتجه كل شيء إلى الأسوأ، من حسن حظي أن فطرتي أنقظتني، حينما وجدت كل هذه الأحداث غير المفهومة قررت أن أسقط على الأرض وأن أظاهر بالموت، كان الوشاح مازال على أنفي، سقطت والخوف لا يجعلني أتحكم في أي شيء داخلي، بداية من التنفس بعصبية وضربات القلب الخائفة، إلى رعشة الأطراف نتيجة التوتر وهول الموقف، لكنني فتحت عيني بحذر شديد، ورأيت ما لم أتوقع أن أرى مثله طيلة حياتي، رأيت الناس يأكلون بعضهم البعض، ينقض على الذي يقف بجانبه ويقضم قطعة منه، وبعد مقاومة يائسة من الشخص المأكول يستسلم، يصبح وليمة لهذا الحيوان الشبيه بالإنسان شكلاً وليس موضوعاً! وقد رأيت ما لم أستطع أن أتخيله إلى الآن، رأيت صديقين يأكل أحدهما الآخر!! ما الذي يحدث؟ حتى وقتنا هذا لم أفهم ما الذي حدث، ولماذا حدث؟

قوات الأمن كانت وكأنها مُجهزة لهذه اللحظة، وكأن هناك تخطيطًا واضحًا لها! كانت هناك نظرة حقد رأيتها في عيونهم، كانوا يتعمدون إطلاق النار على كل الناس، لا يميزون، وهم ليسوا هنا للمساعدة، ولكن لتنفيذ شيء معين أجهله.

صراخ، عويل، صوت الطلقات لا يكف، دماء منتشرة في كل مكان، الفوضى تعم الأرجاء، قوات الأمن تحاول السيطرة على الوضع وإخماد كل ما يحدث من احتجاجات وجنون الناس، لكن الاحتواء فشل، والوضع خرج عن السيطرة.



مذكرات الدكتور الشخصية

أشعر وكأن الدنيا ضاقت عليّ، أشعر وكأنني ارتكبت من الحماقات والمصائب ما سيجعلني أعيش بقية حياتي معذباً بالذكريات، لكنني حاولت الوصول إلى مادة تمسح الذاكرة، والتائج كانت غير جيدة، وما عذبني أكثر أنني بعث هذا الفيروس إلى رجل لا أعرفه حق المعرفة، من جديد ضيق التنفس يلازمي، ومن جديد حالة من الاكتئاب تصاحبني، لكن هل هناك حلاً؟ هل من الممكن أن أعود بعقارب الساعة إلى الخلف؟! الرجوع بالزمن هو الحل للخروج من كل هذه المصائب!



حكاية النائب والنائب

بعدما نزل (السجين) من السيارة سألت (النائب) عن الذي يخطط له؟! قال لي إنه يخطط لشيء كبير، لم أفهم، لذلك سألته مرة أخرى عن الذي يفكر فيه، قال لي إنه يفكر في أن يقتل المحتجين وأمام كل الكاميرات التي تصور، ولن يعترض عليه أحد، فقد كان يخطط لأن ينشر بينهم مرضًا غامضًا! وأن الحقنة التي أعطاها للسجين هي مضاد الدوبامين! تفاجأت من الذي يقوله، وانتابني حالة من عدم الارتياح، فقد خدع (السجين) وهو الآن على وشك نشر الوباء بين المحتجين ومن ثم دخول قوات الأمن وإطلاق النار على كل من في ميدان الاحتجاج بحجة احتواء هذا المرض الغامض! ياله من شيطان.

وقتها لم أكن أشعر بالذنب الذي أشعر به الآن، لأنني لم أكن أتوقع أن تسير الأمور في الاتجاه الذي سارت فيه، لذلك لم أعترض ولم أقل شيئًا، فقط الصمت، الصمت الذي أخفى الكثير وقتها.

توجهت بنا السيارة إلى مكتبه، في غرفة العمليات كان يوجد الكثير من القيادات الأمنية التي تتابع الموقف، وكان في الغرفة شاشة عرض

كبيرة تبث مباشرة ما يحدث في ميدان الاحتجاج، لم نر (السجين) رؤي العين، ولكن بعد نصف ساعة فقط كان أثره واضحاً بين المحتجين، الفوضى، الصراخ، محاولة الهروب، والفرع من الذي يحدث، كل هذه الأشياء كانت واضحة على الشاشة.

أمسك (النائب) هاتفه وتحدث مع (القائد) الذي كان على مقربة من ميدان الاحتجاج، أمره بأن يبدأ في تنفيذ الخطة وقتل كل من في الميدان.

دخلت قوات الأمن وبدأوا بإطلاق نار عشوائي على كل من تواجد في الميدان وقتها، سواء كان مصاباً أم سليم، بل كانوا يركزون أكثر على الأصحاء! كانت الدماء تملأ الميدان، كان هناك بحور من الدماء الجارية، وكانت خطة (النائب) تسير على أكمل وجه، إلى أن حدث ما لم يكن يتوقعه.

مع مرور الوقت، قُتل عدد كبير من الذين كانوا في الميدان، لكن هناك شيئاً خرج عن الخطة، بدأ أفراد من قوات الأمن يُصابوا بالمرض! وبدأوا في مهاجمة زملائهم!! الوضع خرج عن السيطرة، أعداد المصابون في زيادة كبيرة، الهلع يضرب قوات الأمن والعامّة من الشعب، الكثير

من رجال الأمن يفرون ويفشل الاحتواء! الكارثة الكبرى التي لم تكن في الحسبان ."

قلت لـ (التائب) أن سبب ما حدث هذا أن هذا الفيروس من خواصه الانتقال عن طريق الهواء، وهو ما يمكن أن يحدث بسهولة حتى في الأماكن المفتوحة، قال: "وهذا ما تم اكتشافه ولكن بعد فوات الأوان، الوضع أصبح كارثيًا، أصبحت البلاد غارقة في وباء، ولزم الناس بيوتهم والشوارع أصبحت خالية إلا من قليل .

كان (النائب) في حالة من الذهول، فهو لم يكن يتوقع أن تسير الأحداث بهذه الصورة غير المرضية، فهو هدفه الأول والأخير محافظته على منصبه، لكنه الآن يخسر كل شيء ويحتفظ بالكروسي، بانتشار مرض غامض بين الناس من سيحكمه؟! هذا ما فكر فيه فقط! وبعد تفكير تذكر.. تذكر (الدكتور) الذي اشترى منه هذا الفيروس الخارق، وأمر قائد قواته الخاصة أن يحضرك إلى القصر في أقرب وقت.



حكاية الثائر

"الوضع خرج عن السيطرة، لم يصبح هناك أي وقت للتأخر، لذلك حينها وجدت الوقت مناسباً وقفت وركضت بأسرع ما يمكنني فعله، كانت أصوات من حولي غريبة، كأنهم نسيوا الكلام! كانت تخرج منهم زمجرات وأنين وهمهمات، لكنني لم ألتفت ولم أهتم، فإن توقفت سنتتهي حياتي وجبة إفطار لهذه الكائنات العجيبة.

استمررت في الركض حتى وجدت أناس عاديين، كان الخبر لم ينتشر بعد، وكانت الحياة عادية في مناطق قريبة من الميدان، وحينما لمحتهم دخلت في حالة من الصدمة جعلتني أصرخ وأقول "قتلونا! كان قتلاً متعمداً، احذروا فالخطر قادم!"، كانت كلمات غير مرتبة ولكنها تعبر عن الذي رأيته، فهو الآخر غير مرتب في عقلي حتى الآن! ظل الوضع كما هو إلى أن قابلتك"، كان ما لفت نظري إلى هذا الشاب طريقة كلامه وأنه يقول قتلونا ويحذرنا من خطر قادم! وقتها كنت في الشارع أقوم بشراء بعض الاحتياجات الأساسية، أمسكت يده وقلت له ما الذي تحدث عنه، لكنه ظل يقول نفس الكلام ولكنه في وسط كلامه

تحدث عن أكلهم للناس! حينها شككت في أن الوضع حقًا خطير، لذلك أخذته إلى بيتي وجعلته يهدأ.

فتحت التلفاز لأصطدم بالفاجعة، فيروس خطير ينتشر في البلاد، وأن أعداد المصابين في ازدياد، وقتها فهمت عما يتحدث، لذلك بعدما تجاوز مرحلة الصدمة وبدأ يركز فيما حوله من جديد، طلبت منه أن يحكي لي ما رآه وما حدث، وسميتها حكاية الثائر.

قطع حديثنا صوت طائرة هليكوبتر تحلق بالقرب من بيتي، توقعت أنها في طريقها إلى الميدان لاحتواء الموقف، لكن فجأة ودون أي إنذارات كُسر زجاج نافذتي ودخل علينا مجموعة من المثلثين! كانوا مسلحين بأسلحة خفيفة، يبدو أنهم على علم بماهية ما يفعلون، دخل بعدهم الذي على ما يبدو قائدهم، ثم نظر إلى صورة في يده ثم حول نظره تجاهي أنا و(الثائر) ثم أشار ناحيتي، عرفت من هم، وما يريدون، كانوا مجموعة من ضباط الأمن وجاءوا لهدف معين.

تحركوا بعد إشارته ناحيتي، وأمسكوني بقوة، لكن (الثائر) حاول الدفاع عني! وكان يردد قائلًا: "ألم تكتفوا بمن قتلوهم في الميدان، ألا يوجد لديكم أدنى درجات الإنسانية، المنصب وكرسي زائل تسفكون

الدماء وتعيثون فسادًا في الأرض؟!!!"، لكن قائدهم أسكته بطريقته، رصاصة في الرأس دون تردد، وكأنه ذبابة ليس لها ثمن، وأنا حينها رأيت الموقف تحركت منهم بعصية حتى كدت أفلت منهم، وأن أفتك بأحدهم، لكنهم بضربة أسفل رأسي بعصى كانت في يد أحدهم كنت في غياب تام، كنت أغلق عيني وأفتحها لأجد نفسي في مكان آخر، أجد العالم وكأنه يتحرك ببطء شديد، ثم أغلق عيني وأفتحها لأجدني في مكان جميل، لم أر له مثيلاً، هل مت؟! هل أنا في الجنة؟ ولكن ماذا قدمت في حياتي لأدخل الجنة؟! بعد فترة علمت أين أنا، وما هو المطلوب مني، فأنا في القصر الرئاسي، وما طُلب مني كان صعباً للغاية، لكنني حزين على (الثائر) فهو مات والحقيقة الكاملة تنقصه، لم يعرف ما الذي حدث ومن الذي تسبب في هذا ومن الذي صنع هذا الفيروس، فلو أنه على علم بكل ما سبق لما دافع عني بكل تأكيد!



مذكرات الدكتور الشخصية

لم يكن في الشارع أي كائن حي، كان مهجورًا، لكن هذا مجرد خداع، فقد كان من يفقد عقله ويقرر السير في الطريق كان ينقض عليه المصابون وكل منهم يأخذ قطعة منه يأكلها، ثم بعد ذلك يأكلوا بعضهم البعض! حتى يتبقى شخص في النهاية، يستمر في الأكل حتى تنفجر معدته ويموت! الخسائر البشرية بالملايين، لا أحد في مأمن من الإصابة بالوباء، لا أحد لم تمسه الكارثة.



فى القصر

أجلس فى القصر، أكل من أكلهم وأشرب مما يشربون، هذا المبنى هو المبنى الوحيد الباقي، المبنى الوحيد المؤمن من الكوارث الخارجية، الدمار ألحق كل شيء، إلا هذا المبنى، وأنا فى غرفتي أعتزلهم بحجة إيجاد طريقة للخروج من هذه الكارثة التي سببها طمعهم، لكنني قررت أن أكتب ما حدث، وأن أتنبأ بما سيحدث، لأن لكل مقدمة نتيجة، ونتيجة ما فعلوا هو إصابتهم بما أصابوا به الناس، هؤلاء الناس الذين لا أعرفهم ولا يعرفوني، هؤلاء الأطفال الذين كانت أمامهم الحياة بكل ما فيها، هؤلاء الأطفال الذين كانت كل أحلامهم هي اللعب أمام منزلهم، أو الذهاب إلى الحديقة والتعرف على أصدقاء جدد، لكن الآن لم يصبح لهم أحلام، وضاعت الدنيا عليهم، وعلينا!!

أما أنا فأستحق كل ما هو سييء، لأنني البائس، الحقير الذي أذاق الناس مر ما اكتشفه عقله، أنا الذي ساعد عديمي الرحمة هؤلاء على الفتك بالناس، وإفساد الحرث والنسل، لا أعرف ما هو جزائي عند الله، لكنني على يقين تام أنه شر الجزاء نتيجة لما صنعت، لكنني ندمت على ما

فعلت، وقررت أن أنتقم ممن خدعوني بكذبهم، وأغروني بما لهم والنساء،
أعرف أن انتقامي لن يفيد من أصابتهم هذه الكارثة، لكنني سأرتاح
حينما أنتقم، سأكون راضيًا بعض الشيء، سأنتقم منهم ومن أمرتي
بالسوء، من جعلتني أشتهي ما قدموه لي، من أقنعني أن ما سأفعله لن
يضر الناس شيئًا، نفسي البائسة!!

عقد الأحداث انفرط بسرعة كبيرة، لم يتصور أحد أن بهذه السرعة
ستصل البلاد إلى الحالة المزرية التي هي عليها الآن، وأنا لم يمض على
وجودي هنا الكثير، لا أعرف كم من الوقت مكثت، فلم يعد أحد يهتم
بوقت أو تاريخ، فالحياة في القصر كانت غاية في السوء، ولم يكن يخفف
عني إلا زيارة (التائب) لي في غرفتي وما يحكيه عمًا فاتي من أحداث،
فقط، لكن كل ما يحيط بي غير ذلك يثير في نفسي رغبة شديدة في التقيؤ!
كنت أجلس في غرفتي أبحث عن حل، عن كيفية الخروج من هذا
النفق المظلم، دار في عقلي فكرة، كانت فكرة عبقرية إذا استطعت
تنفيذها، فكرة ستعيدنا إلى نقطة ما قبل الكارثة وستنقذ ملايين البشر
الأبرياء، لكنني أجلت العمل عليها بعض الوقت لصعوبتها، وركزت
على كيفية صناعة مضاد لهذا الفيروس.

كنت من نافذتي في القصر أتابع ما يحدث في الخارج، كانت البلاد في حالة من الهدوء التام، إلا من بعض الصراخ الموجود في الشوارع، كانت الدماء تملأ الأرجاء، وكانت الجثث في كل مكان، وكان يأتي الليل ليحل معه الظلام الدامس، إلا من كشافات القصر التي تمكن الجنود من رؤية أي دخيل وقتله قبل أن ينشر الوباء في القصر.

مرت أيام كثيرة لا أعرف عددها، لكنني في يوم من الأيام قررت الهروب من ذلك السجن اللعين، وهذا الشر المطلق، قررت أن أهرب وأن أواجه مصيري في الشوارع، إلى أن أصل إلى المناطق التي طهروها من المصابون، والأصحاء أيضًا! كنت في عزلتي أرسم الخرائط التي تشير إلى المناطق المعزولة، لذلك قررت أن أهرب منهم وأن أرى ما في هذه المناطق، أردت أن أرى الوضع من الأرض وليس من النافذة، وكان أيضًا من ضمن أهدافي أن أحصل على مضاد لهذا الفيروس، فبعد أبحاث كثيرة في المختبر لم أستطع الحصول على النتائج المرجوة، لذلك قررت الهرب منهم والبحث عن حياة أخرى .



خمس ساعات في المناطق المعزولة

قبل الفجر في أحد الأيام قررت أن أهرب، قررت أن أذهب إلى المناطق المعزولة، تلك المناطق التي تحدث عنها (التائب) وقال إن قوات الأمن نجحت في تطهيرها من المصابين والأصحاء على حد سواء، وأثناء وصفه لي أماكنها قررت رسمها في خريطة، وأطلعته على خطتي وأني سوف أحتاج إلى ملابس فرد من قوات الأمن، وبالفعل كان الزي لديّ في يومها.

انتظرت حتى حل منتصف الليل، كانت الحراسة أثناء الليل لا تختلف عن النهار، فهم كانوا يخافون من المصابين في الليل كما في النهار، لأنهم ليس لهم قواعد يسرون عليها، لكن في الليل سيكون هناك مناطق كثيرة أختبئ فيها من كشافتهم.

ارتديت قناع الغاز الذي أستخدمه في المختبر، والزي الذي أحضره لي (التائب)، وقمت بالمشي في القصر إلى أن خرجت منه إلى الحديقة، لم يتعرف عليّ أحد في هذه الهيئة، لأن قناع الغاز لم يُظهر وجهي، ولن

يميزني أحد من صوتي لأن جنود الأمن كُثُر، لذلك لم يكن هناك تدقيق واضح، كما أنني من واقع خبرتي في القصر درست كيف يسرون ويتحدثون ويلقون ويتلقون الأوامر.

خرجت من البوابة إلى الشارع، وكانت هذه أخطر النقاط الأمنية وأشدها على الإطلاق، فقد كان هناك دبابات كثيرة وتحصينات رهيبة، وكانت كشافات الإضاءة في كل مكان تتحرك، لكن هناك نقطة قد تكون في صالحني إذا استغللتها بطريقة صحيحة، الظلام الذي يحيط بنا، لذلك سرت بمحاذاة السور، وكان هناك طريق يفصل بين السور وبعض المباني المهجورة وغير الآمنة على الإطلاق، وكان أمامي خمس ثواني من الظلام لأنتقل فيها من محاذاة السور إلى المباني غير الآمنة، في هذه الخمس ثواني ينتقل كشاف إلى الجهة الأخرى وكشاف آخر يضيئ الطريق بدلاً منه، خطوة واحدة خطأ أو تأخر ثانية واحدة وينتهي كل شيء، سنتها على الطلقات من كل حدب وصوب.

كان بمحاذاة المباني غير الآمنة نبات طبيعي كثيف بعض الشيء، فأينما اختفى الإنسان ظهرت الطبيعة بكل أشكالها، ركزت نظري على

الجنود ومن ثم على الكشاف الذي من المفترض أنه سينتقل إلى الجهة
الأخرى الآن، وحينها لاحت اللحظة المناسبة ركضت بكل ما أوتيت
من قوة، لكنني تأخرت ثانية، واتجه كل شيء للأسوأ!



مذكرات الدكتور الشخصية

الظلام يحيط كل شيء، أصوات متباعدة، صراخ وعويل، نداءات استغاثة يائسة، أغبياء، وكأن الصراخ مخلصهم! إذا كنت تسير في الشارع وقتها فأنت حتما في عداد الموتى، أو في عداد المصابين، لأنك لن تستطيع الإفلات منهم، حتى وإن كنت واحداً منهم!! المصابون لا يكتفون بأكل الأصحاء، بل يأكلون بعضهم البعض، الجوع المستمر وعدم الإحساس بالشبع، مع عدم التمييز بين أي شيء، كل هذه الأمور جعلتهم متوحشين، الألم يحيط بالشوارع، الألم يصيبنا جميعاً مصابين وأصحاء، الألم يمزق المصابين، والحزن يمزقنا نحن الأصحاء.



في القصر

عدت إلى القصر بعد رحلة أفقدتني الأمل في كل شيء، فرؤية الآثار من على الأرض غير رؤيتها من نافذة في مكان مُحصن، كان الوضع أكثر مأساوية، كانت البلاد أكثر سوءاً، وسيطرت الكارثة على كل شيء على غير توقعاتي، وليس كما فهمت، فالمناطق المعزولة صغيرة جداً، ليست بالمناطق الشاسعة، وكان يستحيل فيها الحياة، لأنهم قطعوا عنها المياه والكهرباء وكل شيء، ومن المستحيل المجازفة والشرب من المياه الجارية، لأنها وبصورة مؤكدة تحمل الفيروس.

عدت في الوقت المناسب وقبل أن يلاحظوا غيابي، في البداية مررت بجانب النبات الطبيعي الكثيف الذي نبت أمام سور القصر، كنت أرثدي زي قوات الأمن وقناع الغاز لذلك لم يتعرفوا عليّ، واعتقدوا أنني جندي معهم، مررت بجانبهم ومن ثم دخلت القصر إلى أن دخلت غرفتي وأغلقت عليّ الأبواب دون أن يلاحظ أحد أي شيء. كانت رحلة تعلمت فيها الكثير، غيرت تفكيري عن الكثير من الأشياء، أهمها أنني كنت أسير في الطريق الخطأ وأنه لا بد من حل

جذري لهذه الكارثة، ليس الحل في أن نقوم بتطهير منطقة منطقة، هذا الحل سيأخذ سنين طويلة وقد لا ينجح، ولكن الحل في وجهة نظري كان يكمن في الرجوع إلى ما قبل الكارثة، قبل أن ينتشر الوباء، بل أبعد من ذلك، الرجوع إلى ما قبل الاختراع.



خمس ساعات في المناطق المعزولة

قد تفرق الثانية الواحدة بين الحياة والموت، بين النجاة والهلاك، في تلك اللحظة بالذات تعلمت هذا الدرس.

بعدها حانت اللحظة المناسبة وحل الظلام لقرابة خمس ثواني، ركضت أنا ساعياً الوصول إلى الجهة الأخرى في أقل من الخمس ثواني، وتمنيت أن لا يراني أحداً من الحراس، لكنني فشلت فيما كنت أخطط له، خطوة واحدة فرقت بين أن يمر الأمر دون أن يراني أحد أو أن يتم إطلاق كم هائل من الطلقات تجاهي، وهذا ما حدث.

تحرك الكشاف الآخر ناحيتي، وأصبحت في وضوح النهار فجأة، هنا لمحني أحد الحراس وأطلق النار تجاهي، وتبعه باقي الحراس هم الآخرون دون أن يعرفوا على ماذا يطلق النار.

وضع لا أحسد عليه، كنت على بعد خطوة واحدة من المباني غير الآمنة، لكنني إن استمررت في الركض سأهلك لا محالة، لذلك انبطحت أرضاً، واختبأت بين النبات الطبيعي، ومشيت ببطء حتى لا ألفت الانتباه، انتظرت فترة كانت من وجهة نظري كبيرة جداً، وقد تكون في

الواقع عدة دقائق، وعلى ما يبدو أن عامل الخوف الذي كنت فيه هو ما مد الزمن الداخلي وجعلني أشعر بطول الوقت، دار الكشاف إلى الجهة الأخرى ليعطيني خمس ثواني أخرى في الظلام الدامس، وشعرت معها أنني الرجل الخفي، خمس ثواني أخرى كانت كافية لأن أعبر وأختبئ في المباني غير الآمنة، نجحت في عبور أول اختبار.

لكنني الآن في موقف صعب آخر، أنا الآن في المباني غير الآمنة، وهذا يعني أنني في أي لحظة من اللحظات سأكون وجبة عشاء لأحد المصابين، ولكن هناك شيئاً يريحني، هو أنني لن أكون أحد المصابين لأنني أرثدي هذا القناع، فإذا وضعت في موضع الاختيار بين أن أكون مصاباً أو أن يأكلني أحد المصابين سأختار الثانية حتماً.

التقطت أنفاسي، فأنا كنت على وشك أن أخسر حياتي، أو بالأحرى ما زلت على وشك أن أخسر حياتي! أصوات الصراخ في كل مكان، التألم، عدم الاحتمال، كانت هذه هي الأصوات التي تقطع الصمت المنتشر في الأرجاء، لكن ما بعث الطمأنينة في قلبي أن كل هذه الأصوات قادمة من أماكن بعيدة عني، انتهيت من أمر صعب ودخلت في أمر أصعب، المناطق غير الآمنة، وهي المناطق التي لم يتم تطهيرها

بعد، وكانت في ذلك الوقت تطلق على كافة أنحاء البلاد فيما عدا مناطق قليلة جداً ومحدودة المساحة، وأنا كنت على وشك بدء الرحلة إلى أحد هذه المناطق.

الشمس بدأت تظهر وبدأت أرى ما أمامي، كان الغطاء النباتي كثيفاً إلا من طريق في الوسط من الأسفلت، كان النبات الطبيعي في كل مكان، وكان هذا يثير القلق في نفسي، فأنا لا أرى مَنْ ورائه، قد ينصبون لي فخاً، الخوف بدأ يسيطر عليّ، وبدأت أفقد تركيزي، وبدأ التوتر، وبدأ معها استغاثة جسدي واحتياجه للمهدئ.

فتحت حقيقتي وأخرجت منها المهدئ وأخذت قرصين، لأن واحد في مثل هذه الظروف لن يفيد، أعرف أنه زائد عن الحد لكن لولا المهدئات لما صمدت طوال هذه الفترة البائسة الطويلة من حياتي، الفترة التي لا تنتهي!

قررت السير وألا أنتظر أكثر من ذلك، لأنه بمرور الوقت كنت أسمع أصوات الصراخ تقترب، أو هو مجرد وهم! خطوات في كل مكان حولي، أم أنا أهلوس؟! لا أدري، لكنني قررت أن أسير على الطريق الأسفلتي، أن أسير في منتصفه تماماً تحسباً لحدوث هجوم عليّ، وقتها

سيكون لي متسع من الوقت لأرى المهاجم وأن يكون لي ردة فعل، فمن الخزي أن بعد هذه الحياة الطويلة وبعد كل هذا التحمل أن أموت بلا مقاومة.

الطريق طويل، الهدوء مخيف، السماء صافية، والهواء كان يداعبني من حين لآخر، هواء ما بعد الفجر البارد .

المباني غير الآمنة كانت مدمرة بصورة كبيرة، وكأن هناك حرب قامت في هذه المنطقة، آثار الحرائق والطلقات في كل مكان، يبدو أن المصابين لم يجدوا الطعام في هذه المنطقة فهجروها، لكنني لم أمكث كثيرًا في هذه المباني لخوف داخلي من الغموض ومن المجهول.

سرت على الطريق وعيني في كل مكان حولي خوفًا من أي مفاجآت غير سارة، الدمار لحق بكل شيء، أنبتت النباتات الطبيعية على كل المباني والسيارات أو بقايا السيارات الموجودة، هل مكثت حقًا بضع أسابيع في القصر؟! لا يمكن أن يكون هذا من آثار شهور قط، هو أكثر بكثير!

الصداع بدأ يضرب رأسي وبدأت أفقد تركيزي، وبدأت أسمع أصوات الصراخ تقترب، وما آثار الخوف داخلي أكثر أنني بدأت أسمع صوت احتكاك شيء ما بالنبات الطبيعي حولي وبالأشجار!

فجأة ظهر أحد المصابين!!

ركض خلفي، كان بعيداً عني بمسافة جعلت لديّ متسعاً من الوقت، ركضت بأقصى ما لديّ، فأنا كنت أهرب من الموت.

كانت تصدر منه أصوات غريبة، أصوات وكأنها تنعير وخرخرات، وكان يركض بطريقة مختلفة، فقد كان في مرحلة متأخرة من المرض وكانت أطرافه بدأت في الطول والقصر، وعضلاته بدأت تنقبض وتبسط بصورة غير منتظمة، لم أدقق النظر فيه لأنني كنت خائف من أن يلحقني، لكن الصورة التي طُبعت في رأسي عنه أن وجهه مليء بالدماء ووزنه زائد بصورة كبيرة وبطنه منتفخة مما يدل أنه التهم الكثير من البشر!

ابتعدت عنه وبمجرد أن اختبأت وراء أحد الأشجار حتى تصرف وكأنه لم يرني من قبل وكأنه لم يكن يطارد أحد، فقد الذاكرة بمجرد ابتعادي عن مرمى بصره، ياله من مرض خطير!

انتظرت بعض الوقت وأنا أتابعه، وقف ينظر للأشياء وكأنه يراها لأول مرة، وكأنه لا يعلم ما معنى ما يرى؟! ما معنى السماء؟ ما معنى الأرض؟! ما معنى نفسى؟! كل هذه أسئلة كنت لأسأها لنفسي لو

كنت مكانه، بغض النظر عن أنني حقًا أسألها لنفسي الآن! فهي أسئلة من وجهة نظري في غاية الأهمية ومن المفترض أن نسألها لأنفسنا باستمرار، لا يجب أن نكون مؤمنين بصورة مسلم بها، يجب أن نسأل ونبحث عن الإجابات المقنعة، مثلًا ما معنى الحياة؟ وما معنى الموت؟ وأين نحن ولما نحن وكيف نحن؟!

بعد ركض كثير وخوف أكثر، وجدت نفسي أمام بوابات، يقف أمامها حراس ومعدات جاهزة لقتل آلاف الأشخاص في وقت واحد، كانت هذه المناطق المعزولة.

كان دخولي إلى المناطق المعزولة أمرًا سهلًا إلى حد ما، فهم كانوا على دراية كاملة بتصرفات المصاب، وكانوا على علم أنه لن يكون عاقلًا لدرجة الاختباء بين الأشجار والتلصص حتى يصل إلى الداخل، وهذا ما فعلته أنا.

عبرت البوابات وعبرت معها إلى كوكب آخر! كنت أنا آخر سكان هذا الكوكب، كانت المناطق المعزولة فارغة من كل شيء حي عدا الحيوانات والحشرات، لم يكن فيها مصابون أو أصحاب، كنت أنا ولا يوجد غيري، وهنا شعوري بالوحدة بعدما كان شعورًا داخليًا أصبح خارجيًا أيضًا!

كانت المباني فارغة، وكان النبات الطبيعي كثيفاً، كان يسيطر على كل شيء، كان يخرج من الشقوق في الأسفلت وعلى أسقف المباني وعلى الواجهات، هل حقاً هي بضع أسابيع؟! أثارني الفضول ودخلت إلى أحد المباني، لا أستطيع الإنكار أنه كان هناك خوف داخلي، لكنه لم يمنعني من الدخول، على باب منزل وجدت من حفر اسمه وأسماء بعض الناس الآخرين، على ما يبدو أنهم أصدقاؤه وقد قرر تخليد ذكراهم على باب منزله، نظرت إلى الأعلى لأرى البيت، كانت الواجهة متآكلة من آثار التعرية، وكانت أحجار البناء ظاهرة، كما كان هناك نبات طبيعي صاعد على الجدران إلى السقف ومن ثم إلى أعلى البيت، دخلت، كان التراب يغطي كل شيء، الدرج، الأرض، كل شيء، وكانت الحشرات تقتفي أثر النباتات التي هي الأخرى تقتفي أثر الشمس والمطر، فأينما وجدت مناطق مفتوحة وجدت نباتات وحشرات وأينما كنت في أماكن مغلقة وجدت التراب وبيوت العنكبوت، هنا قررت أن أخلع قناع الغاز الذي أرتيديه، قررت أن أشم المكان الذي أنا فيه ليزيد إحساسي به، خلعت القناع وتفاجأت وأصابنتي حالة من الذعر!



مذكرات الدكتور الشخصية

الموتى في كل مكان، أصبحت البلاد مقبرة جماعية، الوباء ينتشر بسرعة البرق، والناس لا يموتون بسهولة، لكنهم في البداية يتعذبون، ثم بعد ذلك عذاب أكثر، فعذاب، فموت، من يدري متى يزول هذا الوباء، أهذه ستكون نهايتنا؟ هل سننقرض بأيدينا؟ لا أدري، أسمع صراخًا يأتي من كل الجهات، لابد أنهم المتصارعون مع الوباء، لابد أن الوباء يعذبهم، لكن ما فائدة الصراخ؟ هل من مغيث؟ لا لم يبق أحد، لا تصرخون يا معشر الموبوءين، فالوباء لن يرحمكم بصراخكم، كما أنه لن يرحمكم بهدوئكم ، دعوه يفعل ما يريد، دعوه يفتك بمن يشاء، دعوه يطهركم، دعوه يرحمكم من عذاب الدنيا، دعوه يرحمكم بعض العذاب، دعوه ينتقم منا، قريبًا سيصيبني، قريبًا سأعرف مدى بشاعته، سأصرخ كما كنتم تصرخون، سأركض في الأرجاء من شدة الألم كما تركضون، لكنها ستكون 7 أيام، أسبوع العذاب، لأنعم بالراحة الأبدية.



في القصر

بدأت العمل على فكرة العودة بالزمن، فهي من وجهة نظر الفيزياء ممكنة، لكنني كنت أواجه مشكلة أخرى، أنا بينهم في القصر ولن أستطيع القيام بتجاربي، لذلك بدأت في الجانب النظري.

كنت يومياً وبتكليف من (النائب) أهبط إلى القبو لأقوم بالتجارب، كانت هناك الكثير من الجثث، البعض منها لأصحاء والكثير منها لمصابين، وكان يشاركني علماء آخرون، كانوا لا يقلون شراً عن (النائب)! كان لكل جثة رقم معلق على إصبع قدمها اليمنى، كدليل على اسمه لأن الهوية ضاعت وضاعت معها الأسماء، فأصبح هويته واسمه شيئاً واحداً، رقمه.

الحياة في القصر كانت قريبة للطبيعية، فهم في مأمن من كل ما يحدث في الخارج، وهذا بفضل قوات الأمن التي تسهر الليل لتحميمهم، والتي تقتل الناس لتحافظ لهم على مناصبهم! والتي ستفعل أي شيء لتنال رضاهم الذي هو صعب المنال، لأنك إن تعديت حدودك وإن كنت مضحياً بكل شيء في سبيلهم لن يطرف لهم عين أثناء قتلك، انتبهوا، ألا تعقلون!؟

كان (النائب) يستيقظ يوميًا هو وحاشيته ليمارسوا رياضتهم
المفضلة، صيد البشر!

كانوا يقفون أعلى القصر ويبدأون بإطلاق الرصاص على كل من
يقرب من القصر، وعندما يصيب أحدهم إنسانًا يبدأون بالاحتفال به،
وكان هناك أحد الخدم يقوم بكتابة النتائج على ورقة معه، كان كل
مصاب بدرجة، وكان كل سليم بدرجتين!! ليس هذا فقط، بل كان
هناك مجموعة من الجنود أمام القصر في الأسفل يقومون بجمع من قُتلوا
ويرسلونهم إلى المختبر لنقوم عليهم بالأبحاث، من أجل الخروج من
هذه الكارثة! وكأنهم يشعرون أو يعبأون بها!

في يوم من الأيام رأيت شيئًا أصابني بالذهول، ف (العاقل) حيا
قال لي إنه باع ابنه إلى أحد الأغنياء قال أن لديه علامة في يده وهي عبارة
عن شكل موزة تحت كف يده الأيسر، أنا وجدت ابن (العاقل) كان
معي في القصر، وكان حيًا، ولكنني حمدت الله أن (العاقل) مات قبل أن
يرى ابنه، لأن ابنه كان (النائب)!



مذكرات القائد

قبل موت الرئيس

كان لـ (الرئيس) أعوان، وكنت أنا أحدهم، كنت صاحب العمليات المستحيلة، لم أخفق في إحداهم من قبل، لا أعرف لماذا أكتب، فأنا على وشك الاعتراف بجرائم لم يعرفها أكثر من أشخاص يُعدون على اليد الواحدة، ربما لرغبة داخلية للتطهر، أو قد تكون فترة وتعود الأمور كما كانت، لا أدري لعل نهايتي اقتربت.



ذهس ساعات في المناطق المعزولة

أصابتنى حالة من الذعر وكان سببها أنني حينما خلعت القناع اندفع إلى أنفي رائحة عفن! وما جعلني أرتبك أنني توقعت الأسوأ، ألا وهو أن هذه الرائحة هي من أثر تحلل جثة شخص مصاب تركوه أو لم يعرفوا بوجوده في المناطق المعزولة، وأنني حينما خلعت القناع أصبحت مصابًا أنا الآخر، لذلك قررت أن أقتفي أثر هذه الرائحة، صعدت الدرج المغطى بالتراب الناعم، آثار أقدامى تُطبع عليه، وكأنني أرمسترونج أول من مشى على القمر، فأنا أول من مشى في المناطق المعزولة.

صعدت الطابق الأول، تتبععت بأنفي أثر الرائحة، كانت قوية جدًا في ذلك الطابق، مضيت قدمًا إلى منبعها، إلى أن وصلت إلى أحد المنازل، كان الباب مفتوحًا، دفعته بحذر شديد فأصدر صريرًا وكأنه سعيد بأن هناك من استعمله بعد هذا المهجر الطويل، لأرى ما لم أكن أتوقعه أن يكون بهذه الصورة.

كان المنزل مهجورًا، لكن لم تكن هنا المفاجأة، كانت المفاجأة أنه يبدو أن من هجره قد خرج على حين غرة وبالعرف!

كانت هناك على الحائط آثار دماء طبعت بواسطة يدين وكأن هناك من كان يتشبث بالمنزل، تتبعت بنظري الدماء التي كانت على الحائط ووجدت آثار أخرى على الأرض، وهنا تصورت المشهد كاملاً، يبدو أنهم أخبروهم بضرورة مغادرة المنزل ولكن أصحابه رفضوا لذلك قاموا بإخلاء المنزل بالقوة!

أو أن هناك تصورًا آخر وهو أكثر رعبًا، أن أحد المصابين هاجم شخص ما هنا وأكله وهذا كان آخر ما فعله الشخص المأكول! لم يكن هذا فقط ما لفت انتباهي، فقد كان المنزل شبه مرتب، وكان التراب يغطي كل شيء، على هذه الطاولة جلسوا يتناولون الغداء، وهنا لعب أطفالهم، وهناك ناموا، وفي هذا المكان ماتوا!

تجولت داخل المنزل أبحث عن مصدر الرائحة، كان الخوف يسيطر عليّ، كنت خائفًا من أن أجد جثة في هذا المنزل ولا أدري إن كانت مصابة أم سليمة، وقتها سيكون أمامي نصف ساعة فقط لا غير لأكون أحدهم.

دخلت غرفة ومن الذي بداخلها استنتجت أنها كانت غرفة الأطفال، ألعاب، ملابس صغيرة، وما لفت انتباهي أن بجانب أحد

السرائر سرير صغير وُضعت عليه دمية غطاها التراب، وكان طلاء السرير متساقطاً، كما كان بجانبها خزانة وضع فيها ملابس لطفلة صغيرة وحولها الكثير من خيوط العنكبوت، كنت الوحيد هنا، وكان شعوراً مريباً.

خرجت من هذه الغرفة أتبع الرائحة العفنة، إلى أن وصلت إلى المطبخ، وهنا علمت من أين جاءت هذه الرائحة.

كان المطبخ على نفس الوضع الذي ترك فيه، وكان جلياً أن الإخلاء كان غير متوقع، لأن في الحوض أطباق لم تُغسل بعد، وطعام فاسد لم يُكتمل أكله، فتحت الثلاجة، وفاجأتني رائحة لم أقو على احتمالها وتقيأت في الحال!

هنا وجدت مصدر الرائحة، لحوم كانت في الثلاجة متعفنة، يملؤها الدود والذباب، ولكنني تنفست الصعداء لأن مصدر الرائحة لم يكن جثة إنسان، على الرغم من بشاعة ما رأيت، لكن همّاً أرحم من همّ. قررت أن أسير في المناطق المعزولة قدر ما أستطيع، فأنا يجب أن أكون في القصر في أقل من خمس ساعات، لأنهم بعد ذلك سيلاحظون اختفائي وستكون مشكلة أخرى، لذلك نزلت إلى الشارع أرى بعض

الآثار التي تركتها الكارثة على الأماكن، كانت الشوارع فارغة على غير العادة، فنحن في بلاد كانت تعاني من الزحام، أما الآن فهي تعاني من الفراغ!

كانت المناطق المعزولة محاطة بأسلاك شائكة لمنع تسلل المصابين، وكان أيضًا هناك حراسات مشددة على أبعاد متقاربة ومتساوية لزيادة الأمن في المناطق المعزولة، كانت الخطة تهدف إلى تطهير منطقة ما ومن ثم فرض حصار شديد عليها يُمنع معه دخول أي شخص إليها، وبعد ذلك يأتي الدور على المناطق المحيطة إلى أن يتم القضاء على هذه الكارثة، لكن الأمر لم يكن يسير بالصورة المتوقعة، كانت المدة الزمنية التي سيتم فيها تطهير البلاد طويلة جدًا، لذلك تم استدعائي بالقوة للحصول على مضاد لهذا الفيروس، لكنني لم أستطع الحصول على مضاد للفيروس لأن الفيروس فاجأني بتطوراته السريعة، وكأن له عقلاً يفكر به!

أكملت طريقي، كانت الشوارع خاوية، وكان الهواء باردًا، ورأيت في تلك المدة ما لم أتوقع أن أراه إلا في أفلام الخيال العلمي، كان الغطاء النباتي كثيفًا لدرجة أنه في بعض المناطق المكشوفة للمطر وللرطوبة قد زاد طوله عن المتر والنصف وغطى السيارات التي تُركت على حالها،

باب مفتوح، زجاج لم يُغلق لآخره، وبعض السيارات كانت مقلوبة، كما كان يبدو أنه كانت هناك حالة من الاستعجال، فهناك مستلزمات شخصية كثيرة منتشرة في الشوارع، جوارب، تلفاز مكسور على ما يبدو أنه وقع من صاحبه أثناء هربه، كان بعد مسافات أجد علامة تحذر من أن هنا في هذه المنطقة تلوث جرثومي وهي عبارة عن دائرة في المنتصف يقطعها ثلاث خطوط طولية يخرج من أعلاها قوسان، قوس ناحية اليمين والآخر ناحية اليسار، كنت أجدتها في كل مكان، وكنت أجد عليها فضلات طيور، يبدو أنها استراحة مفضلة لدى الطيور .

سمعت صوتًا غريبًا قادمًا من اتجاه اليمين، نظرت له وعلمت ما مصدر هذه الفضلات، إنها الغربان، كانت تنعق، كانت هناك أعداد كبيرة منها، بعد إجلاء البشر منها أصبحت هذه المناطق موطنًا لكثير من الحيوانات والنباتات الطبيعية، لكن الحيوانات كانت تختبئ حينما تراني قادمًا، كانت تراقبني عن كثب لكن من على بعد كافي يسمح لها بالهرب إذا أقدمت على فعل شيء غريب.

المباني متراسة بجانب بعضها البعض، لا حياة فيها، كانت مرعبة، فالبشر مثلهم مثل الروح، فإذا ذهبوا ذهب روح هذه المباني وأصبحت

مرعبة، كنت أشاهد وأحاول أن أحفظ هذه الصور في رأسي، ومن عادتي أنني أتأمل أي شيء لأخرج منه بشيء أغرب من الخيال، لذلك وأثناء جولتي وجدت خلف أحد المنازل مكانًا شد انتباهي، كان عبارة عن مكان فيه ظل، وكان فيه أيضًا مكان للجلوس، الذي كان فيما مضى يجلس عليه سكان هذا المنزل يتسامرون، اقتربت من هذا المكان ومن ثم دخلته وجلست، اتكأت بظهري على الحائط وتنفست رائحة الطبيعة، وكنت أمتّع نظري بمنظر النبات الطبيعي الأخضر، والشجرة التي فوقني .

كنت أشعر أن هذا الكوكب تخلص من سرطان مصاب به وبدأ يتعافى، سرطان البشرية!



هذكرات الدكتور الشخصية

كم عدد الأبرياء الذين قُتلوا بسبب اختراعي وبسبب عدم رغبتهم
في ترك سلطتهم؟

كم شخصًا تعذب لحبيب فقده؟

كم طفلًا تيتيم؟

كم أمًا وأبًا فقدوا أبناءهم؟

كم عائلة تفرقت؟

كم شخصًا تعذب بسبب الكارثة نفسيًا؟

الملايين، وكم شخصًا تسبب في تلك الكارثة؟ العشرات!

وهذه هي الحقيقة الواقعة من أجل سعادة العشرات يحترق الملايين
ليكونوا وقودًا يسرون به إلى الأمام، لكن هل عندما نبنى ويأتي قوم
آخرون هل سيكونون مثلنا أم خير منا؟

أعتقد أن الشر جزء لا يتجزأ من الإنسانية كما الخير، نحن لن
نعيش في يوم من الأيام في عالم مثالي خالي من الشر، فالشر مكون أساسي
من مكونات الشخصية لدينا.

كل ما يحدث في العالم شيء وما يحدث في القبو شيء آخر، القبو، صورة مصغرة عن عالم مرعب، عالم غامض لا يحتوي على رحمة ولا إنسانية، الهبوط إلى القبو في الحالة الأولى لو كنت مصاباً، سيكون هبوطاً بلا صعود، لن ترى الشمس مرة أخرى يا بئس، أما في الحالة الأخرى فإن هبطت وأنت عالم، فأنت تهبط لتكون من سكان العالم السفلي المليء بالغموض والألغاز، وحينها تصبح من سكان العالم السفلي فأنت تكون وقتها الشر المطلق، السلاح الذي يضرب به الظالمون الإنسانية، أنت سلاحهم، أنت من أرشدتهم إلى هذا الطريق.



في القصر

في القبو رائحة الدماء تملأ المكان، عشرات العلماء وآلاف الجثث،
والنتائج سلبية، لم يتوصل أحد إلى أي شيء، حتى أنا، وذلك لأنني كنت
مشغولاً بأمر آخر، بفكرة أخرى ستغير العالم إلى الأفضل، الزمن!
لكن ما كنت ألاحظه وما كان يثير الخوف داخلي أن هذا الفيروس
له القدرة على التكيف والتطور تتعدى الخيال، كان قادرًا على فعل
المستحيل، بل في الواقع هو فعل المستحيل كما سأخبركم فيما بعد.
القصر هو جنتهم وناري، القصر هو اللعنة التي أحلم بأن تصاب
بالوباء، حتى وإن أُصبت معهم به، لكنني سأكون مرتاحًا وأنا أراهم
يتعذبون كما عذبوا، وسيكون من العدل أن أموت بالفيروس الذي
اخترعته، فطابخ السم يتذوقه!
لم أعد أقوى على العيش في هذا القصر، والمهدئات لم تعد لها فائدة،
وأنا أصبحت مدمنًا، يجب أن يكون الحل جذريًا وسريعًا.



رسائل النائب

تم تكليفي بمهام أخرى خارجية، ولن أتمكن من مقابلتك مثلما كنا نفعل يومياً، وسأكتفي بإرسال الرسائل لك لأطلعك على التطورات. تم التجهيز لكافة الاحتمالات، وكان من ضمن الاحتمالات التي تجهزنا لها هي عدم القدرة على العيش على الأرض مرة أخرى، لذلك تم العمل على إنشاء حياة أخرى، كانت هذه الحياة في الأعماق السحيقة، تم إنشاء العديد من الأنفاق الضخمة والكثير من الغرف، كما تم العناية بمحاكاة الحياة على الأرض من حيث الشكل، فعملنا على رسم صور ثلاثية الأبعاد للشمس والسماء والسحب، باستخدام تقنيات حديثة، كما لم نفقد الأمل بعد في إيجاد طريق لهذا الوباء، فتم تكليف (العالم) بالعمل على إيجاد طريقة.

في هذه الأنفاق هناك شبكة واسعة من الأنابيب التي في الجهة الأخرى منها محرك يعمل على سحب الهواء من الأعلى وإنزاله إلى الأسفل، حيث البشر، وبعد ذلك تقوم شبكة واسعة من المراوح بنشر ذلك الهواء النقي القادم من الأعلى، كما توجد مجموعة هائلة من

الشفاطات التي تعمل على سحب الهواء الفاسد، هواء الزفير وإخراجه إلى الأعلى، ولكن إن استمرينا في هذا الوضع فإن عُطل أحد المحركات سنموت خنقًا، لذلك زرعنا الكثير من النباتات والأشجار لتمدنا بالأكسجين، وبدل ضوء الشمس استبدلناه بضوء مماثل ولكن من أجهزة ضوئية، لم يكن بنفس الكفاءة، ولكنها قشة تمنع سقوط صخرة. كما تم توفير المياه عن طريق مضخات تسحب المياه من الأعلى حيث الأنهار، وتم حفر ممرات بين الشوارع لتوفير المياه، كما أنشئت شبكة للصرف الصحي، وتم توصيل المياه لجميع الغرف في الأسفل، نحن الآن أوشكنا على بناء الحياة الجديدة لنا في الأسفل.



هذكرات الدكتور الشخصية

أجلس أمام الشرفة في غرفتي في القصر، أتابع ما يحدث في الشارع من النافذة، أرى تلك المرأة التي تمسك رأسها وهي تصرخ من شدة الألم، العذاب، الكلمة التي تصف ما يشعرون به، والعذاب أيضا الكلمة التي تصف ما أشعر أنا به، أنا الذي تسببت في كل هذه الأمور باختراعي اللعين، وأرى أيضا ذلك الرجل العجوز الذي يمسك بذراع في يده ويأخذ منها قطعة يأكلها، وكأنه لم يأكل منذ خمسة أيام، كما أرى ذلك الفتى الذي يجلس على أربع ويأكل من جثة أمامه كالضباع، تابعته، أخذ يأكل ويأكل إلى أن امتلأت بطنه، لكنه لم يكف عن الأكل واستمر، وفجأة تقيأ، كان تقيؤه دمًا!! ثم وقع مكانه ميتًا، يبدو أنه أخذ يأكل إلى أن انفجرت بطنه من كثرة الطعام، كان القصر محاطًا بجيش من الجنود، كانوا يرتدون أقنعة غاز وكان أي شخص يقترب من القصر يُضرب بالنار، أكان مصابًا أو كان سليًا!!

لم يكن من المسموح الاقتراب من القصر لأي ظرف من الظروف،
فمهمة هذا الجيش هي حماية من في الداخل، لأنهم بشر وباقي الناس
أقل من أن يوصفوا بالحيوانات، حتى من كان سليماً ويتأكدون من أنه
سليم كانوا يفتكون به، ليس لأنه كان خطراً عليهم، ولكن لأنه تجرأ
واقترب من مكان السادة!



خمس ساعات في المناطق المهزولة

لم يبق إلا القليل من الوقت، لذلك كان عليّ أن أتابع طريقي عائداً إلى القصر، لكنني قررت أن أسير في اتجاه آخر غير الذي أتيت منه حتى يتسنى لي رؤية الكثير من المعالم والآثار التي تركتها الكارثة على هذه المنطقة.

في الطريق كنت أرى مدى تعجل الناس ومدى فزعهم في الهرب من الكارثة، وكان هذا واضحاً في كثرة المتعلقات الشخصية التي أجدها في الطرق.

أثناء سيرني في الطريق لمحت محلاً لبيع الطعام والشراب، وما لفت نظري أن زجاجة كان مكسوراً، على ما يبدو أن السكان أثناء فرارهم فكروا في أنهم سيحتاجون طعاماً وشراباً، لأنهم غير واثقين من الذي يجنيه لهم المستقبل، دخلته، كان المكان في حالة من الفوضى، كما أنه كان يعتبر مغطياً بصورة كاملة بخيوط العنكبوت، كانت كثيفة للغاية لدرجة أنها تعيق الرؤية، لذلك لم أدخل لأنها مغامرة غير محسوبة، قد يكون هناك أحد المصابين في الداخل يأكل من الطعام الفاسد الذي تركه الناس وهربوا، لذلك أكملت طريقي عائداً إلى القصر.



مذكرات العالم

طُلب مني شيء صعب، إنقاذ البشرية من الانقراض، شعرت في البداية أن هدفهم سامي، لكن فيما بعد اكتشفت أشياء أثبتت أنهم شياطين في أجساد آدمية.

أن تكون عالماً في القصر ذلك شيء كبير، ولكن أن تكون في تلك الفترة، فأنت حقاً صندوق أسرار، لن أستطيع البوح بالكثير من الأسرار في هذه المذكرات، خشية الموت، أو أن أصبح كما صادفت من البشر، إنسان تجارب!

الوباء ينتشر بسرعة البرق، لم يترك قطعة على الأرض لم يطأها، والبشر الناجون إلى الآن قلائل، وقريباً سينعدمون، لذلك طلب مني (النائب) إنتاج ترياق لفيروس **A.D** ، وأنا في الواقع لم أتردد، فلو نجحت سأكون أعظم من ساعد البشرية، وإن فشلت فلن يكون عليّ حرج، فإن فقأت لأعمى عيناً لن يسبك في الساحات.

الكثير من التجارب التي حدثت في المختبر، ولكن كل النتائج سلبية، حتى (الدكتور) الذي اخترع الفيروس لم يتوصل إلى ترياق له، لذلك سيكون حملاً ثقيلاً عليّ، أتمنى أن أنجح.



في القصر

كان (التائب) بمثابة الإلهام لديّ، كان شعوره بالذنب يفوق الذنب الذي ارتكبه، كنت أرى فيه ما زرع داخلي الأمل، وهنا بدأت الأفكار تنهمر على عقلي، لا بد من حل، لا بد من طرف للخيط، الوضع يسير نحو منحدر رهيب التصور، انقراض البشرية إلا من عرق من هم في القصر، وسيكون بالتأكيد عرقاً سيئاً لن يفيد، بل سيضر، كان هذا بمثابة الطوفان، ولكن نوح في الطوفان جمع أصلح أهل الأرض، وبعد ذلك انتشر الفساد مرة أخرى، فما بالك إذا جمعت أشر أهل الأرض وجعلتهم يتكاثرون!!

لم يعد هناك أمل في وجود مضاد للفيروس، فهو منتشر بصورة كبيرة جداً ولن ينفع معه الترياق، لا يوجد إلا حل وحيد، حل ممكن، بل استطعت في عزلتي أن أصل إلى بعض الخيوط التي ستساعدني .



مذكرات الدكتور الشخصية

بعد حدوث ما حدث، وهروب القرد من المختبر، دبت الفوضى أرجاء القصر، فقد (النائب) هدوءه المصطنع، وأنا فقدت صديقاً أحببته، بعدما علمت أنه أصبح عاقلاً، وأنا بدأت أعلمه كيفية التفكير المنطقي، والكتابة، لكنه كان يعاني صعوبة في تعلم الأبجدية، لذلك ابتكرت طريقة للكتابة عن طريق الخربشات، ولاقت هذه الطريقة استحسانه، وتعلمها بسهولة، / تعنى أ، // ب، وهكذا حتى نصل إلى ج // // // //، ونبدأ في ح ×، خ × /، وهكذا إلى أن نصل إلى × وهذه تعنى 12 خريشة وما يقابلها من الحروف وهو الحرف س، وكلما زادت الشروط الصغيرة فوق الـ × يعنى أنها × إضافية، إلى أن نصل إلى نهاية الحروف وهو وى ويكتب × // // وهي تماثل 28 خريشة .

هكذا تعلم الكتابة والتفكير المنطقي، وبدأ يسألني عن أشياء غامضة بالنسبة له، فهو يعتبر حديث الميلاد لأن الإدراك لديه بدأ منذ أيام قليلة، وحينما سمعت (النائب) يأمر (العالم) بتسريحه حزنت حزناً شديداً، لأنه سيفارقني، ووددت لو أستطيع التحدث والاعتراض، لكن

بأي وجه سأحدث وأنا عاجز عن إخراجهم من هذا الوباء، لكن (العالم) اعترض بشدة، وبعدها عاد إلى المختبر زعم أن (القرد) هرب، وهو ما أثار الشك لدي أنه هو الذي هربه.

لكن الأمور ساءت، وأمر (النائب) بإعدام (العالم) و(المستشار)، ونُفذ حكم الإعدام، ولم يعترف أحد من الذي هربه.

ظل الوضع كما هو، لا جديد سوى السييء، إلى أن وجدت في أحد الأيام نافذة مكتبي مفتوحة، قلت لا بد أنني نسيتها، ولم يأت في بالي أنه (القرد)، وجدت رسالة منه على المكتب، رسالة أشعرتني بالسعادة، لأنني تأكدت أنه حي إلى الآن، فقممت بترجمتها والاحتفاظ بها.



رسائل التائب

الرتوش الأخيرة، المجتمع الجديد أصبح شبه جاهز لاستقبال ما تبقى من البشر، سنحاول إصلاح بعض الذي أفسدنا، ولكن هناك أيضًا مشروع من أكبر المشاريع أهمية، العمل يجري بسرعة كبيرة، سننتج غواصة كبيرة، ستساعدنا في الهروب من الأرض إلى البحار إن استلزم الأمر ذلك، فنحن لا نضمن المستقبل، تلك الغواصة ستكون الحدث العظيم، ففيها سيتم الكثير من الأبحاث السرية، ستمكن منها من مراقبة العالم الخارجي وما يحدث فيه، ستمكن من قياس الأضرار من منظور آمن، البحار التي لم تُصب بأي شيء، وسيكون من المستحيل وصول المصابين إليها، لذلك اعتبرها ملاذنا الآمن إن حدث شيء.



رسائل القرد للدكتور

أثناء هربي من القصر، وجدت نفسي في قلب الجحيم، محاصر بين البشر العاقلين المسلحين، ومن ناحية أخرى البشر غربيي الأطوار الذين يأكلون أي شيء يقابلهم.

لم يكن الهروب سهلاً، فقد كنت في أي لحظة أثناء الهرب من القصر مرجحاً أن تنهال عليّ الرصاصات من كل حذب وصوب، لكنني لم أكن متسرّعاً، تصرفت بالكثير من الحكمة التي تعلمتها منك.

أسف على الاختفاء المفاجئ، فقد مرت سنين طويلة منذ آخر تواصل، لكنه في أحد الأيام وجدت أحدكم يفتح لي القفص والنافذة، في إشارة واضحة منه.. أن اهرب، وأنا لم أتردد لحظة، فقد كنت لا أرتاح في ذلك القصر، وهؤلاء البشر، لم أستشعر الراحة إلا منك، لذلك سيكون بيننا تواصل في الفترة التالية لأقصص عليك ما حدث في المجتمع الحيواني، لأن ما حدث شيء عجيب.

بعد هروبي اختبأت في أحد الأغوار، كان البشر المصابون كثر وفي كل مكان، وكانت الحيوانات مختبئة بالفطرة في الكهوف، فلم أر أحدهم طوال تلك الفترة، كانت تلك الفترة التي تسبق الأمطار الغزيرة.

كانت الحياة البشرية كما هي ظاهرة، سيارات في كل مكان، مباني، طائرات، آلات ومصانع، مازالت البصمة البشرية على كوكب الأرض، وما زال البشر يأكلون بعضهم البعض، مرت شهور على ذلك الوضع، إلى أن جاءت الفترة المطيرة، التي كان المطر يتساقط فيها باستمرار وبغزارة، حتى ظننت أنه لن يكف إلا مُغرقنا جميعاً، وصلت المياه إلى مستوى مرعب فاضطرت إلى مغادرة الغور الذي كنت فيه، فرأيت ما لا يصدق، بشر غرقى، سيارات مغمورة بالماء، والصدأ بدأ يأكلها، مباني بائثة من تشبّعها بالماء، كان الوضع ينذر بالأسوأ، لذلك هربت من المناطق المنخفضة إلى مرتفع يقيني شر الماء الغزير، استمر لشهور أخرى، وكأنها لم تمطر من قبل وكانت تدخر المطر لذلك اليوم.

بعد أن هدأت الأمطار بعض الشيء، بدأ شيء جديد يضرب بقوة، الزلازل، كانت شيئاً مروّعاً، تشققت الأراضي وتساقطت المباني، وتضخمت الأمواج وبدأت في جرف كل شيء في طريقها، ولكنها لحسن حظنا لم تستمر كثيراً، بعد فترة الزلازل والأمطار جاءت فترة جفاف شديد، ابتلعت الأرض مياه الأمطار، تشققت القشرة الخارجية من قلة المياه، أصبح المناخ قاتلاً، من حسن حظي أنني كنت بجانب منخفض تراكم فيه الكثير من الماء، فلم أمت ظمأً، كان المرتفع الذي

أقف عليه يريني أكثر الصور بشاعة رأيتها، فأنت حينما أريتني الكثير من الصور للأرض، وحدثني عن جمالها، أحببتها بشدة، لكن الصورة التي رأيتها وقتها كانت غير ذلك، كانت صحراء جرداء، وأراضي متشققة، وبقايا سيارات وآلات وبشر نافقين .

جفاف شديد وما زاد في الأمر أن رياح قوية بدأت تهب على الأرض، كانت الرياح تحمل ما بقي من السيارات من مكانها لتنقلها إلى مكان آخر، كانت عاتية، كانت تقتلع الأشجار من جذورها، كانت تنثر المباني وتحولها إلى رمال! استمرت عدة شهور حتى ظننت أنها لن تهدأ، لكنها هدأت لتكشف لنا عن وجه جديد لكوكب الأرض غير ما ألفنا، كانت المباني شبه مهدامة، ولم يكن هناك أثر للمصانع والآلات والسيارات والطائرات، فقط قطع من الحديد المتجمع الصدأ، ولم ألاحظ وجود بشر، وكأن الكوكب برياحه وزلازله وأمطاره الغزيرة كان يتطهر من جنابه أصابته! كما نظرت إلى القصر فوجدت ما بقي منه جزء قليل، وكأنه لم يفن ليكون عبرة.

بعد الكثير من البحث وجدت مجموعة من الحيوانات المختبئة في الكهوف، خوفاً من الأمطار الغزيرة والعواصف والبشر غربيي الأقطار الذين يملأون العالم، لكنهم لم يعلموا أنهم دُفِنوا تحت الرمال وانتهوا،

كانوا مجموعة من القردة، في بدء الأمر كانوا يستشعرون الخوف مني، طبيعتهم التي فُطروا عليها، لكنني وبشتى الطرق حاولت طمأننتهم، وبعد الكثير من المحاولات نجحت، وبدأت في التعرف عليهم عن كُتب.

تحدثت أمامهم وانتظرت الرد، لكن لا شيء!

أعدت الحديث عسى لم يسمعوني جيداً أول مرة، لكن لا شيء مرة أخرى، كانوا كالجماد، لا يفقهون القول! كانوا ينظرون إليّ كأنني مسحور، أو قادم من الأساطير على سُحب، كنت أتحدث فيتعجبون، فأُتحدث مرة أخرى فيزدادون تعجباً، فأُجاني أحدهم قائلاً: "طعام"، قلت له تستطيعون زراعته فهناك طرق شتى للزراعة، فأُجاني: "طعام"، شعرت أن لا فائدة، وقررت الرحيل عن تلك المجموعة الغبية!



رسائل التائب

تم تكليف (العالم) لإنتاج ترياق لفيروس (A.D) ، ويبدو أنه يحرز تقدماً في ذلك الأمر، أتمنى ذلك، وقد تم الانتهاء من صناعة الغواصة بالكامل، كما تم الانتهاء من إنشاء الحياة في الأسفل، تم بناء مختبر مجهز بأحدث الأساليب العلمية في الأسفل، وهو المختبر الذي يُجري فيه (العالم) تجاربه.

تم إنشاء نصب مماثلة في الشكل لما كانت على الأرض، وتم اختيار أبنية معينة، كبرج إيفل، تمثال الحرية، سور الصين العظيم، الأهرامات، والكثير من الأبنية المرتبطة في أذهان الناس بالأرض التي أحبوا، ولكن هل تستوي الحياة على الأرض بالحياة أسفلها؟!



مذكرات القائد

كنت ضابطاً عادياً، كنت في حرس (الرئيس) الشخصي، كان هناك جنود وضباط في الجيش يخططون للإطاحة بـ (الرئيس)، الذي ولحق كان شخصاً قذراً! لكن عاقبة هذا الفعل ستكون أسوأ، هكذا كان تفكيري في البداية، وبعد أن أوحى لي نفسي أمراً كنت قد اتخذت قرار الإبلاغ عنهم، قلت سأبلغ (الرئيس) شخصياً بما يدور من خلفه، وكان هدفي الوصول إلى مرتبة أعلى وأن أصبح من المقربين.

عقدت العزم على إبلاغ (الرئيس) بكل الأمور التي تدور في الخفاء، جمعت كافة الأوراق التي تؤكد أقوالي، لكن الأمور لم تسر كما كنت أخطط، فقد كانت مجموعة الضباط الذين أسموا أنفسهم (مجموعة المستقبل) يتأهبون لشن حملتهم الواسعة، التي ستبدأ بعزل (الرئيس) وتنتهي بالقبض على كل من لا يؤيدهم في الجيش.

فما كان إلا أنني أخذت سلاحي واتجهت إلى غرفة (الرئيس)، أخبرت الحرس الخاص به أن هناك مخططاً وأنهم سيهجمون الآن، سمع

(الرئيس) صوتي من الداخل فخرج مذعورًا، أخبرته بما يُحك من مؤامرة، وأثناء حديثنا انطلق كل شيء.

طلقات طائشة، تألم من جرحي، دماء سائلة، دفعت (الرئيس) داخل الغرفة ووقفت أطلق الرصاص على كل من يقترب، كانت رمياتي موفقة، كما كان لي دور كبير في تعطيلهم إلى أن جاء الدعم، وانتهى كل شيء بقتل كل المتآمرين.

ومن هنا أصبح لي وزن، أصبحت من المقربين، أحلامي تشكلت، وصرت منفذ العمليات الصعبة، كانت عمليات اغتيال لشخصيات عامة على غير توافق مع (الرئيس)، على حد وصفه أنا في ظروف لا تسمح بالاختلاف، وظلت هذه الظروف مستمرة سنين طوال، لم تنته تلك الظروف ولم يُسمح بالاختلاف معه.

كانت هناك بعض العمليات القليلة التي ترتبت عليها أحداث أخرى، كانت (العملية 49) من ضمن تلك العمليات، لأنني قمت باغتيال القائد العام لقوات الأمن، لشك (الرئيس) بأنه متورط في عملية الاغتيال الفاشلة، ومنذ ذلك الوقت أصبحت أنا مكانه.

و(العملية 66) التي كانت الأوامر فيها قتل مستشار الرئيس،
وبعد قتله تولى (النائب) منصبه وظهر في كثير من الأحداث المهمة، ظهر
فجأة وأصبح له كلمته في القصر، ولكن سرعان ما تغيرت الأحداث،
وتعرفت على (النائب) ووجدته شيطاناً في جسد إنسان.

وبرغم منصبى كقائد عام لقوات الأمن، إلا أنني كنت أنفذ
عمليات الاغتيال بنفسى، معارضين سياسيين، إعلاميين، أشخاص لم
يرتح لهم (الرئيس)!!

كنت لا أعرف فيما أقتل، إلى أن جاءت (العملية 73)، التي غيرت
ملامح كل شيء، كانت الأوامر واضحة، وكان اسم الشخص معروفاً
لأى أحد، كان الأمر واضحاً، اقتل نائب رئيس الجمهورية.



مذكرات الدكتور الشخصية

لا جديد، فقط الخراب، لا مؤشرات تدل على فرصة، ولا فرصة
تخلق داخلنا أملاً، ولا أمل نتمسك به فنحيا، ولا حياة في بيئة موبوءة.
القصر أصبح ثكنة عسكرية، كما أصبح العالم موطناً لبشر فقدوا
عقولهم، وقريباً سيفقدون الحياة، بعدما كان الوباء في بلادنا فقط، الآن
أصبح في العالم، أصبحت البشرية أمام تحدٍ جديد، أصبحت أمام تحدي
البقاء، يحيط بالقصر جيش من الأسلحة الثقيلة والخفيفة، هذا من
الخارج، لكن الداخل غير ذلك، فبرغم الكارثة الخارجية، إلا أن سكان
القصر يعيشون بلامبالاة، وكأن شيئاً لم يحدث، وكأنهم ناموا فاستيقظوا
فاقدي الذاكرة، اللعنة على الطمع، وصلنا إلى طريق لا نعرف نهايته، لا
نراها ولن نراها، وإن رأيناها لن نفهمها، سنجد أن النهاية عبارة عن
أشجار جميلة، وورود فاتنة، وشمس ساطعة، ووجوه ضاحكة،
سنقترب، بسرعة أكبر رغبة في نيل السعادة، لكننا سنفيق على اصطدامنا
بشيء جامد، سنقع على ظهورنا بعنف، بعدها ستتحسس رؤوسنا

ونطمئن أن لا يوجد نزييف، ثم سنقوم لتبين ماهية الشيء الذي صدمنا،
سنمد أيدينا إلى الأشجار والورود الفاتنة وإلى الشمس الساطعة وإلى
الوجوه الضاحكة لتتفاجأ بالواقع الأليم، سنجد أنها رسومات على
حائط صلب، لن ننفذ منه.



مذكرات العالم

الكثير من الأفكار، لكن لا شيء ينفع، إلى أن خطرت لي فكرة، قلبت الأمور إلى الأفضل، كانت فكرة جيدة، هذه الفكرة قائمة على تغيير الخواص الجينية للفيروس.

الهندسة الوراثية هي ما كنت أبحث عنه، كانت الفكرة التي تقف على أنفي ولا أراها، كان (المستشار) هو المكلف من قبل (النائب) بالأبحاث، لذلك طلبت لقاءه وأطلعته على خطتي، تفاجأ من بساطة الأمر ومدى تأثيره، "قد تنجح في قلب الأمور بصورة جذرية"، هكذا وصف، أعطاني الأمر بالاستمرار في الأبحاث، ومن جهته سيحدث هو (النائب) ليخبره عني وعن الذي توصلت إليه.

جاء إليَّ (النائب) وحدثني وكان فخورًا بما فكرت به، وأعطاني الأمر أن أبدأ على الفور وكل التكنولوجيا وكافة العقول مسخرة لي، وبالفعل بدأت العمل، كان (المستشار) هو حلقة الوصل بيني وبين (النائب)، لأنه مشغل ولن يستطيع المباشرة بنفسه.

ذهبت إلى المختبر، دخلت غرفتي الخاصة، وأغلقتها وبدأت أفكر، كان عليّ التفكير بتغيير في خاصية تحوله من مميت إلى مُحيي، تتبعت ما يفعل الفيروس بالجسم، خط سيره كان قائماً على الأكل، إذن هذه هي الصفة المراد تغييرها، أحضرت الفيروس ووضعت داخل المجهر الإلكتروني، قمت باستخراج الجين الخاص به، ووضعت الجين داخل المجهر، رأيت الحلزونيات والأحماض الواصلة بينها، كانت تلك الشرائط هي المسئولة عن تصرف الفيروس، لذلك توصلت إلى الكروموسوم المسؤول عن جعل الفيروس يتغذى على الدوبامين، وعزلته عن الجين وأبدلته بجين يعمل على ترسيب طبقات من البروتين والفيتامين ومن ثم يقوم بتكوين الطبقات الست في القشرة المخية وترتيبها بصورة تسمح لها بأن تصبح منطقية، ويصبح العقل جاهزاً.

أحضرت الجين المرغوب، الذي سأستخدمه وقمت بتحميله في بلازميد وإدخاله إلى الفيروس، كانت النتائج مذهلة، تم تحميل الجين الجديد بنجاح، كما تم من الناحية النظرية تغيير خواص الفيروس من

آكل إلى مُرسب، وتم تسمية العقار الجديد الذي أنتجت (MIND
RECOVERY).

خاصية الريكفري هي الخاصية التي تمت إضافتها، مشروع
استعادة العقل هو من أكبر المشاريع الجينية التي تمت في القصر، كان
النجاح باهرًا ولم يكن في القصر عالم لم يعلم بما فعلت، جاء دور التجربة
العملية.



رسائل القرد للدكتور

قررت أن أنام وفي الصباح سأغادرهم وأبحث عن آخرين يفقهون قولي، وكانوا مستمرين في أحاديث لا تُثمر مثل: "طعام"، "هناك خطر ما؟"، "ليس إلا.. يالهم من أغبياء مزعجين! أغمضت عيني متجاهلاً سفاهتهم ونمت.

استيقظت في الصباح على هدوء غريب، ظننت معه أنهم رحلوا، لكنني حينما فتحت عيني وجدتهم نيامًا، إلا واحد، عزمت الرحيل، فإذا به يقول لي: "إلى أين أنت ذاهب؟ وكأنهم علقوني رأسًا على عقب وقاموا بصعقي بالكهرباء، ما هذا؟! أكنت أهلوس، لا يهم، تجاهلت تلك الظنون السخيفة وأكملت طريقي إلى باب الكهف، فوجدته يقول مرة أخرى: "أتبحث عن شيء ما؟"، لا يمكن، لم أصدق كيف يستطيع الحديث مثلي؟! نظرت إليه وعلى وجهي ترسم علامات الدهشة، فبادر قائلاً: "أتعاني من مرض ما؟!"، فقلت له بتلعثم: "أأأ.. لا.. أنا ف..ف.. في أفضل حال."

كيف تغيرت أحوالهم بهذه السرعة؟ كيف تحولوا من كائنات غبية لا تفهم إلى أصحاب عقل ومنطق، لم أفهم سر هذا التغير المفاجئ والسريع، لكن باقي الحيوانات حينما استيقظت وجدتها تحولت هي الأخرى إلى عاقلة، وجدتهم يتعاملون مع الأشياء، يزرعون، يلبسون، يكتشفون النار ويبدأون في تجهيز الطعام، ولم يتوقف ذلك التغير على هذه المجموعة فقط، بل غزى العقل الحيوانات جميعاً، وأصبحت الحيوانات سادة الأرض!



رسائل التائب

منذ بضعة أيام تلقيت أخبارًا سعيدة من القصر، فقد توصل (العالم) إلى إنتاج ترياق للفيروس، سُمي (M.R) ، وأنه حينها تمت التجربة على قرد في المعمل كان النجاح باهرًا، وقد أصبح القرد عاقلاً، شيء لا يصدق، ولكن للأسف حينما تمت التجربة على إنسان مصاب لم ينجح الأمر، كانت النتائج سلبية، ولكن هناك أملاً أن يصلوا إلى حل قريباً، فبهذا الاكتشاف وضعنا قدماً على سلم الخلاص.



مذكرات القائد

حالة من الذهول وقعت فيها، وسرعان ما انقلب الأمر إلى قلق، ولأول مرة أفكر في الأمر، حدثت نفسي قائلاً إنني إن قتلته سيحين الدور عليّ، فعلى ما يبدو أن الجنون أصاب (الرئيس)، وأن داء الشك يتحكم به، وبما أنه يقتل معاونيه فسيأتي اليوم الذي يقتلني فيه، لذلك قررت أن أتصرف بشكل مغاير هذه المرة.

لم أبدأ اعتراضاً أمامه، بل سايرته وأقنعتة أن كل شيء سيسير كما السوابق، ذهبت إلى البيت وجهزت كل شيء للعملية، وبحكم منصبى كنت على معرفة شديدة بـ (النائب)، أمسكت هاتفى وطلبتة، أجبني فقلت له إنني أرغب في رؤيته، واتفقنا على المقابلة ولكن خارج القصر وفي مكان سري، واشترطت عليه ألا يخبر أحداً بأنه سيقابلني، لأن الأمر خطير.

تقابلنا في المكان المحدد، بادرتة بالحديث قائلاً إن (الرئيس) وضعك على قائمة الاغتيال، ففزع اعتقاداً أنني سأخرج مسدسي الآن

وسأمزق به قلبه، وشعرت في عينيه بنظرة ندم، شعرت أنه يقول لقد وقعت في المصيدة مختارًا، لكنني عاجلته بالكلام قائلاً إنني لن أنفذ ذلك الأمر، ولكن بشرط أن يقتل هو (الرئيس).



رسائل القرد للدكتور

أصبحنا أممًا، تجمعات كبيرة لها قائد، وكلما زاد عددنا انقسمت عنا مجموعة أخرى لتصبح مستقلة بقائدها، زادت حالات الإنجاب وزادت معها الحاجة إلى طعام وشراب، حدثت حالات فردية من الاقتتال على أماكن وجود الطعام والشراب، إلى أن تحول الأمر إلى حروب شاملة بين التجمعات، كثرت الحروب وكثر سفك الدماء، أطفال تتيتم، إناث تترمل، دموع الفراق تنسال.

فوضى، وكأن الحيوانات لم يستوعبوا أنهم أصبحوا ذوي عقل، أو كأنهم من الصدمة فقدوه، ووسط كل هذه الأحداث كان هناك حدث لا يقل في الأهمية والغرابة.

قصة حب، ليس أكثر، ترتب عليها الكثير من الأحداث، ترتب عليها تاريخ كامل، أسد يجب نسر!!

كان ذلك حديث الحيوانات لفترة كبيرة، كان شيئًا غريبًا علينا، كان على غير العادة أن ينجذب أحد الحيوانات إلى حيوان آخر من فصيلة أخرى، فما بالك بحيوان يقع في حب طير!

كانا يسيران سوياً، فيقابلهما العامة من الحيوانات بالسباب والمضايقة، كانا محط الأنظار دائماً، مما اضطرهما إلى الاختفاء، تواروا عن الأنظار فترة من الزمن لم نهتم بعدها، فقد كانت الحيوانات تخشى على أبنائهم تلك الأفكار الشاذة، التي ستؤدي إلى ضياع النسل، اختلاط الأجناس، مما سيؤدي إلى مساوئ نحن في غنى عنها.

كانت تكثر الأقاويل، فهناك من يقول إنها ماتا، ومن يزعم أن هناك من قتلها، ومن قال إنها كما هما يحييان في منحدرات قريبة، ولكن مرضاً غامضاً أصابها جراء معاشرتها الشاذة، كانت تلك وليدة الأفكار، ولم يكن يعلم أمرهما أحد.

فجأة وجدنا قائلًا يقول إنها عادا، أصابتنا الدهشة، فقد كنا نعتقد أن من يقولون إنها ماتا صادقون، فأكمل القائل: "وبين أحضانها الطفل الموعود!!"، اللعنة على الخرافات، لكن وجدت صوتاً داخلي يقول عسى أن يكون صادقاً، فاذهب مع من سيذهب لتبين.

تبعنا العامة التي بدورها تبعنا القائل، وجدنا أنفسنا متجهين إلى ساحة فضاء، لكن من على بعد كبير علمت أن الخبر صحيح، فالزحام

كان لا يوصف، الكثير من الحيوانات ذهبت لترى ذلك الطفل
الأسطوري، تركوا أعمالهم، وتركن بيوتهن وأطفالهن، وذهبوا.
حالة من السُّكر، أصابت كل من في الساحة، لا أحد يصدق ما تراه
عينه، أتكذب العين، أم نرى شيئاً عجيباً!!؟
لكن لم يستطع أحد في تلك الساعة أن ينكر، إنه حقاً الطفل
الموعود.



مذكرات العالم

تسارعت نبضات قلبي، كنت أجلس قبل الفجر، كانت أصوات الصراخ تتردد في الأفق، لكنها بعيدة، كانت السكينة محيطة بي، كانت الظروف مهيئة للقيام بكل إبداع.

طلبت من (المستشار) أن يسمح لي بأخذ قرد من المختبر للقيام بالتجارب العملية عليه، كان شديد الإعجاب بي وبأفكاري، لذلك سمح لي بالقيام بكل ما يحلو لي في الوقت الذي أريده، كانوا متعاونين ومحفزين إلى أبعد الحدود.

ذهبت إلى المختبر وأخذت قردًا صغيرًا، كان موضوعًا في قفص، أخذته وقمت بوضعه على جهاز يقوم بعملية مسح شاملة للجسم، ربطته جيدًا، وقمت بحقنه بالفيروس.

بعد نصف ساعة وجدت الإشارات تشير إلى تفشي الفيروس في جسم القرد، هاجمت جيوش الفيروس حصون القرد المناعية، أصبح من المصابين، جلست أتابعه فترة، ثم أحضرت الترياق من الحافظ، تأملت القرد والعينة التي في يدي من الترياق، أملت أن أنجح في اكتشافي، وأن أعيد للبشرية أملها في الحياة.

حقنته بـ (M.R) ، وعكفت أمام الشاشة أراقب ما يحدث داخل جسمه، وجدت أن الترياق يدخل الجسم يسير في الأوردة الدموية ويقوم بعمل رائع، كان يصيب الفيروس بالعدوى، كان ينقل إليه الطفرة الجينية، فأنا عدلت فقط الجين المسؤول عن التغذية على الدوبامين، وباقي الخواص كما هي، الانتقال عن طريق الهواء أو العض، العدوى التي يُحدثها لخلايا الجسم، وكل هذه الخواص، لكنه فقد خاصية مهمة، قوته أمام جهاز المناعة، أصبح أضعف من ذي قبل، وتلك هي المشكلة التي أرقنتني.

كان شيئاً لا يصدق، بدأ الترياق ينتشر بصورة سريعة وبدأ ينقل الخواص الجديدة للفيروس، تمت مهاجمة الترياق عن طريق جهاز المناعة، كنت أخشى أن ينجح في هجومه ويقضي على الترياق، لكن الأمور سارت بصورة جيدة، واستطاع الترياق مقاومة جهاز المناعة والانتشار.

بدأ ترسيب القشرة المخية، كانت القراءات تشير إلى ذلك، كانت نتائج مذهلة، بدأ يترسب لدى (القرد) قشرة مخية!



رسائل النائب

أخبار غير سارة، فشل (العالم) في إيجاد طريقة لتعزيز قوة الترياق، وبالتالي أمره (النائب) بتشريح (القرود)، ولكن (العالم) رفض متحججاً بأن دراسته حي أفضل، وإن استلزم الأمر التشريح سيفعل، لكن (النائب) انزعج بشدة وأمر (المستشار) أن ينفذوا ما يؤمروا، بما أنه هو المسئول عن هذا الملف مع (العالم)

و بما أن (المستشار) هو صاحب اليد العليا في هذا الأمر فقد استسلم للأمر وطالب (العالم) أن ينفذ على الفور، ولكنها حينما عادا إلى المختبر، زعما أنهما وجدا قفص (القرود) خالياً، ادّعى أنه هرب، لكن هذه الأنباء حينما وصلت إلى (النائب) لم يصدقها، فهو ليس بهذه السذاجة، ليصدق قصة تقول إن (القرود) أصبح عاقلاً لدرجة أنه سيفتح باب القفص وهو موصد، وسيهرب من القصر عن طريق النافذة التي لن يتمكن من فتحها، وبعد ذلك سيهرب من كافة التحصينات التي أمام القصر، وكأنه شبح تبخر!

كانت حجتها ضعيفة، لذلك اتهمها (النائب) بخيانة البشرية وتم تنفيذ حكم الإعدام على يد (القائد)



مذكرات القائد

حينما يطهرع الشيطان.

كانت تلك ملخص النظرة التي في عينيه، أخبرته أن أمامه شهر لينفذ تلك العملية، لأنه لن يستطيع الماطلة أكثر من ذلك، فإن لم يقتل (الرئيس) سأضطر إلى تنفيذ (العملية 73)

رحل وهو على علم أن حياته ستنتهي في غضون شهر إن لم ينفذ ما أمرته، كنت على علم بكل تفاصيل يومه، لأنني لم أثق به، قد يذهب إلى (الرئيس) ليخبره بها أخبرته به، وهنا لن يرحمني، سيذيقني أشد العذاب قبل أن يقتلني.

وأثناء مراقبته وجدته في أحد الأيام يذهب إلى أحد العلماء، غاب في الداخل مدة كبيرة، لكنه خرج وعلى وجهه علامات الزهو، تساءلت عن ذلك الرجل فعرفت أنه عالم، ومن أحد المقربين له علمت أنه اخترع سلاحًا جرثومياً خطيراً.

في اليوم التالي وجدت (النائب) يصارحني بأنه اشترى سلاحًا جرثومياً خطيراً، وأنه ينوي استخدامه لقتل (الرئيس)، أعجبتني الفكرة

للغاية، سيكون موتًا نظيفًا، لا طلقات ولا طعنات، ولا خنق، فقط مرض غامض ومن ثم موت، يالها من فكرة لا تتبع إلا من عقل شيطان. كان (الرئيس) يسألني يوميًا عن سبب التأخر في قتل (النائب)، فكنت أذرع بحجج واهية، مثلًا أنه محاط بالكثير من الناس، لا توجد فرصة مواتية، ولا داعي للتعجل في تلك الأمور، كان يزداد شكه تجاهي، كنت أرى ذلك في نظرتة، وكنت على يقين أنني بعدما أقتل (النائب) سيحين الدور عليّ، لذلك تحدثت مع (النائب) أن يتعجل بعض الشيء.

وفي صباح اليوم التالي سمع كل من في القصر صوت طلقات في مكتب (الرئيس).

وكانت طريقة القتل بسيطة جدًا، وضع السلاح الجرثومي في قهوة (الرئيس) ومن ثم يكون المسدس في جيب (النائب) جاهزًا لإكمال المهمة، وعلى حد وصف (النائب) يجب عدم نسيان القطن في الأنف حتى لا أصاب بالعدوى.



هذكرات الدكتور الشخصية

تناول العقاقير المهدهة بدأ يثير العواصف في رأسي، بدأت أشم رائحة معركة، بدأ الأرق يضرب، بدأت أرى أشياء غير موجودة، الخطير أنه كانت هذه التخيلات قصيرة لا تتعدى الجزء من الثانية، لكن مع مرور الوقت كانت المدة تطول، وذلك ما أثار الرعب داخلي، أشعر بأن هناك أشخاصًا كثر يريدون أن يصعدوا إلى مسرحي الخاص ويؤدون استعراضهم المفضل على شخصيتي، أشعر بأنني لن أنجو من هذا، لكن الحل الذي وجدته للمقاومة هو الكتابة، تلك المعجزة التي تريح القلب، أشعر بأنني حينما أكتب ما يؤرقني فأنا بذلك انتهيت منه، أشعر بأن كل حرف يخرج معه جزء كبير من التعب، سأكتب حتى وإن كتبت أي شيء، فما يهمني الراحة وليس فهم ما أقول، تَبًّا للأرق.



رسائل القرد للدكتور

نسل جديد، ذلك شيء عٌجاب!

لم يسبق لنا مصادفة شيء مثله، كان طفلاً ذا جسد أسد، ومخالب
نسر وجناحاه، شيء لا يصدق.

تلى ذلك الحدث الكثير من المحاولات، حيوانات أخرى تتزوج من
أجناس مختلفة، رغبة منهم في إنجاب طفل أسطوري كالذي أنجب،
لكن المحاولات باءت بالفشل، فمنهن من كانت تضع أطفالاً مشوهين،
ومنهن من لم تكن تحمل من الأساس، ليبقى واحداً لحكمة لا نعلمها،
الطفل الموعود .

وسط كل هذا كانت الحروب كما هي قائمة، وسفك الدماء
مستمر، فظهرت مجموعة من الحيوانات تنادى بضرورة إيجاد حل، وكان
الحل موجوداً لديهم، كانت الفكرة تقول بتقسيم الحيوانات قبائل، وعلى
كل قبيلة حاكم يختاره سكان القبيلة.

كانت فكرة سديدة، وهنا ظهر الأسد والد (الموعود) مرة أخرى،
قال وزعم إنه خارق، وكانت حجته أنه أنجب ذلك (الموعود)، الذي
سيكون خليفته في الحكم.

التفت الحيوانات في القبيلة حول (الأسد)، وأصبحوا يحبونه
ويطيعونه طاعة عمياء، صدقوه وآمنوا بكل ما يفعله إيماناً مطلقاً،
وأصبح ما يحدث بناء على ذلك من المُسلّمات.

لكن حكم القبيلة لم يشبع رغبته في السيطرة، كان يحلم بأن يكون
إمبراطورية كبيرة، كان يحلم بسلطة لا تنتهي، وكان الطباع تورث وكان
التاريخ يُعاد.

بعد فترة زعم أن هناك تناقصاً حاداً في الطعام المُخزن، فأصاب
حالة من الرعب سكان القبيلة، كان أكثر كابوس لا يتمنوه أبداً.. الموت
جوعاً، كما زعم أنه طلب من القبيلة المجاورة أن تساعدهم في هذه المحنة
التي وقعوا فيها، لكن القبيلة لم تستجب لهم ولم تعطهم ما يكفيهم من
طعام، فلذلك قرر وبمباركة شعبه المهجوم على القبيلة المجاورة، وكذلك
تكوّن أول جيش للحيوانات.



رسائل النائب

الأمطار غزيرة، مرت عدة أيام وهي تُمطر، المباني بدأت تتشبع بالمياه، بدأت برك في التكون، ارتفع منسوب المياه في العالم لدرجة بدأت تنذر بغرق الكثير من المناطق الساحلية، يبدو أننا أمام تغير مناخي، فالعلماء في الغواصة أكدوا أنها ستستمر في الإمطار لعدة أشهر! وكأن المصائب لا تأتي فرادى، وكأن عقد البشرية انفرط.

بدأ المصابون بالغرق، بدأت بعض المباني في الانهيار، جاءتنا صور من الغواصة تثير الرعب لما آل إليه الأمر على الأرض، بدأت السيارات وكافة المصنوعات المعدنية في الصدأ، كما أمر (النائب) الجنود الاختباء من المياه في القصر، وبعد فترة قصيرة أعطى أمر سيُنفذ خلال أيام قليلة بإجلاء كافة من في القصر، ونزولهم هم وكافة أغراضهم إلى الأنفاق، ستتركون المختبر الذي أنتم فيه وستنزلون إلى الأرض الجديدة التي نملكها، ستتحسر حينما تنزل، لأنك على يقين أنك لن تخرج بعد ذلك اليوم إلى الأرض ثانيًا.

أمرني (النائب)، أن أذهب في رحلة تفقدية إلى الغواصة لمباشرة
آخر التطورات، سئمت ذلك الشيطان الذي يموت الجميع من حوله
وهو مُعمر.



مذكرات العالم

بعد ساعة كان الترسيب على أكمل وجه، انتظرت (القرد) حتى يفيق، تذكرت ما وصل إليه العالم من دمار، الوباء منتشر في كل مكان، ملايين الموتى والمصابين، لم يبق من البشرية إلا القليل وأغليبتهم هنا في القصر، آخر معاقل البشرية.

تذكرت التجارب التي أجريناها أثناء الفترة السابقة، آلاف الحثث، تشريح، دماء، أعضاء، ونثائر بشرية جراء التشريح، كما تذكرت الأبحاث التي أقامناها على الجنود التي نزلت أثناء موت الرئيس الغامض، كانت تجارب وحشية أندم أشد الندم عليها الآن، سببنا لهم الكثير من الألم.

ولكنني كنوع من تكفير الذنب قررت أن أعطي هذه التسجيلات إلى صديقي (التائب) الذي أردت أن أعترف له عن تلك الجرائم لأرتاح.

هنا عاد لـ (القرد) وعيه، أردت أن أعرف إن كنت أحسنت صنعًا، ساد الصمت المهيب، تبادلنا نظرات حائرة، فذاهلة، فمشوبة بخوف

شديد، سيطر الرعب على (القرد) حينما عاد له وعيه ورآني، وكأنه ينظر إلى كائن غامض قادم من الأعماق السحيقة، وكأنني شبح لم يتوقع ظهوره في ليلة باردة مظلمة.

أردت أن أطمئنه، لكنني حينما مددت يدي له وجدته يتجنبني، لذلك أردت أن أتأكد من النتائج على الشاشة، كانت النتائج مذهلة، فقد تم الترسيب بنجاح، وأشارت القراءات أيضًا أنه يفكر، وهو مذهول لرؤيتي، نجحت في هدفي وبقي أمامي الاختبار العملي.



رسائل القرد للدكتور

تم الاعتداء على القبيلة المجاورة، كان السبب الظاهر حاجة القبيلة للطعام، ولكن ما تبع ذلك من أحداث أوضح أنه كان هناك سبب خفي وراء الاعتداء.

تبع ذلك الهجوم اعتداءات أخرى على قبائل أخرى، وكان بعد كل اعتداء ينضم سكان القبيلة المعتدى عليها تحت حكم (الأسد)، الذي كوّن في فترة قصيرة أول دولة في التاريخ الحيواني، وهذا ما دل على أن نوايا (الأسد) لم تكن الحاجة للطعام، بل كانت خلاف ذلك، كانت رغبة شخصية، كان حباً في السيطرة وامتلاك كل شيء .

لم يكن جيشاً ذا أسلحة مثلما تملكون، كانت أسلحتهم قوتهم الشخصية، فالأسود كانت قوتهم تكمن في مخالب وفك فتاك، والشبانزي كانت قوته العضلية لا يضاهيها شيء، أما التماسيح فقوة جلودهم تجعلهم منعين وكانوا أيضاً محصنين بفك قوي، والفهود للهجوم المباغت، ولكن بقت مجموعة الأسود هم أصحاب القيادات العليا في الجيش، فالجميع يحن لأصله.

كانت الحيوانات تواصل الاكتشافات العلمية المثيرة بخاصة في مجال الطب، فبرع الكثير من الحيوانات في معالجة المرضى، وفي إنتاج أدوية للكثير من الأمراض التي كانت تؤدي بحياة الحيوانات، جراحات، عقاقير، كان شيئاً غريباً.

كما برعت مجموعة من الحيوانات في السحر، فاستغلوا الجهل في تحقيق المكاسب، ولكن بعض السحرة لم يكن كاذباً بل كان ساحراً له قوة يستطيع عمل الكثير من الأشياء، لذلك كانت المجموعة المقربة من (الأسد) تحتوي على الكثير من الأطباء والسحرة وذوي القوة المفرطة.

حاشية الملك كما أطلقوا عليها، الذين تمتعوا بكل شيء، الذهب والسلطة وكل شيء، تربي بينهم (الموعدود)، فمن ينبت في بيئة مثل تلك أيُّرجى منه خيراً؟!!

طلب (الأسد) من مجموعة الأطباء بمساعدة السحرة إنتاج شيء يتغذى عليه (الموعدود) يجعله أشد قوة وبأساً، فجاء الأطباء بحليب جميع الحيوانات وخلطوه مع تركيبة من قبل السحرة مكونة من أعشاب برية أنتجت خليطاً متكاملًا يليق بـ (الموعدود)

تغذى وكانت نتائج الخليط أكبر مما توقعوا، فكان جسده ينمو بسرعة، كما كان لديه تناسق في البنیان ورثه عن أبيه، وبالقليل من التمارين كان عداد القوة عن آخره، كما تعلم الطيران واستخدام مخالبه، أصبح قوة ضارية.

خاض الكثير من المعارك التي شنها والده على القبائل المجاورة، وكان شر خلف لشر سلف!

تربى بين مجموعة لا تعرف الرحمة، وزادت المعارك التي خاضها من تحجر قلبه.

هرم (الأسد) ولكنه لم يكف عن القتل، لم يرحم أحدًا ممن حاربهم، لكنه رأى أن دوره إلى هنا انتهى، ولا بد من خليفة له من صلبه يُكمل المسيرة، مسيرة مليئة بالدماء والألم.

استمر (الموعود) في قيادة الجيش وغزو القبائل إلى أن حانت اللحظة التي انتظرها، تنصيبه ملكًا، وبعد مراسم حافلة استمرت لعدة أيام، أصبح (الموعود) ملكًا للإمبراطورية .



رسائل النائب

في وسط تلك الأحداث، جاءت معلومات لـ (النائب) تقول إنه سيتم قتله على يد (القائد)، فأخذها على محمل الجد، وقام باستدعاه على الفور، بحجة أنه سيقوم بتنفيذ عملية جديدة، وحينما جاء وجلسا في المكتب الخاص بـ (النائب)، دخل مجموعة من الجنود المسلحين وقاموا بالقبض على (القائد)، كان في حالة من الذهول، وثار غاضباً فيهم، قائلاً: "أنا قائدكم يا مجموعة من الأغبياء، مالكم لا تطيعون أمري؟!"، لكنهم لم يعيروه اهتماماً، لأن الأوامر كانت واضحة، اقبضوا عليه وكبلوه وانتظروا مني الأمر.

تم تنفيذ كل شيء، وبقي الأمر من (النائب) بالخطوة التالية، لكن (القائد) كان يصر على الحديث قائلاً: "لماذا تفعل هذا معي، أنا الذي ساعدتك في الوصول لما أنت فيه، نفذت لك الكثير، والآن تقوم بالقبض عليّ؟!".

فرد (النائب): "اخرس يا خائن، أتتني معلومات تقول إنك تخطط لقتلي، وهذا عقاب الخائنين".

تعجب (القائد): "من الذي أخبرك بتلك المعلومات؟!".
لكن (النائب) لم يخبره، ولم يجبه بعد، فقد أمر الجنود بتكميمه
ليمنعه من الحديث أكثر من ذلك.
في أثناء ذلك كنت أنا على رأس فرقة تقوم بتفتيش غرفة (القائد)،
وأثناء ذلك وجدت تلك المذكرات على مكتبه، فأخفيتهما عنهم وأخذتها.
عدت إلى (النائب) لأخبره بأن التفتيش تم ولا يوجد أثر لشيء
مريب، فأمرهم بأخذ (القائد) إلى المختبر في القصر، بعدما نزلوا أمرهم
بالدخول إلى غرفة الاختبارات، تلك الغرفة المليئة بالعينات، وفيها
قفص زجاجي كبير به مجموعة من المصايين، أمرهم بالصعود على
الدرج، فصعدوا وأصبحوا فوق القفص، أمسك الريموت كنترول
وفتح القفص من الأعلى، أصبح بين (القائد) والمصايين لا شيء، أخذ
يصرخ من وراء الكمامة، كان صوتًا مكتومًا لكنه يدل على الفزع، كما
كانت نظرة المصايين له نظرة الجائع للحم طازج، تنبعث منه رائحة
التوابل اللذيذة، ويإشارة منه كان (القائد) يسقط في القفص، وبدأ الحفل
للمصايين، انهالوا عليه يقطعونه نساء نساء، كان فزعًا، لكن سرعان ما

تحول الفرع إلى سكينته، لم يبق منه شيء سوى بقع دماء، وبصمات كفه
على الزجاج.

مات (القائد) على يد من ساعده، مات قبل أن يغدر، مات وفي
رقبته الكثير من الدماء.



مذكرات القائد

تم حرق كوب القهوة الخاص بـ (الرئيس)، لأنه إن حُلل سيكتشوا جريمة القتل، وما أبسط أن تُخفي دليل إدانة في القصر! وما أيسر أن تخرج من جريمة دون أن يلحظ أحد!

لم يتغير أي شيء، واستمرت عمليات الاغتيال كما هي، على نفس النهج سارت، ولكنه كان أذكى من (الرئيس) لذلك كان يصعب توقعه، كما كان يصعب رفض طلباته، لأنه يحاصر ك من جميع الجهات.

بعد فترة قصيرة من حكمه للبلاد اندلعت الاحتجاجات في كل مكان، استشعرت الناس خطره عليهم، لذلك ذهبوا إلى ميدان الاحتجاج وطالبوه بالرحيل، كنت سعيداً أنه يواجه تلك المشاكل، وكنت أسعد حينما أفكر في إمكانية نجاحهم في إجباره على الرحيل، لكنه كان لاعباً ممتازاً، يستطيع اللعب بالأحداث وقلبها لصالحه بحركات بسيطة.

نشر الوباء في الميدان، ويأتي دوري أنا في الدخول بالقوات المحاصرة للميدان وقتل كل من فيه، وبالفعل سارت الأمور كما خطط،

إلا أننا واجهنا مشكلة أن الفيروس ينتقل عبر الهواء وإصابة الكثير من الجنود جراء عضهم من المصابين، نفشى الوباء بين الجنود وفشلت خطة الاحتواء.

هنا قام (النائب) باستدعائي على وجه السرعة وأمرني بأخذ فريق من الجنود وأن أحضر مخترع الفيروس إلى القصر حياً في أسرع وقت. بالطائرة كنت في المكان المحدد، اقتحمت منزله فوجدته جالساً مع أحدهم، نظرت في الصورة التي أعطاها لي (النائب) لأتعرف على المخترع، أشرت إلى الجنود ناحيته، لكنني فوجئت بالجالس معه يتحدث بأمور كثيرة بأننا قتلة ومناصب زائلة وأشياء من هذا القبيل لم أكن أملك الوقت لأسمعها، فأسكته برصاصة في رأسه.



مذكرات العالم

طلبت من (المستشار) أحد المصابين حتى أُجرى عليه الاختبار، أحضر لي شخصًا هرمًا، وصل مرحلة متأخرة من الإصابة، كان مُحدراً، نائمًا في نعيم مؤقت، فقريبًا سيستيقظ ليعود له الألم الرهيب.

كنت أتمنى النجاح في التجربة، ليس لهدف شخصي على قدر ما هو هدف إنساني، كنت أتمنى إعطاء البشرية قبلة الحياة، كنت أتمنى.

جهزت الترياق، حقنته به، وانتظرت، مرت نصف ساعة والإشارات غريبة، كانت النتائج شيئًا مثيرًا للاستفهام، لذلك آثرت الانتظار حتى تمر الساعة كاملة، وهي المدة التي يأخذها الترسيب بصورة كاملة.

لكن بعد مرور الساعة ظلت النتائج كما هي، وحينما تفحصت التفاصيل على الشاشة أصابتنى خيبة الأمل، فالشيء الغريب هو أن الترياق حينما دخل جسم المصاب بدأ جهاز المناعة بصدده، ومن ثم القضاء عليه! والذي تبقى انتقل له العدوى من جديد، لم أفهم لماذا تغلب عليه جهاز المناعة! لكن ما كان جليًا أن الـ (M.R) فشل.



رسائل النائب

بعد رحلة قصيرة إلى الغواصة عدت إلى الأنفاق، كانت رحلة قاسية، فما رأيته لا يوصف، وإن وصفت فلن أوفيه حقه، فالأوضاع مأساوية في الخارج، ذهبت إلى الغواصة عن طريق المروحية، كانت رحلة خطيرة لأن الأحوال الجوية غير مستقرة، لكنها رحلة لا بد منها، ومن يهيمه حياة أحد في هذه الأيام!؟

كان الوضع باديًا من ذلك الارتفاع، فالأمطار مازالت تتساقط بغزارة، والأرض غُطيت بالكامل بالمياه، والمباني الباقية بدأت تنهار، لم يصبح ذلك الوجه المألوف للأرض، أصبحت مشوهة.

وضعت كافة العلوم والتكنولوجيا التي توصلنا إليها في صناعة تلك الغواصة، كانت تحفة فنية، كانت إنجازًا في زمن لا يهيم فيه الإنجازات!

لكنني أظن أنها ستساعد البشرية أو ما تبقى منها في الخروج من هذا المأزق، لأنها مزودة بتقنيات تسمح لها بالغوص لأعماق لم نصل إليها من قبل، فقد يكمن الحل في الأعماق، لا ندرى فنحن نبحث في كافة

الأرجاء، كما زودت بتقنيات تجعلها تسبح بسرعة عالية جدًا، لتعبر مساحات شاسعة في وقت قصير، فهي الآن تسبح في أعماق المحيط وعلى متنها مجموعة من الجنود والعلماء، الذين يعملون على دراسة الوضع من كافة الاتجاهات، كما أنذرنا العلماء على الغواصة، أنه حسب الدراسة التي أقاموها أن الأمطار ستكف عن الهطول قريبًا، ولكنهم قلقون حيال أمر آخر قد يكون أخطر من الأمطار.. الرياح.



رسائل القرد للدكتور

تربى على أنه الواحد، لا مثيل له في الشكل، لا تُضاهي قوته قوة، لا يقدر عليه أحد، حتى الموت لم يتمكن منه مثلما تمكن من كل الأجنة التي سبقته وتلتته، أحس بالكمال ولم يتفقد النقص في نفسه.. فدام ناقصًا.

إن النفس لأماراة بالسوء، فلم تتركه إلا متخذًا لقراره، أمر بقتل والديه!

فجاؤهما ليلاً وهما نائمين، كبلوهما، وذبحوهما بالسكين، فما كان من جزاء إلا ذلك الجزاء لـ (الأسد) الذي قتل وعاث فسادًا، يتم الكثيرين، وجعل الدماء أنهارًا، كَوْن أول جيش وخاض الحروب، فمن قتل يُقتل ولو بعد حين، كان (الموعود) شاهداً على القتل فحينما ذبحوا والديه انحدرت دماؤهم، كان يقف هو على أرض منخفضة بعض الشيء، لذلك تكونت بركة من الدماء تحت قوائمه، وكأنها تريد الانتقام من خيانتته، أو أنها تنذره عاقبة مخزية!

شطب كل النقوش الجدارية التي تذكرهم، وقتل أي حيوان شهد على مولده، كانت الدماء أنهارًا، وكانت الإمبراطورية في حالة من الرعب، فجميعهم على ميلاده شهود! لكن داء النسيان كان منقذًا، ادَّعوا أنهم لا يذكرون شيئًا من هذا، ومنهم من ألف الحكايات عن أنه هبط عليهم من السماء حينما كان طفلًا، كان كائنًا نورانيًا، جاء من السماء العليا لينقذهم من التهلكة، وبدأوا بنقش تلك القصص على الجدران، وتحولت من قصة إلى شيء مسلم به، ولم يكتف بذلك بل أمر بقتل الحاشية التي كانت حول (الأسد)، وأبدلهم بمعاونين جدد، يدينون له بالولاء والطاعة .

وطد حكمه، جمع جمعه، وقال في الملأ جهورًا: "أنا ربكم فاعبدون!"



مذكرات القائد

أصبح وباءً منتشرًا، وتحصّنا في القصر، وكنت أشرف على التأمين، لأن هفوة صغيرة ستكلفنا الكثير، كنا نفقد جنودًا يوميًا، من مات، ومن أُصيب بالمرض، ومن فُقد ولم يُستدل عن مكانه، كانت المؤشرات تشير إلى الأسوأ.

لكن في وسط هذا التشاؤم ظهر شيء أثار في نفس كل من في القصر الأمل، كان ضوءًا ينبعث من نهاية نفق مظلم، فقد نجح أحد العلماء في القصر في إنتاج مادة أسماها (MIND RECOVERY) ، وقال إنها ستعمل على إعادة ترسيب القشرة المخية مرة ثانية، مما سيترتب عليها إعادة العقل للإنسان من جديد، وقال إنه أجرى تلك التجربة على قرد وأنها نجحت في ترسيب قشرة مخية لذلك القرد الذي أصبح عاقلًا مثلنا تمامًا.

في تلك الأيام توترت علاقتي مع (النائب) بصورة واضحة، لم تكن الأمور على ما يرام، كنت أبغضه، لذلك رفضت أن يكون على يده أي إنجاز يذكر، فدخلت إلى المعمل الذي كان فيه (القرد) وقمت بفتح القفص والنافذة له، وهو لم يتردد في الهروب.



رسائل النائب

غمرت المياه الكثير من الأراضي إلا المرتفعات، كان الكوكب عبارة عن محيط كبير ولم يبق إلا أجزاء قليلة في مأمن بعيد عن تلك الأمطار الغزيرة، لذلك كان ملاحظاً هروب بعض الحيوانات إلى المرتفعات، لكن من بقي منهم على الأرض كان في عداد الغرقى، لم ينبج أي شيء، بشر أصحابهم ومصابون، أشجار لم نر لها أثرًا لأن المياه غمرتها، حيوانات لم تهرب مثلما فعل أقرانهم، لا شيء سوى الماء، ولكن هناك أمرًا أخطر أخبرنا به العلماء على الغواصة، جعل قلوبنا تحفق، وأطرفنا ترتعش، سيكون هناك زلزالاً مدمراً! هكذا كانت الرسالة منهم، وكأن الأرض لا تريد أن ترحمنا، وكأنها سئمت تكبرنا وغطرستنا، وكأنها انتظرت الأمر بقتلنا منذ زمن، وها هو جاء.

اختبأ الجميع في الأنفاق، ودعونا ألا تسقط علينا أثناء الزلزال، وجاء الزلزال المدمر، كانت هزات عنيفة، لم نر مثلها من قبل، وتبع تلك الهزات موجات تسونامي جارفة، فالمصائب لا تأتي فرادى.

حتى الغواصة لم تقو على مقاومة تلك الهزات والتسونامي، كاد كل شيء أن ينتهي، ولكننا نجحنا في المحافظة على كل شيء، لحكمة لا نعلمها، أداروا محركات الغواصة بأقصى سرعة، وساروا بها عكس التيار الجارف، وبمعجزة نجت الغواصة من حتمية التحطم.

الوضع على الأرض كان مختلفاً، فلم يبق شيء لم يُجرف، لم يبق منزل لم يُهدم، لم يبق من المعالم على الأرض شيء، تغير وجه الأرض الذي ألفناه، وأصبح وجهاً آخر، وكأنها عملية تجميل لعينة!

كانت ولحسن حظنا فترة قصيرة، لكن على السطح كان لها بالغ الأثر، فحينما صعدت على السطح وجدت أن كل شيء مجروف، لم يبق من المباني إلا قليلاً مهدماً، والقصر أيضاً كان مهدماً بشكل كبير، لكن بقي منه جزء بسيط، وبعد ذلك جاءت فترة جفاف كبيرة، حتى ظننا أن الأوضاع ستستقر، لكن جاء التحذير واضح من العلماء على متن الغواصة، هناك فترة عواصف شديدة.

عادت الأرض كما كانت قبل الأمطار، رأينا السطح مرة أخرى، وبدأت النباتات بالنمو، ولكن هذا كان الهدوء الذي يسبق العاصفة.



رسائل القرد للدكتور

خروا له سُجَّدًا، ولم يبق في الجمع واقفًا، مهابة بطشه الشديد، فمن
ذا الذي سيجرؤ على الحديث بغير ما يشتهي (الموعود)، برغم أن جميع
الحيوانات على علم بما حدث، لكنهم قالوا لم نشهد على الميلاد، وتناسوا
أنه حيوان مثلهم، أمثلكم تسجدون؟!!

أصبح له كهنته، وأصبحت عبادته هي الديانة الموحدة في
الإمبراطورية، فلم يكن يُسمح بعبادة شيء سواه، ولم يكن يُسمح بترك
عبادته والإلحاد، فكان (الكاهن) على رأس السلطة الدينية، التي كان لها
مكانة لم يملكها أحد سواهم، فكانوا هم المروجين للدين الجديد، وكان
لهم من الخيرات نصيب وفير، وأغرقوا العامة بالشراب.

أصبح للبلاد إله معلوم، وكانت هذه هي المرة الأولى التي نضطلع
فيها على مثل هذه الأشياء، كنا نعيش في حالة من الجهل، والآن نتحدث
عن دين جديد!

تغني الكهنة بمن يُطعم ويُسقي، ومن يحمينا من شر الحيوانات
الأخرى، إلههم المزعوم.

بنوا المعابد، واكتظت بالزائرين وأصحاب المسائل، فمن يريد الرزق ومن يريد الإنجاب، سبّحوا بحمده آناء الليل.. فكان نائماً! وأطراف النهار.. فكان متكاسلاً! ولم يفكروا أنه مثلهم، واستمروا في العبادة العمياء، واستمر الكهنة في حقنهم بالسموم، وقص عليهم حكايات خرافية عن صعوده السماء، تقسيمه للأرزاق، قضاؤه على الشرور المحيطة بهم، فكان العامة يصدقون، تدمع أعينهم لأن لهم إلهًا كهذا، يخاف عليهم من الشرور، يعرض نفسه للقتل في سبيلهم، وكأن إله يموت!

طلب الكهنة من العامة تقديم القرابين، وكلما قدم الفرد قربانًا كبيرًا كانت حاجته مقضية أسرع، فقدموا ما لذ وطاب من الأطعمة، فسمن الكهنة، وامتدت بطونهم أمامهم حتى ظنوا أنها ستنفجر!

بنوا لـ (الموعود) التماثيل في الساحات، وفي المعابد، فكان العامة يصلون أمام تلك التماثيل، راجين أن يشملهم عفوه ورحمته!

عاشوا في حالة من الإيمان المطلق بإلههم، ذلك الذي يدّعي أنه يُمسك السماء أن تقع على الأرض.. ولا يمسك نفسه عن التبول!

عاشوا في حالة من الظلام الدامس، غطى ضباب الجهل عقولهم
الفارغة، إلى أن ظهر من يدّعي أنه رسول، رسول من إله آخر غير الذي
يعبدون، إله أحق بالعبادة من أي شيء سواه، الله الواحد القهار.



مذكرات العالم

لكنه نجح على (القرد)، كان يومياً يثبت أنه يمتلك قشرة مخية تقوم بعملها كأى إنسان، كان لديه منطق وذكاء، لكنه كان في حالة صدمة لرؤيته البشر، وكأنه أول لقاء يحدث بيننا!

ظل لغزاً، قضاء جهاز المناعة على الترياق، لذلك قررت التعمق أكثر بالدراسة، أثناء ذلك علم (المستشار) بالذي حدث، وحدثني أنه سيخبر (النائب) بكل التفاصيل، وبرغم أنني طالبته بالتأني والصبر، إلا أنه قال إنها أوامر من لا يُعصى له أمر.

قمت بالدراسة المتأنية، ووجدت الحقيقة التي كنت غافلاً عنها، فأنا حينما قمت بالتعديل الجيني للفيروس تم ظهور عيب فيه لكنني لم أنتبه إليه، أصبح أضعف من ذي قبل، وحُلت الأحجية بالنسبة للترياق، فجهاز المناعة لدى الحيوانات أضعف من مثيله عند الإنسان، وهذا

يفسر سبب عمله على (القرود) وعدم عمله على الإنسان، لذلك قررت أن أقوم بتعديل آخر يزيده قوة.

وفي أحد الأيام جاءني (المستشار) يخبرني بأن (النائب) يريد مقابلي، ذهبت ووجدته يتحدث معي بغضب شديد، ينهرني، ويتهمني بأنني أضعت الوقت والجهد في شيء ليس ذا نفع، وأعطاني أمر صعب، أن أقوم بتشريح (القرود) حتى نفهم الترياق بصورة أفضل، ونستطيع القيام بالأفضل، لكنني قلت له إننا إن راقبناه حيًا سنفهم الترياق بصورة أكبر، ولكنه قابل حديثي بغضب شديد، وأمر (المستشار) أن يقوم بالأمر، وإلا فلن تكون العواقب محمودة.

كنت شديد التعجب والغضب، كيف نقتل ذلك الاكتشاف العظيم، كيف نقوم بؤاد تلك الطفرة، حتى وإن فشلت التجربة على الإنسان فإن نجاحها على الحيوانات سيكون دافعًا لنا للاكتشاف، والأمر لن يطول حتى نتمكن من زيادة قوته ومن ثم نجاحه على الإنسان، لكنه الجهل.

ولكنني حينما عدت إلى المختبر أنا و(المستشار) لم نجد (القرد) في

مكانه!

اختفى وكأنه لم يكن، وكانت النافذة مفتوحة، مما يدل على أنه

هرب! ولكن كيف؟! هل أصبح بهذه الدرجة من العقل والمكر!

أخبر (المستشار) (النائب) بما حدث، ومن دون مقدمات اندفع

غاضبًا وطلب لقائي أنا و(المستشار)، لا أعلم ما سيدور في هذا اللقاء،

لكنها لن تمر مرور الكرام.



رسائل التائب

عواصف عاتية، اقتلعت الأشجار وجرفت الأراضي، هدمت ما تبقى من المباني إقليلاً، كان القصر كما هو باق، لكن أجزاء قليلة منه فقط، دفنت الرياح كل شيء تحت الرمال، أصبحت الأرض عبارة عن صحراء كبيرة، لم يبق من الحضارة البشرية شيء، سوى ذلك الجزء البسيط من القصر اللعين.

أرسلت لنا الغواصة صوراً للأرض أثناء العاصفة، كانت الرؤية صفراء غير واضحة من كثرة الرمال المتطايرة، من الواضح أنه لم ينج شيء من العاصفة، لا شيء سوى الرمال.

استمر هذا الحال بضعة أشهر، وحينها هدأت الرياح، وأخبرنا العلماء على الغواصة أن الأمور ستهدأ وتعود لما كانت عليه، ظهر شيء آخر أصابنا بالخير، ظهرت تجمعات للحوانات، لا نعلم كيف استطاعوا النجاة، وأين اختبأوا، لكن الأيام ستكشف لنا الغموض.



رسائل القرد للدكتور

كان حصاناً، لا يضاهيه في الجمال حصان، كان ذا جسد قوي وبنيان متناسق، وكان ذا نسب معروف بأصلاته، فما كان أحد لا يعرفه، وإذ به يقول: "أنا من عند الله رسول، فاطر السماوات والأرض وهو على كل شيء قدير".

كان القوم مستغرقين في تقديم القرابين وفي الإنجاب والتجارة، فما كان منهم إلا يكذبون، وينعتون (الرسول) بالمجنون، لكن كان هناك مجموعة تصدقه وتؤمن بما جاء به، لكنهم كانوا يخشون عذابه الشديد، يعلمون أنهم إن كُشفت نواياهم سيكونون عبرة للقوم، فأخفوا ما في صدورهم عن العامة.

لكن هناك من آمن به، هناك من صدق ما جاء به، كان يتحدث عن جنة ونعيم، كان يتغنى بإله رحيم، ولكن لم يؤمن معه إلا قليلين.

سعى في القوم، يُنذرهم عذاب يوم عظيم، ويحذرهم من عاقبة كالتي حدثت للقوم السابقين، ذلك القوم الذي سُلط على نفسه، جزاء مما صنعت أيديهم، قوم كانوا أكثر منكم عقلاً، وأكثر تقدماً، لكن لم

يمنعهم التقدم من الهلاك إلا قليل، فبقى منهم جماعة متوارين عن الأنظار، كانوا سفاكين للدماء، منتهكين للحرمات، مالكم تريدون أن تكونوا مثلهم؟! فما كان للقوم إلا يستكبرون.

قالوا هذا ما وجدنا عليه آبائنا الأولين، وهذا ما عهدناه في الصحف، وقصص (الموعود) بداية من مولده إلى صعوده للسماء وتقسيمه الأرزاق، كانت هذه هي حجتهم، القصص!!

سألهم: "أرأيتم له معجزات؟!"، فقالوا شكله وحده معجزة، فقال لهم: "إني برئ مما تشركون"، فما كان على (الرسول) إلا البلاغ، فهو لن يمنعهم من الكفر، ولن يهديهم إلى الرشاد كرهاً.

(الكاهن)، وما أدراك من (الكاهن)، الشر الكامن، الذي أضل الخلق وأغرقهم، في بحور الرزيلة المسكرة، فلا آمن ولا صدق، وتمادى في الكذب والتكبر، فأضل وضل.

كان شديد العدا لـ (الرسول)، كان كائناً حاقداً، يعلم أنه الحق، لكنه يستكبر، فقال لـ (الرسول): "إلى ماذا تدعو العامة؟".

فقال (الرسول): "أدعوهم وأنتم إلى عبادة الله خالقكم وإليه تُرجعون".

فرد (الكائن الأسطوري) مغتاضاً: "ويحك، بل نحن الخالقون."
فقال (الرسول): "غرتكم الحياة الدنيا، بل أنتم قوم تجهلون."
فقال (الكاهن): "فاجعل بيننا لقاءً في مكان معلوم."
فقال (الرسول): "موعدنا أمام المعبد الكبير، وليعلم العامة من منا
الصادق ومن هم الكاذبون."

فنادى منادى في العامة، فحُشروا في ميقات معلوم.
فوقف (الموعود) على مكان عالٍ، وقال للقوم: "ما علمت لكم من
إله غيري، وهناك من يدعو إلى إله آخر لا تروه."
فنظر لـ (الكاهن) وأكمل الحديث موجهاً كلامه لـ (الرسول):
"متى كان ربك؟!!"

فقال (الرسول): "ومتى لم يكن؟! فهو كان ولا مكان، وهو على ما
كان قبل خلق المكان، علم ما كان، وعلم ما يكون، وعلم ما لا يكون لو
كان كيف كان يكون، فهو الأول فلا شيء قبله، الآخر فلا شيء بعده،
الظاهر فلا شيء فوقه، الباطن فلا شيء دونه."
فأخذ (الكاهن) زمام الحديث حينما رأى أن ملكه سيُهزم: "وهل
رأيت ربك؟!!"

فقال (الرسول): "وكيف أعبد ما لا أرى؟!".

فقال (الكاهن): "وكيف رأيت ربك؟!".

فرد (الرسول): "إن كانت العيون لا تبصره فإن القلوب تعرفه، فنحن معشر الحيوانات، نرى الصور بطرق مختلفة، فمننا من يرها باللون البنفسجي، ومننا من يرها باللون الأحمر، ومننا من يطغ على رؤيته اللون الأخضر، إننا لا نجتمع على الرؤية الواحدة، فكيف سنجد قانونًا موحدًا للشكل واللون، وكيف نتحدث عن ماهية خالق ونحن أصناف وأشكال مختلفة! "

سأل (الكاهن) (الرسول) أمام الجمع: "من خلق السماء؟".

فقال (الرسول): "الله".

فأتبع (الكاهن) قائلًا: "ومن خلق الماء؟".

فقال (الرسول): "الله".

فأتبع قائلًا: "ومن خلق الأرض التي نقف عليها؟".

فرد (الرسول) قائلًا: "الله".

فقال له: "ومن خلقتك وخلقني".

فقال: "الله".

فقال (الكاهن): "إذن من خلق الله؟!"، اتسعت الحدقات،
وازدادت ضربات القلب، وخشى العامة أن يتنفسوا حتى لا يُشوش
التنفس على سمعهم فيفوتهم حرف مما سيلي .

فنظر (الرسول) إليهم نظرة الواصل، وقال: "سأحدثكم بما
ستكتشفون في المستقبل، لكل شيء علة لوجوده، فسبب وجودي الآن
أن أبواي تزوجا، فأنجباني، كذلك (الكاهن) و(الموعود)، لكن
ستسألني إذن وعلى حديثك أن لكل شيء علة وسبب، إذن ما السبب
الذي أوجد الله، سأقول إن العلة تنطبق علينا نحن المخلوقات، فالله هو
الخالق، وليس كمثله شيء، فمثلاً إن كان هناك نجار يصنع باب، هل
للنجار نفس الصفات للباب؟، بالتأكيد لا، فالنجار ينام والباب لا ينام،
النجار يتزوج والباب لا يتزوج، النجار يشعر والباب لا يشعر، هل من
الناحية التكوينية النجار مثل الباب؟! بالتأكيد لا فالباب مصنوع من
خشب ومسامير وطلاء، أما النجار فمن لحم وعظم ودم، للنجار إرادة
حرة، أما الباب فليس له إرادة، كذلك الله الخالق، لا ينبغي لشيء أن
يكون مثله، فنحن نقع في فخ الإدراك الناقص، فنقيس القدرة الإلهية
على القدرات التي نملكها، نتخيل الإله له عينيّن ولسان وأنف، لكنه

أضخم منا، هذا خطأ وهذا ما يوقعنا في الشك، فالله لا مثيل له في كل شيء، فكان ولا شيء غيره، لا مكان ولا زمان، فنحن مخلوقات محكومة بزمن، أما الله فهو خالق كل شيء، مكان وزمان ومخلوقات"، ثم صمت فترة قصيرة وسط ذهول الجمع وقال: "لكنني سأثبت لكم صدقي وصدق نبوتي، وسأنبئكم بما سيحدث غدًا بإذن الله"، ووجه النظر والكلام إلى (الموعود): "ستصحو في الغد على موت خادمك، التي ستُدفن في أرض ذات لون برتقالي، قبل مغيب الشمس، ذلك ميعادها." فخطب (الكاهن) الحشد قائلاً: "إذن البينة على من ادّعى."



مذكرات القائد

في اليوم التالي سمعت أن (النائب) يتهم (العالم) و(المستشار) بأنهم هم من هربوا (القرد)، وأنهم سيلاقون جزاءهم، لذلك أمرني بأخذهم إلى مكان بعيد عن القصر وقتلهم رميًا بالرصاص، وألا أقوم بدفن جثثهم وأتركها تتعفن في العراء.

اقتدتهم مكبلين، لا مفر من مصيرهم المحتوم، القتل هي اللغة التي نفهمها الآن، لا شيء يحل المشاكل سوى القتل، كذلك تعلمت.

وصلنا إلى وجهتنا، المنازل غير الآمنة، كانت أصوات الصراخ تحيط بنا من كل الجوانب، وهنا استشعرت أن (النائب) أرسلني معهم وحدي حتى ألقى حتفي معهم، مصاب أو مأكول، ياله من بغيض.

أخرجت المسدس، وأمرتهم أن يجلسوا على ركبتيهما، كانوا مكممين ومعصومين الأعين، لذلك أزلت الغمامة التي على أعينهم حتى يتسنى لهم رؤية آخر لحظات حياتهم، كانوا يبكون وينتحبون، طالبين الرحمة، لكن ما معنى الرحمة؟!!

يقسمون أنهم أبرياء من تهريب (القرد)، ولكن ما الجديد أيها الأغبياء، أنا أعلم أنكم أبرياء، لم أفكر كثيرًا ولم أترك نفسي هكذا لأن

الوقت هنا من ذهب، فدقيقة يمكن أن تكون سبب في نجاتك من الموت.

وجهت المسدس إلى رأس (العالم)، وجدته يصرخ! اللعنة ألا تعرف أن تموت مثل الرجال؟! وجهه مليء بالمخاط والدموع والعرق، لذلك لم أحتمل ذلك الهراء، وقمت بضربه برصاصة في رأسه، كانت هذه الرصاصة كفيلة أن تُخرسه وتُريحني من إزعاجه.

(المستشار) ذلك الرجل المهيب، حينما سمع صوت الطلقة ورأى الدماء خر مغشياً عليه، اللعنة على الجبناء، قتلته هو الآخر ورحلت دون أن أدفنهم كما طُلب مني.

وكانت تلك هي (العملية 89)، وهو الآن يقول لي إنه يريدني أن أنفذ عملية جديدة (العملية 90)، لا أدري لماذا أكتب الآن، فلأول مرة أدون ما حدث، وأعترف بكل ما أجرمت فيه، لا أدري.. لعلها نهايتي!



رسائل النائب

كان شيئاً عجيبيّاً قدرتهم على التفكير والبناء، أصبحت لهم قري، أصبحوا تجمعات، وأصبح لهم قائد يطيعون أمره ويمثلون لما يقول، لم نفهم في البداية سبب هذا التغير، هل نتوهم أنهم منظمون؟!

كنا نمكث تحتهم، نراقبهم وهم عنا غافلون، وكان هناك بعض الحيوانات ممن أرادوا أن يسكنوا ذلك البناء الغامض، القصر، ولكنهم حينها يدخلون نراقبهم، حتى تحين اللحظة المناسبة ونهجم عليهم، نخدرهم ومن ثم نقودهم إلى أسفل القصر حيث المختبر، لنقيم عليهم التجارب ولنفهم الذي حدث.

أجرينا العديد من التجارب عليهم، كانوا فزعين منا وكأنهم لم يرونا من قبل!

كانت التجارب تشير إلى شيء واحد لا غير، لذلك اضطرنا إلى تشریحهم للتأكد، ولكن أيضاً التشریح كان يشير إلى جهة واحدة، نفس الجهة التي أشارت لها التجارب، أصبح للحيوانات عقل!

غير ممكن ما اكتشفنا، ولكننا بحثنا أيضًا عن السبب الذي أدى لتلك الطفرة غير العادية للحيوانات، فوجدنا أنه الـ (M.R) ، ولكن غير ممكن.

صحيح أن الطفرة تُحدث تغييرًا في خصائص الفيروس وتحوله من آكل إلى مُرسب، ويبقى الكثير من الخواص الأخرى، كالانتقال عن طريق الهواء، فتحدث عدوى، وما أثبتته أيضًا الدراسات أن كل هذه الحيوانات أصابتها عدوى الـ (M.R) ، ولكننا لم نستطع معرفة كيفية تسرب الـ (M.R) من مختبرنا!!



رسائل القرد للدكتور

تفرَّق الحشد، وهم في حالة من الشك، في معتقداتهم التي ورثوها عن آبائهم، وفي (الرسول) إذ لم يسلم من الشك، فنال نصيبه الوفير منه، فكان العامة لا يثقون في ملكهم وكاهنه ولا في الذي يدَّعي النبوة، وهم هكذا كانوا على الطريق الصحيح، فالشك يكون من نتائجه المعرفة، فإن أمنت عن معرفة لن يزعجك عنها أحد من كان، وإن كان إيمانك ضعيفاً فرياح خفيفة من التساؤلات ستقتلع جذور فكرتك السطحية.

عاد (الموعود) إلى قصره وكاهنه معه، كان لا يشوبه الشك، فجنون العظمة اعتلاه، مضاجعاً عقله السقيم! لم يأبه بما قاله (الرسول)، ومارس حياته الطبيعية، يوم جديد في حياة رغيدة، نسي ما قيل على لسان (الرسول) ونام.

رأى أنه في مملكة شاسعة، لا يضاهيها في الاتساع ممالك، وكان جمالها يسر الناظرين، حدائق وأشجار ومبان من ذهب وفضة، وشمس منتصف اليوم تزيد المملكة جمالاً وتألؤاً، كان يقف على بناء عالٍ، كان مكون من سبعة طوابق، وكان مصنوعاً من الخشب، لم يكن يماثله في

علو المقام مقام، وفجأة أصبح أذق الهمس، ويرى أبعد الصور، فكان سميعًا بصيرًا! شعر بأنه أكثر قوة وأعظم قدرًا، حتى أنه إن انتهى شيئًا فيقول له كن فيكون!! فوسوست له نفسه، قالت إنك إله متعال، أنت الخالق وما خالق للخالق، ففعل ما فعل، وما أدراك ماذا فعل، شرد وقتل، ثم استكبر وعصى، ولم يقدر عليه أحد، وحسب أن لن يقدر عليه أحد، حتى ظن أنه خالد عصي على الموت.

أُعطي من القوة ما جعله يستحقر قوته التي كان عليها، وفي ذروة عظمته ومجده وجد مجموعة من النمل، اقتربوا من قاعدة بنائه الخشبي، رآهم من هذا الارتفاع فهو بصير، لكنه لم يأبه بهم ونظر لهم نظرة احتقار، فهم من الضالة أكثر من أن يتبته لهم، وحسب أن لن يقدر عليه أحد!

مروا من تحته، فكانوا هم الأسفلون وهو المتعال، هم الضعفاء وهو الجبار! وإذ بهم ينخرون في قاعدة البناء الخشبي، وإذا بالبناء يترنح!! يمينًا ويسارًا، للأمام وللخلف، وإذ بسمعه وبصره يعودا لما كانا عليه

من الضعف، وإذ بقوته تذهب، ومملكته تنضغط وتتفتت، ذهب ذهبها،
واختفت فضتها، ذبل شجرها وتناثرت في الهواء بقايا حدائقها، وهو كما
هو يترنح، إلى أن هوى، فسمع وهو يهوى نملة تقول: "جاءك الحق فلا
تتكبر، وتلك عاقبة المتكبرين"، فاستيقظ فزعاً على صراخ!



مذكرات الدكتور الشخصية

استرجعت من الذاكرة ما كان يؤلمني، كان قلبي مغلقاً لسنين، والآن أبوابه تُفتح، تصدر صريراً مزعجاً لطول الفترة التي أُغلقت فيها، تتساقط الأتربة مكونة تلال أمام الباب، هذا المكان كان مهجوراً، لم يزره أحد منذ سنين طويلة، حتى ظننا أن لا أحداً سيسكنه، سيظل كما هو، مغلق على بعض الذكريات القديمة التي ستشوه ذكراها بمرور الزمن. كان للحب تأثير الخمر على مدمنها، أسكرني ووضعني في اللاوعي، فقدت رزائتي، تكشفت عيوبِي، وصرت كالعريان في يناير، وكان الحل الوحيد للدفع هو المصارحة، لكن الخجل منعني، والخوف من أن أخسر كل شيء.

اكتفيت بالمراقبة، لم أقدر على الاقتراب أكثر، صارت أفعالي طائشة، صرت شديد التعصب، أصبحت شخصاً غير الذي أعرف، وهكذا يفعل الحب؟! وكلما تعذبت أكثر كلما زاد تعلقي، وكلما لم أجد منها اهتماماً يزيد شغفي، وهكذا يريد قلبي؟!

اللجنة على الحب!



رسائل التائب

واصلنا اختطافهم وإجراء التجارب عليهم، لنفهم سبب ذلك التغير المفاجئ، وأثناء ذلك لاحظنا أنهم يتقدمون علمياً وصناعياً بصورة ملفتة، بدأت تظهر لديهم بعض الاختراعات، كالمصابيح الكهربائية، والعربات التي يجرها الخدم، كانت هذه نماذج أولية، وكانت بداية لطفرة علمية كبيرة، فقد أوشكت الحيوانات اللحاق بنا!

اكتشفوا المعادن، وبدأت حملات واسعة منهم للتنقيب عنها، وأثناء ذلك اكتشف أحدهم هيكلًا عظيمًا لإنسان مصاب من الذين دُفِنوا تحت الرمال، ومنذ ذلك الحين وتغيرت نظرتهم إلى العالم، اكتشفوا نظرية التطور، وعلموا أن هناك مخلوقات سبقتهم على هذه الأرض، كما اكتشفوا الذرات والجزيئات والموجات، طفرة علمية هائلة أصابت المجتمع الحيواني، كانوا يتقدمون بسرعة مذهلة، وكأن صنبور العلم فتح عن آخره.

لم يرغبوا عن نظرنا طوال الوقت، كنا نراقبهم عن كثب، في الواقع نحن قلقون منهم، ومن الذي من الممكن أن يصلوا له فيما بعد، وكانت

أداتنا لمراقبتهم هي الغواصة، تلتقط لهم الصور، تقوم بأبحاث عنهم، كانت خير أداة.

بدأ الحيوانات في صناعة السفن، وبدأوا يحتاجون البحار والمحيطات بسفنهم، شكلوا علينا تهديدًا واضحًا، لذلك كان لابد لنا من ضربة استباقية لإرهابهم، كانت السفن التي تعبر المنطقة القابعة فيها الغواصة نهجم عليها، كانت الخطة تقضي بإحداث موجات عنيفة أسفلهم عن طريق التحرك بسرعة تحتهم، وبعد ذلك يتجهز الجنود في الأسفل، وتصعد بعد ذلك الغواصة إلى السطح، سيقعون في حالة من الصدمة، ولن يستطيعوا التصرف، لأن الأمر سيكون مرعبًا، وحش عملاق أسود اللون يصعد من الأعماق، سيكون الأمر بمثابة جحيم لهم، وبعد ذلك يقوم الجنود بالخروج من الغواصة حاملين مسدساتهم المليئة بطلقات مخدرة، ويبدأون في إصابة كل من على السفينة، وبعد ذلك يقومون بحملهم والنزول بهم إلى الغواصة مرة أخرى لإجراء عليهم التجارب، ومن جهة أخرى نجعلهم يخلطون الأساطير حول تلك البقعة الملعونة، كما كنا نتمدد ترك سفنهم سليمة ونجعلها ترسو بالقرب من الشاطئ لنؤكد لهم ظنهم.

ومنذ ذلك الحين وبدأنا ندرس لغتهم التي يتواصلون بها، كانت عبارة عن نقر على خشب، / هذا أ بالكتابة، ولكن بالحديث يكون عبارة عن نقرة بسيطة على قطعة خشب يحملها كل حيوان ليستطيعوا التواصل، × كانت عبارة عن نقرة أشد قوة من النقرة الأولى، ليستطيعوا التمييز بين كل الحرفين، // نقرتان بسيطتان، أما × / فهي نقرة قوية يتبعها نقرة بسيطة، كانوا بارعين في التواصل بها، وطلب (النائب) مني إرسال التقارير الخاصة بلغتهم، كان شديد الحرص على تعلمها، وهي لم تكن بالأمر الصعب.

ظلت هذه الأحداث مستمرة، وبدأ الرعب والأساطير يحومان حول تلك البقعة، فنحن نتجنب الظهور خشية قيام حرب معهم، نحن نتجنب الحرب مع المجتمع الحيواني المزدهر.



رسائل القرد للدكتور

سعى (الرسول) في القوم، يدعوهم إلى ترك الشرك بالله، فبدأ يتبعه بعضهم، فحينما سمعوا ما قال أمام المعبد الكبير ذهلوا، وأنا ذهلت معهم، فأنا رأيت بعض الآيات التي تحدث عنها.

وفي أحد المرات وهو يتحدث للقوم، سأله أحدهم عن القوم السابقين الذين يذكرهم، فقال له: "إنهم قوم سابقون لكم في الزمن وفي التقدم، وهم أكثر منكم عقلاً ومنطقاً، وهم وصلوا لمرحلة من العلم لم تصلوا إليها، ولن تصلوا إليها إلا بعد سنين طويلة، ولكنهم أفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء، فسלט الله عليهم علمهم، فهلكوا إلا قليلاً."

فسأله أحدهم: "ولماذا لا نرى لهم أثر؟!"

فرد عليه (الرسول) قائلاً: "إنهم كانوا موجودين قبل سنين من الزمن، لكن الله أنزل الأمطار وحرك الرياح لتزيل ما بقى منهم، وليهيئ الأرض لكم لتكونوا الخلفاء فيها."

فسأله أحدهم: "ألم يبق منهم أحد؟"

فقال: "علمهم عند الله، أين هم وما أشكالهم"، كان هناك ازدياد في عدد الأتباع ملحوظ، وأصبح حول (الرسول) تجمعات كبيرة، فكان له كبير الأثر على (الموعد)

أمر (الكاهن) مَنْ تحته أن يطوّفوا الإمبراطورية، ذائعين في العامة أن الدين الرسمي للإمبراطورية هو عبادة (الموعد)، وأن من يعبد غيره يحق عليه الحرق جزاء لما اقترف، فمن جاءهم الحق لم يهتموا بمثل هذا الحديث، ولكن لم يمر الكثير من الوقت حتى سمعنا ورأينا حالات قتل وحرق للمُوحدين، عذاب من (الكاهن)، كان لا يتردد في الحكم بحرق أحدهم إن ثبت أنه موحد، وكان يتفنن في تعذيبهم لصفهم عن التوحيد وإعادتهم مشركين كما كانوا، كان يقطع القوائم، كان ينتف الوبر، وكان يفتق العيون، ويقطع الألسن، لكن من دخل الدين مؤمناً يشبه الله، ومن كان غير ذلك تجده يعود إلى الشرك، وما أكثرهم!

كان (الرسول) معروفاً بتأويله الرؤى، فكان يحلم أحدهم بشيء ما ويأتي يخبر به (الرسول)، فيقول له إنك سترزق بذكر، فيرزق، ومن يقول له سيموت أحد أقاربك، فيحدث، ومن يقول له سيأتيك رزق وفير، فيأتيه، زادت شهرته، وذاع صيته في الإمبراطورية.

كما كان معروفًا بحديثه عن المستقبل وما سنصل له من اكتشافات، فكان يقول: "في المستقبل ستكتشفون أننا نعيش على أرض ليست مسطحة كما ترون، لكنها تشبه إلى حد كبير بيضة النعامة"، حينما سمع القوم ذلك سخروا منه واتهموه بالجنون، حتى أنا شككت في صحة كلامه، كيف للأرض أن تشبه بيضة النعامة؟! كان شيئاً غريباً.

فقال أحد الساخرين له: "أنت محق، هي تشبه بيضة النعامة، ولكن كيف لا ننحدر ونسقط إذن"، قالها ساخرًا مكذبًا.

فرد (الرسول) قائلاً: "بل يمسككم الله بجنوده"، فزادوا كفرًا وسخرية منه.

وكان (الكاهن) شديد التريص له، كان ينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض عليه وقتله، لكن هناك شيئًا كان يمنعه، كان يقول لو قتلناه سيصبح أسطورة وسيتبعه الكثيرون، لذلك لن نقتله الآن، في البداية سنثبت كذبه ومن ثم يأتي دور القتل.



هذكرات الدكتور الشخصية

كانت بيننا أحاديث طويلة، لكن هذا لم يكن بالنسبة لي شيئاً، أردت شيئاً ملموساً، أردت تقدماً ملحوظاً، وهنا ظهرت إحدى مساوئي.. التسرع، لم أعد كما كنت، صرت أسوأ، داء التعلق يقتلني، ونار القلق تشويني، راقبت من بعيد، وظننت أنني لا ألفت الانتباه، وكنت مخطئاً، كان كل شيء مفضوحاً، لقد خانني عضو من أعضاء جسدي، صحت داخلي قائلاً لكل أعضائي: "بيننا خائن"، فارتاب كل عضو، خافوا أن أتهم أحدهم عن جهل، خافوا أن أكون من الصدمة فقدت عقلي، تداركت قائلاً: "عيني الفاضحة".



رسائل النائب

(النائب) فقد عقله، أو ما تبقى منه!

أمر العلماء على الغواصة بتسخير العلوم والتكنولوجيا خاصتهم
لإنتاج حذاء يطير به!

لم يناقشوه عن السبب، وبالفعل في غضون بضعة أيام كان الحذاء
جاهزاً، عبارة عن حذاء معدني فيه دافعات هوائية شديدة القوة تُمكن من
يلبسه من الطيران، ولكن يجب التمرن عليه، وبالفعل كان يخرج يومياً
على سطح الغواصة ويقوم بالتمرن على الطيران بذلك الحذاء، إلى أن
أصبح متمكناً.

في تلك الفترة كان عاكفاً على دراسة عادات الحيوانات، وطريقة
الكتابة، اللغة التي يتحدثون بها، إلى أن أصبح وكأنه أحدهم!
استدعاني على وجه السرعة أنا وأكبر قياداته، وأمرنا بجمع عدد
من الجنود، وتسليحهم بالرصاص والمخدر، سيقوم بنقلهم إلى اليابسة،
وسيكون معهم، كانت خطته تقضي بأنه إن لم يستطع حكم البشر فلا
مانع من حكم الحيوانات!



رسائل القرد للدكتور

ظن أن الصراخ وهم، أو من بقايا كابوسه المرعب، لكن لم تمر ثواني أخرى حتى سمع صوت نحيب قادم من الأسفل، نزل مسرعًا وكاد أن يتعثر أثناء النزول، استمر في متابعة مصدر النحيب، اقتفاه فوجد أنه قادم من غرفة الخدم!

لم يقابل أحد في القصر أثناء نزوله، وكان هذا على غير العادة، فالقصر لا يهدأ ولا يفرغ من الخدم، فتساءل: "ترى ماذا حدث؟!"، وصل إلى غرفة الخدم فوجد الجميع هناك، وجدهم سيكون! تساءل فكانت الإجابة صادمة، فقد ماتت خادمتها المخلصة! وبذلك تحقق الشرط الأول من نبوءة (الرسول)، لكنه لم يفطن شيئًا كهذا، فأمر بتحنيطها وتجهيزها للدفن.

كانت من عاداتنا تحنيط الميت ودفنه، ولكن هناك اعتقادًا يقول إن الميت لا بد أن يُدفن قبل غروب الشمس، لأن في الشمس رحمة، وإن دُفن بالليل فلن تشمله الرحمة!

لذلك كان لا بد من دفنها قبل الغروب.

كانت مراسم التحنيط رسمية لدرجة كبيرة، فالخادمة التي ماتت لم تكن عادية، فقد كانت من المفضلات لدى (الموعود)، لذلك أشرف بنفسه على تحنيطها، انفطر قلبه، وكأن له قلب!

وليت له عقل يفكر به فيقول لو كنت إله لمنعت موتها!
لكن العقول لهم زينة، والقلوب مجرد مضخات للدم، وأكثرهم لا يعلمون!

انتهوا من التحنيط قبل غروب الشمس، فاقترح أحدهم أن تُدفن ليلاً لضيق الوقت، لكن (الموعود) اعترض بشدة، لأنها إن دُفنت ليلاً لن تشملها الرحمة، لذلك سيدفنها قبل غروب الشمس، أو لو كان إلهًا لشمها برحمته صباحًا ومساءً فليس للإله شيء يحده، ولكن أغلبهم لا يفقهون!

هرولوا، قاموا بإنزالها وساروا مسافة ليست ببعيدة، حتى وصلوا إلى القبور، التي كانت عبارة عن صحراء بها غرف حجرية تحت الأرض، لها أبواب تُفتح حينما يأتي ميت، ثم يُدخلوا الميت ويضعوه في الغرفة المخصصة له، ومن ثم يغلقون الباب ويهيلون عليه التراب مرة أخرى، وانتهى كل شيء، لتبدأ الروح في خوض رحلة أخرى لا تختلف

عن رحلة الحياة الدنيا، رحلة الموت وما بعد الموت، التي يكون أول
فصولها خروج الروح من الجسد، وآخرها الحساب، وإما نعيم أو
جحيم.

ذهبوا إلى المقابر وأثناء الدفن لاحظوا أن لون الرمال الأصفر تحول
إلى برتقالي!

وكان هذا جراء وقوع أشعة الغروب عليه، فصُعق (الموعود) من
تحقق نبوءة (الرسول) كاملة، ولثاني مرة يدب الخوف داخله، فأول مرة
كانت حينما ساوره ذلك الكابوس، الذي أراد أن يعرف تأويله .
فجمع من الجمع ما جمع.



هذكرات الدكتور الشخصية

جمال صافي، هدوء قاتل، شتاء قارس، تائه أنا في محيطها الرائع، غارق في بحر من الخمر أسكرني، متماسك وذلك الظاهر، وفي داخلي زلازل مدمرة.

تحولت حياتي إلى مأساة، لا طعام، ولا تفكير سوى فيها، لا شيء، وهبت حياتي لها، وقررت أن أخبرها بما أخبئه في قلبي، وقفت متردداً، لا أقوى على الحديث، فافتعلت أنني ذاهب إلى الحمام وسأعود مرة أخرى، دخلت ونظرت إلى نفسي في المرآة، تلك لحظة فارقة، لا بد من استخدامها جيداً، وضحكت لنفسي مطمئنتها، لكنها كانت ضحكة غير واثقة، وعدت وتحديث بما أشعر، فقبولت بالرفض!

فحاولت مرة أخرى، فما كان جوابها سوى الرفض، احترت في الأمر، وظللت عاكفاً على التفكير، وقررت أن أمهلها فترة فأحدثها مرة أخرى، لكن لا فائدة، ومنذ ذلك الحين وتحولت ذاكرتي إلى ساحة معركة مليئة بالدماء، الألم لم يترك الشخص، والشخص لم يترك القلم، وظل يكتب عنه أثناء البكاء، كان يرتعش ويريد من الدمع النزول ويأبى

الدمع الطاعة، سأظل حبيس عينيك ولن أخرج، وستخلد في دوامات
الحزن، أُجن، فأهْمُ بضربه فأجدني أضربني، وما داوى الجرح دواء، وما
نزل الدمع لأرتاح، وحينما أُصبت في المعركة، جاء النوم ينقذني، مد يده
لي وأخبرني أنه الحل، ومنذ ذلك الحين أصبح دوائي حينما يساورني
الحزن.



رسائل التائب

ذهب هو وبعض الجنود إلى اليابسة، حلقت المروحية فوق اليابسة لأول مرة منذ انتشار العقل بين الحيوانات، كان صوت اختراق مراوحها لكتل الهواء مرعبًا للحيوانات، أثار في نفوسهم الذعر، حتى ظنوا أنه يوم الحساب! نظروا إلى السماء نظرات ذهول، ما هذا الشيء الأسود العملاق الذي يخلق في السماء ويُصدر ذلك الصوت الشبيه بالرعد؟!

أكملت المروحية التحليق، إلى أن وصلوا إلى مقصدهم، ساحة واسعة سيتجمع فيها الكثير من الحيوانات، كان هدفه واضحًا، جمع أكبر عدد منهم في آن واحد، ومن ثم يصدّمهم.

توقفت عن الحركة العرضية لكنها ظلت تحلق، حتى تجمع أكبر عدد من الحيوانات، كانوا يشاهدون شيئًا لا يصدق، وتحسبهم من الصدمة سكارى.

تأهب الجنود في المروحية، كانوا يرتدون زيًا أسود ولا يظهر منهم سوى عينين ميتين، نزلوا عن طريق الجبال أولاً للتأمين، والحيوانات لا

تصدق ما تراه أعينهم، ما هذه الكائنات الغريبة، كانوا وكأنهم يشاهدون مجموعة من الفضائيين، لكن فيهم أحد الفضوليين، الذي حاول الاقتراب أكثر من اللازم، لذلك أوقعه الجنود أرضاً عن طريق إطلاق رصاصة مخدرة، كانت رسالة واضحة لباقي الحيوانات، ألا تقربوا. تحدث أحدهم في اللاسلكي، أن الأمر تحت السيطرة، هنا تجهز (النائب) للحظة الفارقة، ارتدى ملابسه، والحذاء الطائر وخرج من الطائرة، فتخشب الجمع ذهولاً، وخرروا ساجدين!



رسائل القرد للدكتور

استدعى (الكاهن) وخيرة مساعديه، وقص عليهم ما رأى: "إني رأيت أنني ذو قوة وسمع وبصر، وكانت المملكة غاية في الجمال، فجاء مجموعة من النمل وبدأوا في نخر البناء الذي كنت واقفاً عليه، وانهار البناء ذي السبع طوابق، افتونى في رؤيائي".

فتبادل الحضور النظرات الحائرة، وبعدها تبادلوا همساً لم يسمعه (الموعد)، فتقدم (الكاهن) فقال: "سيدي.. إنها أضغاث أحلام". لم يداو هذا الجواب خوفه، وكان هناك شيء داخله يخبره أن لهذه الرؤيا هدفاً ومعنى، لكنه يجهره، وكهنته معه، وظل يبحث عن الذي سيخبره بتأويل الرؤيا .

علمت الإمبراطورية بشأن رؤيا (الموعد)، وعلموا أنها تثير الرعب في نفسه، إلى أن جاء أحد الخدم يقول له إنى أعلم أحدًا سيخبرك بتأويلها.

استنكر في البداية هذا الحل، لأنه بذلك سيترف به، ولن يكون أمامه طريقة للإنكار بعد ذلك، فاستشار (الكاهن)، فوجد (الكاهن) أن

هذا حلاً ذكياً، لأنه سيثبت أنه كاذب أمام الجميع، اعتقاداً منه أنها أضغاث أحلام، فأمر (الموعود) باستدعائه.

فجاء (الرسول) إلى القصر، فوجد الملك وبعض العامة والحاشية في انتظاره، أحس منهم مؤامرة، فليس كما قال له المندوب إن (الموعود) يريد رأيك في شأن مهم، فلما دخل قال: "السلام عليكم"، فلم يجبه أحد، وقال (الموعود): "علمت من أحد الخدم أنك تفسر الرؤى، وإني رأيت في المنام ما أريد تفسيره."

فقال (الرسول): "كلي آذان صاغية."

فقص عليه ما رأى، وقال له: "ما تأويلها إن كنت من الصادقين."
فرد (الرسول): "إن لها قول واضح، إنك ستظل تبني وتوسع في مملكتك، وستكون آية في الجمال، وستزداد أنت قوة وتكبر، حتى ستحسب أن لن يقدر عليك أحد، أما البناء ذي السبع طوابق فهو المدة التي ستمكثها، سبع سنين، وأما سقوط البناء بك فهو طريقة زوالك من الدنيا، بخسف الأرض بك وبمن تبعك، وأما النمل فهم جنود الله التي لا تراها أو تشعر بها، وأما ما جاء على لسان النملة فهو من رحمة الله يمهلك أن تتوب."

فتزلزل القصر بقشعرة الأبدان وخفقان القلوب، أهنالك رحمة كهذه، يكفر كفر بيّن ويدّعي الألوهية، ويمهله الله أن يتوب، ما أرحمك يا الله وما أجهلنا بعظمتك!

فأصابه الخوف، وطرد (الرسول) ومن معه من القصر، وأمر (الكاهن) أن يقتل (الرسول) ومن معه، ولكن بعدما يرحل من القصر. فأوحى الله إلى (الرسول) مغادرة تلك الإمبراطورية، لعذاب واقع، فأسرى بنا ليلاً، وحينما وصلنا إلى وجهتنا واستقبلنا بحفاوة، ومكثنا بينهم سنين، علمنا بما حدث للإمبراطورية، التي خسف الله بها الأرض، وأصبحت من الماضي، ولم يبق من أثرها شيء، أصبحت عبرة لقوم، ولكن للأسف قوم لا يعتبرون، فبعد موت (الرسول) اتخذوه إلهًا يعبدوه، وانقلبوا على أعقابهم، وحرّفوا ما قيل على لسانه، وأضلوا القوم، فهم في الرزائل مازالوا يمسون ويصبحون!



هذكرات الدكتور الشخصية

لم أملك القوة بعد لأكتب الأحداث بواقعيتها، فما أكتبه هو بالتقريب، فلم أستطع التحدث عن الذي حدث لي بالتفاصيل، أتظنونني ضعيفاً؟! كلا.. أنا أضعف مما تظنون.

في بحر الرزائل نزلت، على أمل أنني حينما أريد الصعود سأستطيع، سبحت، استمتعت، ولما أردت الصعود شدني المد أكثر، أصبحت حبيسه، لم أستطع المقاومة، خارت القوى، وأصبحت محاطاً بالرزائل من كل مكان، أرى من بعيد أطياً لسفن النجاة، ولكني لا أستطيع السباحة، فمياة بحر الرزائل ثقيلة، أشبه بمخاط منه إلى ماء! أرى أطواق النجاة تحيط بي، أتأمل، أحاول، أكاد أصل، لتظهر مُداعبة، مغرية بمفاتها الرائعة، فأهيم في جماها تائهاً، ناسياً ما كدت أصل إليه، ولكنها لا تعطيني كل شيء، بل تحتفي قبل أن أشبع، وكأنها

تقصد إبقائي جائعًا لها، ومن ثم أفيق على الصدمة، فالمد سحب
الأطواق بعيدًا عني مرة أخرى!

ومياه البحر تأكل جسدي، أملاحها شديدة، وفوق رأسي عذاب لا
ينقطع، شمس حارقة، أتمنى الخروج، أين المفر! لا أستطيع الارتواء،
فالماء أجاج، وما أفذر رائحة المياه، لا تُحتمل!

لا أعرف كيف جاءني الرغبة في النزول، لكنني الآن نادمًا وأتمنى
أن يعود الزمن فلا أنزل، لكن الزمن لا يعود إلى الخلف، كذلك الإنسان
إن ذاق المعاصي أدمنها، وإن أدمنها فإن فراقها سيكون كإقتلاع اللحم
من العظام، هو ليس مستحيلًا لكنه صعب، وأنا سأحاول.



رسائل النائب

كان يوماً مشمسًا.

تعجب الجنود من تصرف الحيوانات، لماذا يسجدون؟! لكنهم حينما نظروا إلى الأعلى علموا السبب، ف (النائب) لم يترك شيئاً للصدفة، فقد عكف فترة من الزمن يدرس طباعهم وأفكارهم، وكل خطواته كانت محسوبة، وأيضا التوابع.

فحينما نظروا إلى الأعلى وجدوا أنه يرتدي ملابس عاكسة للضوء، فشعر الحيوانات أنه كائن نوراني!

كما أنه كان يطير باستخدام الحذاء الذي لا يعرفه الحيوانات، إذن هو لم يدع لهم مجالاً للشك، كائن منير ويطير، إذن هو إله!

ألهذا الجنون وصل، أحب السلطة يفعل كل هذا بالشخص؟! طلب من أحد الجنود الاقتراب، أعطاه ورقة مكتوبة بلغة الحيوانات، وأمره أن يعطيها لأحدهم في المقدمة، نفذ الجندي الأمر، وذهب وأعطاهما إلى أحد الحيوانات، كانوا ذاهلين حتى الآن، لم يستعب

عقلهم المحدود كل هذه الأحداث بعد، فمثل الأحداث وعقولهم،
كمثل التفاحة التي تريد إدخالها في الزجاجة.
عاد الجنود إلى الطائرة مرة أخرى، وركب (النائب) وعادوا إلى
الغواصة، بعد يوم ناجح لأفكاره الشيطانية.



رسائل القرد للدكتور

تطورنا بشكل سريع، وأصبحت لنا علوم مثلكم، رياضيات ومعادلات فيزيائية وكيميائية، أصبحنا نعلم الكثير من الأمور عن الذرة والنواة والإلكترونات والنيوترونات، أصبح المجتمع الحيواني مهتمًا بأمور علمية، كالماء وتركيبه، والأكسجين وما يكونه، اقتربنا منكم كثيرًا. من أهم العلوم التي تم اكتشافها هو علم الفلك، ذلك العلم الذي كان سببًا في تغير نظرتنا لكل شيء، تحولت من نظرة متكبرة إلى نظرة متواضعة لإدراكنا حجمنا الحقيقي، فنحن كنا نعتقد أن كوكب الأرض هو محور الكون ومركزه، وكل شيء يدور حوله، كما أنه مسطح، لكن كل هذا بعد علم الفلك أصبح عبثًا، فكوكب الأرض ليس مركز الكون، بل هو مجرد ذرة تراب في محيط شاسع، كما أنه ليس مسطحًا، بل بيضاوي، وهو ما أخبرنا به (الرسول) وكذبوه وسخروا منه، واكتشفنا أن هناك الملايين من الشموس والكواكب التي تدور حولها، كم نحن ضئيلو الحجم!

في أحد الأيام حدث شيء زلزل المجتمع الحيواني، أثناء أحد عمليات التنقيب عن المعادن تم اكتشاف شيء لم يصدقه أحد، هياكل عظمية لكائنات عجيبة، كائنات تمشي على اثنتين ولها يدين وعمود فقري وهيكل عظمي كما الحيوانات لكن باختلافات بسيطة، كان هذا الهيكل لإنسان من المصابين الذين دفنوا تحت الرمال، هذا الاكتشاف أثمر عن الكثير من الاكتشافات، كان شيئاً صادماً للمجتمع الحيواني علمهم أنهم ليسوا أول من سكن الأرض، وبالتالي استنتاجهم أنهم لن يكونوا الآخرين!

جاء أحد القرود بعد هذا الاكتشاف بما هو أغرب، فقال في نظرية له تُدعى "الترقي"، أن جميع الحيوانات باختلاف أشكالهم لهم نفس التكوين الفسيولوجي، لكن ليس هذا ما أصابنا بالدهشة، ولكنه قال أيضاً أن هذا الكائن المكتشف "الإنسان"، هو أيضاً من شجرة عائلتنا، وله نفس التكوين، وإن وُجدت فيه اختلافات فستكون في شكل وحجم الأعضاء.

وعن أسباب انقراضه، أوضحت دراسات نسب المعادن في العظام أن هناك وباءً قاتلاً انتشر بين هذه المخلوقات، مما أدى إلى توقف

تكاثرها، ومن ثم في العصر المطير والعصر العاصف لم تقو تلك الكائنات على الاحتمال، فانقرضت.

واختتم قائلًا أن جميع الحيوانات وهذه الكائنات تتفق بنسبة تفوق الـ 90٪ في التكوين، ولكنه لم يعرف إن كان لهم عقل مثلنا أم لا، ولم يستنتج أحد أنهم هم القوم السابقون الذين حدثنا عنهم (الرسول)، وأنهم كانوا متطورين في شتى المجالات، وأنه في العصر المطير والعصر العاصف انتهت حياتهم واندثرت حضارتهم، ولم يعرف أحد كيف أصبحت الحيوانات عاقلة وما السبب، غيري وأنت ومن حضر، ومنذ ذلك الحين وبدأت العلوم في التطور أكثر وأكثر.



مذكرات الدكتور الشخصية

التخيلات، لا أتمنى أن تكون حياتي جزءاً مُتخيلاً، أتمنى ألا أكون قد وصلت إلى هذه المرحلة المتأخرة من المرض، بدأت أفقد الإحساس بالواقع، لا أستطيع التمييز بين ما يحدث حقاً وبين المُتخيل!
أرى أشخاص لا وجود لهم، لا أعرف الحقيقة، لكن السبب في ذلك هي المهدئات، فأنا بين جحيمين، الأول العذاب وعدم النوم إلى أن أموت مختلاً، والثاني المهدئات وما يترتب عليها من تخيلات!



رسائل النائب

كان لا يستطيع الخروج ليلاً، لأنه كان يحتاج الشمس ليظهر منيراً، فكان يذهب إليهم في الصباح ويعود قبل الغروب إلى الغواصة، كان يريد أن يظهر لهم كائناً نورانياً حتى يصدقوا أنه إله! عبث حب السلطة بعقله، أتلفه حتى أنساه أنه سيُحاسب على كل ما يفعل.

كان مضمون الرسالة التي كتبها لهم، أنه إله ويريدهم أن يؤمنوا به ويعبدوه ويطيعوا أمره، فما كان من الحيوانات إلا الطاعة، فهم يرونه يشع نوراً، يطير، ذو جمال أخاذ، تطيعه تلك المخلوقات السوداء المخيفة، كانوا خائفين منه ومعجبين به في آن واحد.

ووسط تلك الطاعة العمياء والخوف المسيطر، ظهر (الملك) الذي هو الآخر لديه حب السلطة، وأمسك قطعة خشبية وأخذ يطرق مخاطباً (النائب): "لا أصدقك، ولن أتبعك ولن أترك لك مُلكي."

فخاطب (النائب) الجمع قائلاً: "إنه سيثبت لهم أنه واهب العقل وسالبه"، وتحدث على اللاسلكي مع أحد الجنود أمره بتكبير (الملك)،

لكنه قاوم وكاد أن يفتك بالجنود، لذلك اضطروا إلى استخدام الرصاص المخدر عليه.

كبلوه وتركوه حتى استعاد وعيه، أمر (النائب) أن يعطوه حقنة الفيروس، وكانت آخر ما تبقى من العقار، نفذوا أمره وسط ذهول الجمع من تلك الأدوات العجيبة التي يستخدمونها، وسط تلك الأحداث مرت سحابة كثيفة الحمل أمام الشمس فحجبت ضوءها، فانطفأ نور (النائب)، ولكنها سرعان ما مرت ولم يلحظ أحد ذلك.

نصف ساعة وكان (الملك) متحولاً من كائن عاقل، إلى حيوان لا يفقه شيئاً، نظرات ذاهلة، أفواه فاغرة، وقلوب فتك بها الشك، وقف (النائب) متفاخرًا، وكأنه صدق أنه إله، وكأنه غُشي على قلبه فأصبح لا يفقه ماهية الأشياء.

قال لهم: "ها قد سلبت عقله، والآن سأعيده إياه"، وأشار إلى أحد الجنود فأخرج من الحقيبة التي معه حقنة (M.R)، وأعطاهها لـ (الملك)، ضربات القلب تشتد، الجمع لا يعي ما الذي يحدث، ضربات القلب تشتد، حتى أصبحوا لا يسمعون غيرها.

بعد ساعة عاد لـ (الملك) عقله المسلوب، فأقبل بعضهم عليه يتساءلون: "ما الذي حدث لك؟! وماذا رأيت؟"، لكنه لم يجبهم لأنه لا يذكر شيئاً، فقط حاولوا الهجوم عليه وهو قاومهم، وبعد ذلك أطلقوا عليه شيئاً جعل الدنيا من حوله تنقلب، وأظلم كل شيء بعد ذلك، فاتجهت الأنظار إلى (النائب)، وتقربوا منه في خشوع، طالبين منه العفو والرحمة، وناذرين له الولاء والطاعة، وهكذا وجد من يحكم!



رسائل القرد للدكتور

ظل القصر لغزًا من الألغاز المحيرة، عجز الحيوانات عن تفسير بنائه بهذه الطريقة، وعن تفسير سبب وجوده أو من الذي بناه، فكانوا ينسبونه كما كل شيء محير إلى آبائهم الأولين.

كان شبه متآكل، لكن معاملته واضحة، بنى الحيوانات الكثير من المباني، شيدوا المدن، ولكن لم يقترب أحدًا من القصر بالهدم أو بالبناء حوله، ولهذا قصة.

الكثير من المحاولات لدخول القصر، تلك الأحجية الباقية، حاول الكثير من الحيوانات العيش داخل ذلك القصر، بدافع الفضول، لكن كانت هناك حوادث غريبة في الداخل .

الحادثة الأولى :

فأول عائلة تسكنه كانت مكونة من خمسة أفراد، دخلوا القصر ولم يكملوا الأسبوع إلا مختفين للأبد!

لم يجدهم أحد وكانهم ذابوا في كوب ماء، حتى متعلقاتهم كانت تختفي مثلهم، فأثار الأمر دهشة العامة، فأمر الحاكم شرطته ومعها بعض

المفتشين بالتحقيق في الأمر، وبالفعل ذهبوا إلى القصر، مكثوا يفتشون الأرجاء حوله، لكن لا شيء يثير الاهتمام، وأقفل الأمر على لا شيء.

الحادثة الثانية :

كان هناك نمر من العائلة الملكية، كان مغرورًا متغطرًا، سمع عن ذلك القصر الذي اختفت فيه العائلة، وعلم أن الجميع يهاب الاقتراب منه، فخطط لسكن القصر، رغبة منه في كسب شهرة واسعة في البلاد، لطمعه في الحكم.

فجمع متعلقاته، وأذاع في البلاد نبأ أنه سيسكن القصر، فانتشر الخبر في البلاد بسرعة، كما النار في كومة قش، فمثل هذه الأخبار لا يكف المثثرون عن ذكرها حتى يعلم الأصم بها!

جمع الحرس الخاص به سرًا، وأمرهم بالذهاب قبله إلى ذلك القصر وتأمينه، فذهبوا وذهب هو بعدهم متفاخرًا بنفسه، كان يزعم أنه وحده هناك، لكن القصر كان مليئًا بالحرس.

مكث هناك بضعة أيام ومن جديد اختفى كل من في القصر!
وكان في القصر بوابة زمنية تنقلهم إلى عالم آخر، علم العامة بالخبر، وانتشر الرعب بينهم، ومنذ ذلك الحين حدث الكثير من حوادث

الاختفاء في القصر وجانبه، ذلك القصر الذي أسموه بالقصر الملعون، الذي لم يدخله أحد وخرج.

الحادثة الثالثة :

اجتحننا البحار والمحيطات بسفننا العملاقة، طفنا الأراضي واستكشفنا الأغوار، لكن كان هناك بقعة في المحيط يحدث فيها أشياء غريبة، حوادث اختفاء كالتي تحدث في القصر الملعون!

كانت الكثير من السفن تدخل تلك البقعة، التي أسموها بقعة الشيطان، وتخرج منها فارغة من الحيوانات ومن المتعلقات أيضًا!

وكرثت الحكايات عن هذه البقعة كالقصر الملعون، فمنهم من قال إنها تعتبر منطقة يتجمع فيها الشياطين والأرواح الشريرة، التي لا تريد أحدًا أن يزعجها، ومنهم من قال إن هناك صواعق تنطلق من السماء، وأسماك متوحشة تخرج من الماء تأكل الركاب، لكن هناك ناجٍ روى ما رأى، كانت قصة نجاته من تلك البقعة مشكوكًا فيها، مما أدى إلى إنكار كافة ما جاء على لسانه.

قال إنه كان في سفينه تجارية متجهة إلى مملكة الأفيال، وكان ربان السفينة لا يؤمن بمثل تلك الخرافات كما قال، فبرغم الكثير من التحذير

إلا أنه أصر أن يعبروا عن طريق بقعة الشيطان، وكانت حجته هي توفير الوقت والجهد، فلم يستطع أحد الاعتراض عليه، فدخلوا تلك البقعة، كان الأمر في البداية لا يثير أي شك في أنها حقًا خرافة ابتدعها الحمقى، لكن بعد مرور القليل من الوقت تغير كل شيء.

بدأ الأمر عن طريق هزات قوية تحت السفينة، وكأنه زلزال مدمر، وتبعه أمواج متوسطة الحجم، ومن ثم انقض من الأعماق وحش أسود غريب، لم يروا مثله أبدًا، وكأنه قادم من الأساطير، فاختبأ الناجي حينما رأى ذلك الوحش، لكنه كان من موقعه يراقب السفينة، دبت الفوضى سطح السفينة، وبدأ الجميع في الهرب، ومنهم من قفز في الماء ومات غرقًا، ومن بقى على السطح تعرض إلى شيء غريب.

فحينما اقترب ذلك الوحش من السفينة وجدوا مخلوقات عجيبة لم يروا مثلها تخرج منه، كانت ضئيلة الحجم، ولكنهم كانوا يحملون في أيديهم أشياء غريبة يطلقون منها ما جعل الحيوانات تخر وقوعًا! ومن ثم بدأوا ينزلون على سطح السفينة، كانت كائنات تمشي على اثنتين، كانوا يُشبهون الإنسان الذي وجدوا هيكله العظمي، وبدأوا بعد ذلك بحمل الركاب ونقلهم إلى داخل الوحش الأسود! جمعوا المتعلقات لكنهم

ولحسن حظه لم ينتبهوا له كما زعم، وبعد ذلك تركوا السفينة وعادوا إلى
الوحش الأسود، الذي هو الآخر عاد وغاص إلى الأعماق مرة أخرى.
خرج الناجي وهو في حالة من الذهول، تركت تلك المخلوقات
العجيبة الطعام والشراب كما هو، فكان بادياً عليهم التعجل خشية أن
يبصرهم أحد! وبعد شهر وجد نفسه أمام يابسة، نزل وسأل عن مكانه
فوجد أنه في مملكة الأفيال، فروى ما حدث، وانتشر الخبر، فقال العامة
لابد أنه من الصدمة يجتضر، أو أن عقله أصابه الخلل، ولم يصدقه أحد!



هذكرات الدكتور الشخصية

تسميها انقراض، أسميها استخلاف، لا فرق بين الحالتين، أصبحت الحيوانات مكاننا، وأصبحنا مختبئين منهم، بدأوا في التطور بفضل الأوراق التي بها أهم الاختراعات التي أرسلتها لـ (القرد)، فهو طلبها مني وأطلعني على هدفه، ولكن هناك الكثير من الاختراعات التي لا أعلم عنها شيئاً، وبالتالي لن أستطيع أن أرسلها له، ليقى البشر سابقين بخطوات عديدة، ولتتنز الكافة، ففي كافتهم العدد، وفي كافتنا التقدم العلمي.

أرى التاريخ يعيد نفسه معهم، فنحن حينما بدأنا كنا مثلهم، وقد نكون بدلاء لأقوام أخرى كانت أكثر تطوراً منا، والآن هم إما منقرضون أو مختبئون منا في أماكن لا نستطيع الوصول إليها بعد!



رسائل النائب

كان الأمر الناهي، ورضخ له كل حيوان حتى (الملك)، أو أن (الملك) تظاهر بالرضوخ، فقد خدع (النائب) بالاتباع، وكان يتربص له حتى يستعيد ما خسر، تظاهر بأنه عاكف على العبادة والطاعة، ولكن القلب حمل ما لا يُحمد، فإن تسلب من ملك مُلكه فلن يهدأ قلبه.

أراد أن يُحكم سيطرته على الأمور، فأنشأ قاعدة عسكرية على اليابسة، ووضع فيها معظم الجنود المتبقية، كانت أول بناء يشيده الإنسان في عهد الحيوانات على اليابس، كانت الجنود هي فرقة الحرس الخاص، وهي تضم 90٪ من القوة الموجودة لدى البشرية، لذلك كانوا مرعيين بالنسبة للحيوانات، وكعادة البشر حينها يتمكنون.. يفسدون.

كانوا هم المسؤولين عن جمع الضرائب من الحيوانات، ذهب، فضة، أحجار كريمة، بداعي أنهم يقومون بحمايتهم من غضب الإله! بغيض يبحث عن الثروة والسلطة، كانت أسماء الحيوانات مسجلة في كشف لدى الحرس الخاص، يأتون شهرياً لدفع المستحق من الشهر، لم يجرؤ أحد الحيوانات عن التأخر يوماً، خشية بطشهم.

لم يكتفوا بذلك، ولكنهم كانوا يأخذون ما هو زائد، لجعل هذا الحيوان في مرتبة أعلى من الآخر، فعلموا الحيوانات الطبقيّة، والفقراء الذين لا يستطيعون الدفع بفائض للحرس يقومون بإهانتته والتعدي عليه، فعلموهم الغطرسة.

كانوا هم المتحكمين الفعليين في المجتمع الحيواني، والحيوانات لم تقو على التفكير، لأنهم يتوهمون أنهم يعلمون ما يخفون من القول! وفي أحد الأيام حينما كانوا يجمعون الضرائب، وجدوا أن هناك أحد الحيوانات لم يدفع هذا الشهر، فذهب أحدهم إليه، وبعدها أهانته، حكم عليه كعقاب دفع ضعف المطلوب، كي يصفح عنه، لكن الحيوان كان له سبب لتأخره هذا الشهر، فلديه طفل حديث الولادة يحتاج إلى رعاية وطعام، وإن دفع الضرائب هذا الشهر لن يتمكن من رعايته وقد يفقده، لكن الحارس لم يأبه بتلك السخافات كما وصف، وطالبه بدفع الضعف، لكن الحيوان رفض، وكان على مرأى ومسمع من الكثيرين، فبهذا التصرف هو كسر شوكة الحراس إن تغاضوا عنه، فأراد الحارس أن يستعيد هيئته أمام الجمع، فأخرج مسدسه وأرداه قتيلاً!

تلك اللحظات الفارقة، التي يكون أمامك اختياران، ولكل الاختيارين نتائج متضادة، فإما أن يتغاضوا عن ما رأوا ويكون لزاماً عليهم الذل، وإما أن يتحركوا، فطباع الحيوانات غيرنا، هم سريعو الغضب، شديدو القوة، لذلك اختاروا الثاني.

حرقت نار الغضب قلوبهم، تجمع الكثير منهم حينما سمعوا صوت المطلقة، رأوا ذلك المسكين ذا الرأس المنفجر والدم المتناثر، فعمى الغضب عقولهم، وقاموا بالهجوم على الحارس، فتكوا به، تذوقوا ذلك الطعم اللذيذ للدم والانتقام.

علم باقي الحرس بالذي حدث، كما علموا أن الحيوانات شديدة الغضب، لذلك قاموا بالفرار إلى القاعدة.



رسائل القرد للدكتور

الرسالة الأخيرة على لسان صديق القرد

أصبح القوم في ضلال مبين، فما عادوا يتبعون (الرسول) بل
يعبدونه!

وأصبحت هذه هي الديانة الرسمية للبلاد، فمن كان يعترض
عليها يلقي من العذاب ما يشيب له الرأس، وكان ينتهي الأمر بالقتل إن
لم يمت في الأصل من العذاب.

كنا نحن التابعون نخفي الحقيقة في صدورنا، فإن جهرنا بها قُتلنا،
وإن أخفيناها من الممكن أن نكتب عنها أو نتمكن من هدايتهم، فكان
(القرد) من أصحاب هذا الفكر، كان يعمل على تحقيق شهرة واسعة
وأن يصبح مصدرًا للثقة ليصرخ فيهم قائلاً "أنتم في ضلال واضح،
فمتى قال لكم (الرسول) إنه إله يُعبد!"، وكانوا أيضًا لا يؤمنون
بعقلانية البشر، وقالوا إنهم أول أصحاب عقول سكنوا الأرض، وأن
الأرض خلقت من أجلهم وستنتهي بزوالهم، لذلك أخذ كافة أفكار
الاختراعات التي لم نرها نحن وقرر أن يشتهر على حسابها.

رسم المخطوطات لكثير من الاختراعات، كالمطائرات والسيارات والمصابيح الكهربائية، ومعظم الاختراعات التي لدى البشر، وقام بعرضها على الحيوانات، الذين أصابهم الذهول من عبقرية ذلك (القرد)، ووصفوه بأنه أذكى من وُلد على كوكب الأرض، رسم اللوحات الفنية، وضع نظريات علمية أصابتنا بالدهشة، ومن تلك النظريات نظرية تمدد الزمن، والأبعاد، والثقب الأسود، أسر قلوب وعقول الحيوانات، وأصبح أشهر من في المجتمع الحيواني.

كنا نحن التابعون نعلم أنه يأتي بمثل تلك الأشياء منك أنت أيها البشري، وكان هو يقول إنه سيحين الوقت المناسب لإطلاع المجتمع الحيواني على الحقيقة.

ظل الوضع كما هو، قوم عاكفون على عبادة إله غير حقيقي، وهو كان عاكفًا على الاختراعات التي حولت المجتمع الحيواني إلى مجتمع متقدم، لكنه لم يستطع إخفاء عنهم الحقيقة، صارحهم، قال لهم إن هذه الاختراعات من عند البشر، والبشر هم القوم السابقون الذي تحدّث عنهم (الرسول)، وهم لم ينقضوا بصورة كاملة، وأن (الرسول) الذي تعبدون هو مخلوق مثلكم، ولم يقل أبدًا أنه إله، فاتهموه بالهرطقة، ونبذوه

بالخارج عن ملة آبائهم الأولين، وما جزاء الكافرين إلا الحرق، فهتِك
خوفاً من مصير محتوم.

شاع الخبر أرجاء البلاد، أذكى مَنْ على الأرض سيُحرق بتهمة
الهرطقة!

تحدد اليوم الذي سيُنْفذ فيه الحكم، وحضر الحرق آلاف
الحيوانات، وقف أحد الكهنة على المنصة، قال: "نحن هنا اليوم بصدد
شيء مهم، مهرطق يُنكر وجود الإله، ويقول إنه مات، وإنه كان رسولاً
من إله آخر، هو لا ننكر أنه ذكي، وساهم في الكثير من التقدم الذي
نحن فيه الآن، لكن هذا لا يمنع أنه كفر بديننا، وهنا يجب أن نتعلم
الدرس، الذكاء سلاح ذو حدين، فإن استخدمته في الاتجاه الصحيح
أفادك، وإن أسأت استخدامه قتلك، والآن أُعطي الأمر لكم بتنفيذ
الحكم"، وأشار إلى مجموعة من الحراس الذين أتوا بالقرود مكبلاً، قاموا
بربطه في عمود من خشب، وتحتته الكثير من الخشب الصغير، المُشبع
بمواد سريعة الاشتعال، ثم جاء أحدهم بشعلة وألقاها.

اعتصر قلبي الألم، مات أعز من عرفت، ولكنه قبل أن يموت
أوصاني بكتابة تلك الرسالة، وأرشدني إلى المكان الذي تتبادلون فيه

الرسائل، وقال لي أن أضعها هناك، وأنت ستأخذها، كما أوصاني ألا أكتب شيئاً آخر وألا أذكر ذلك المكان لأحد، كما أراد أن أبلغك سلامه، فهو مات ضحية الجهل، كما الآلاف، لتبقى جذور الجهل باقية، وتذرو الرياح ما دون الجهل، وهكذا كان حالنا، وما زال، وسيكون.



مذكرات الدكتور الشخصية

لم أر حلاً سوى أن أبتكر طريقة للعودة بالزمن إلى ما قبل الكارثة، ذلك بعدما استنفذت كافة الحلول، بداية من الاحتواء إلى الترياق، لا حلول سوى الزمن .

الزمن مرتبط بالمكان، وإذا اخترعنا مركبة يمكنها السير بسرعة الضوء، فإن المكان ينحني وكذلك الزمن، وسيعمل على توقف الزمن، وهذا يعني أنه شيء نستطيع التحكم به، ولكن ستكون كتلتنا صفر، أو أن نستخدم قوة الجاذبية في إبطاء الزمن مع السرعة الكبيرة، هذا ممكن أن يكون له أثر، لكن الجاذبية الشديدة ستجعلنا ننسحق!

اللعنة!

أصابني الحرف وبدأت في الهذيان، لا أقوى على التحمل أكثر من ذلك، لا طريقة للعودة بالزمن، سأترك تلك المذكرات اللعينة في درج مكتبي في القصر، وسأرحل إلى الغواصة، ف (النائب) طلب حضوري وكل العلماء، يقولون إن الأوضاع خطيرة، هو يريد الخروج من مشكلة

جديدة أوقع نفسه فيها، أنا سأخرجه وكافة من على الغواصة من الحياة
نفسها، وسأخرج معهم، فطابخ السم يتذوقه، سأجعلهم يتألمون، كما
عذبوا الناس، فمن حقهم أن يتذوقوا الألم الذي أصابوا به البشر.



رسائل التائب

هنا وجد (الملك) فرصته لاستعادة حكمه، فشحن الحيوانات ضد البشر القتلة عديمي الرحمة، كما انتقد ذلك الذي يدّعي أنه إله ويحدث كل هذا الظلم في عصره، وكأنه لا يعلم!

أثارت تلك الإشارات الكثير من التساؤلات في عقول الحيوانات، كيف نسكت على هذا؟ ولماذا نقبل بكل تلك الإهانات والذل؟ لذلك قاموا بالتجمع، واستعدوا للهجوم على القاعدة.

قاعدة الشيطان كما وصف (الملك)، ولا بد من استئصالها، لأننا لم نكن في هذا الذل قبل مجيئهم، صدقهم وهو الكذوب.

قاموا بالهجوم الغاضب على القاعدة، وأرسل الحرس الخاص رسالة إلى الغواصة مفادها أنهم يتعرضون لهجوم شديد، وحدثت معركة شديدة بينهم وبين الحيوانات المهاجمة، أخرجوا من مخازن السلاح كل الطلقات والرشاشات، وقاموا بإطلاق النار بغزارة، سقط الكثير من الحيوانات بين قتيل ومصاب، لكنهم كانوا أكثر من أن يُصدوا، لذلك تمكنوا من الدخول إلى القاعدة وبداية مهاجمة الحرس.

حينما تسلم (النائب) الرسالة، أمر آخر الجنود المتبقين لديه للاستعداد، لأنهم سيذهبون إلى اليايسة، بالمروحة، وسيقوم باستعراضه المفضل أمام الحيوانات، لكنه حينما ذهب رأى الكثير من الدماء في كل مكان، الكثير من القتلى، بقايا بشرية وحيوانات صرعى، قُتل جميع الحراس، وقتلوا الكثير من الحيوانات، كانت مجزرة.

تجمّع الحيوانات أمام الطائرة في مشهد خاشع، وكأنهم نسوا ما كانوا يفعلون!

استشعر (النائب) الطمأنينة، وأمر جنوده بالنزول إلى الأسفل، وخرج هو من الطائرة بلباسه المنير، تاهوا في جمال طلته، أحنوا رؤوسهم له تقديسًا، ومن أفواههم تتساقط قطرات الدماء البشرية!
اقترب من إحكام سيطرته وإعادة الأمور إلى نصابها،

لكن (الملك) ظهر هنا، وسط الخشوع، وسط التقديس كان يدفعهم متقدمًا، إلى أن وصل إلى المقدمة وقام بمهاجمة أحد الجنود وقتله، وانهالت الطلقات كأطار الفترة المطيرة، اندفعت الطلقات الخائفة على كل الحيوانات، مات (الملك) ولم يستعد مُلكه، وهجمت الحيوانات على الجنود بعدما وقع منهم الكثيرون، قُتل كثير من الجنود،

ومات أمامهم الكثير من الحيوانات، أصاب المشهد (النائب) بالرعب، ولم ينتظر أن يصعد إليه ما تبقى من جنوده، إذ أمر ربان الطائرة بالعودة سريعاً إلى الغواصة.

كان اللاسلكي مع الجنود ينادون به: "نحن مازلنا في الأسفل، لم يمت بعضنا بعد"، لكنه الخوف والغضب اللذان أعميا (النائب)، ولم تمر ثواني حتى انقطع الإرسال، ومات الجنود جميعاً.

عاد إلى الغواصة وكان شديد الغضب من الذي حدث، وأراد الانتقام منهم، عن طريق نشر الوباء بينهم! وإعادتهم إلى طبيعتهم الغبية كما وصف، ولكنه استنفذ كل ما صنعت، لذلك قرر أنه سيستدعيك وكل من في المختبر في القصر إلى الغواصة لإيجاد طريقة لذلك.



الذاتة

وهكذا انتهت المذكرات ولم نستدل عن الذي حدث بعد ذلك، ولم نتأكد إن كانت هذه الأحداث حقيقية ووقعت بالفعل أم هي مجرد هذيان، لكننا لا نستبعد أنها وقعت في منطقة محدودة من الأرض وتم التكتّم عليها، أو أنهم قوم سابقون وما نحن إلا نتاج تجاربهم!

تهت

2017/3/13

الساعة 2.08 مساءً

